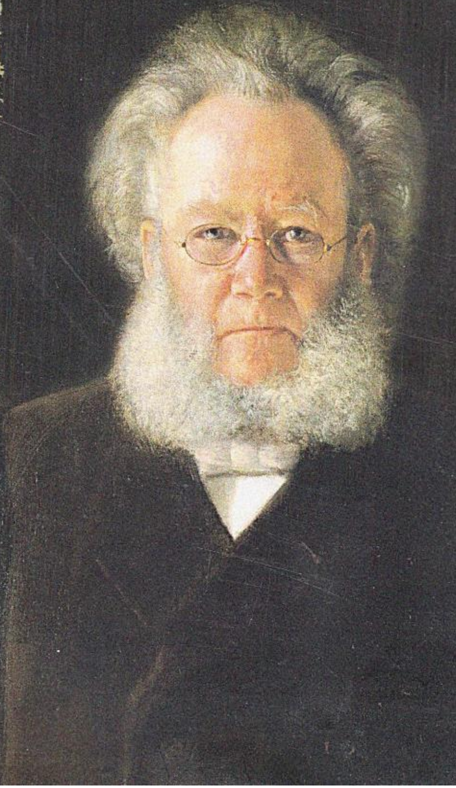
المركز القومي للترجمة

ميراث الترجمة

مختارات من إبسن



المجلد الرابع

1609

NORWEGIAN EMBASSY

مختارات من هنريك إبسن

(المجلد الرابع)

المركز القومي للترجمة
إشراف: جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة
المشرف على السلسلة: طلعت الشايب

- العدد: 1609
- مختارات من هنريك إبسن (المجلد الرابع)
- المسرحيات الثلاث: عدو الشعب - عندما نبعث نحن الموتى - جون جابرييل بوركمان
- مجموعة من المترجمين والمراجعين
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة مختارات من هنريك إبسن (المجلد الرابع)
(يعيد المركز القومي للترجمة نشره بالتعاون مع السفارة الملكية النرويجية بالقاهرة
وذلك بمناسبة مرور مائة عام على رحيل الكاتب المسرحي الكبير)

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. , Opera House, El Gezira, Cairo
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com **Tel**: 27354524 – 27354526 **Fax**: 27354554

مختارات من هنريك إبسن

(المجلد الرابع)

اختيار وترجمة

نخبة من المترجمين والمراجعين

2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

إبسن ، هنريك (١٨٢٨ – ١٩٠٦)
مختارات من هنريك إبسن (المجلد الرابع) / نخبة من المترجمين والمراجعين؛
القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٠
٥٧٢ ص ، ٢٠ سم
١ ـ الأدب النرويجى - مجموعات
(أ) العنوان ٨٣٩,٨٣٠٨

رقم الإيداع : ١٤٥٣٣ / ٢٠١٠
الترقيم الدولى : I.S.B.N - 978 - 977 - 704 - 182 - 9
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

الفهرس

عدوّ الشعب

ترجمة: إبراهيم رمزى

مراجعة: خليل مطران
محمد زكى المهندس
زكى طليمات

أشخاص الرواية

- **الدكتور توماس ستوكمان** Thomas Stockmann: مفتش صحة حمامات البلدية.
- **كاترين ستوكمان** Katrine Stockmann: زوجته.
- **بترا** Petra: ابنتهما، معلمة فى مدرسة.
- **إيليف** Ejlif: ابن لهما، عمره ١٣ سنة.
- **مورتن** Morten: ابن لهما، عمره ١٠ سنوات.
- **بيتر ستوكمان** Peter Stockmann: أخ أكبر للدكتور، عمدة المدينة ورئيس لجنة الحمامات إلخ.
- **مورتن كيل** Morten Kill: صاحب مدبغة.
- **هوفستاد** Hovstad: رئيس تحرير «جريدة رسول الشعب».
- **بيلنج** Billing: محرر بالجريدة المذكورة.
- **هورستر** Horster: قبطان.
- **أسلاكسن** Aslaksen: صاحب مطبعة.

رجال مختلفو الأحوال والأعمال، وبعض نساء، وفرقة من أطفال المدارس، وجمهور يحضر إلى اجتماع عام.

تحدث الرواية فى إحدى بلدان الساحل

من جنوبى بلاد النرويج

نقلت هذه الرواية عن ترجمة إنجليزية للأصل النرويجي قــام بها فاركوهارسون شارب Farquharson Sharp واســتأنس المتــرجم عند نقلها إلى العربية بترجمة أخرى تولتها السيدة ماركس أفلنج.

الفصل الأول

المنظر:

غرفة جلوس الدكتور ستوكمان **Stockmann**.

والوقت مساء . الغرفة بسيطة ولكنها مفروشة فراشًا نظيفًا. ويوجد فى الجدار الأيمن بابان، الأبعد منهما يؤدى إلى البهو والأقرب إلى غرفة المطالعة التى للدكتور . وفى الجدار الأيسر أمام الباب الذى يؤدى إلى البهو باب يؤدى إلى الغرف التى لبقية أفراد العيلة، وفى منتصف هذا الجدار يوجد موقد التدفئة، وبعده مقعد (كنبة) معلق من فوقه مرآة، وأمام المقعد منضد بيضى الشكل، وعلى المنضد مصباح له مظلة، وفى ظهر الغرفة باب مفتوح يؤدى إلى غرفة المائدة. ويُرى بيلنج **Billing** جالسا إلى المائدة وقد وُضِع عليها مصباح مشعل، ومعه قطيلة (فوطة) محشورة فى طوقه تحت ذقنه، والسيدة ستوكمان امرأة الدكتور واقفة بجوار المائدة تقدم إليه صحنا كبيرا مُلئ لحما (روزبيف). أما بقية الكراسى التى حول المائدة فهى خالية، وتلوح المائدة غير منظمة، يدل ظاهرها على أن بعضهم كان جالسًا إليها وأكل وانتهى وتركها هكذا...

كاتـــــرين : ها أنت ذا ترى أنك إذا حضرت متأخرًا عن الموعد ساعة لم يكن بد من أن ترضى بلحم بارد.

بيـــلنــــج : (وهو يأكل) إنه طيب فوق العادة. شـــكرًا.، طيـــب جدا.

كاتـــــرين : زوجى يحتم أن يتناول طعامه فى أوقـــات محــدودة وأنت تعرف...

بيـــلنــــج : لا يؤثر فىَّ هذا شيئًا، بل الواقع أنى أكاد أعتقد أنـــى أستلذ الأكل وأنبسط إذا جلست إلى المائدة وأكلته كله وحدى لا يزعجنى أحد.

كاتـــــرين : حسن، ما دمت تستطيبه... (تلتفت صوب باب البهو تتسمع) أظن أن السيد هوفستاد **Hovstad** قد حضر هو أيضًا.

بيـــلنــــج : يغلب ذلك.

(يدخل بيتر ستوكمان وهو لابسٌ معطفًا وقبعة رسمية عليها شريط مذهب ويحمل عصا)(*).

بـــيتـــــر : مساء الخير يا كاترين.

كاتـــــرين : **(آتية إلى غرفة الاستقبال)** آه، مساء الخير. أهو أنت؟ ما أكثر لطفك لتفضلك بزيارتنا.

(*) ورد فى ترجمة السيدة ماركس أفلنج أن على هذه القبعة شريطًا مذهبًا.

بيتر : اتفق أنى كنت مارا ولذا... (ينظر إلى غرفة المائدة) أرى عندك ضيفاً.

كاترين : (بشيء من الارتباك) أوه، لا، إنه حضر مصادفة. (بسرعة) ألا تدخل وتتناول شيئا أنت أيضا.

بيتر : أنا؟ كلا، شكرا. أعوذ بالله، لحم سخن بالليل؟ لا ؛ إن معدتى لا تقر هذا.

كاترين : أوه، ولو مرة واحدة على سبيل...

بيتر : لا . لا، يا سيدتى العزيزة إنى ملازم فنجان الشاى وقطعة الخبز والزبدة. إنها على مضى الوقت أحسن وأفضل ونوعًا ما أقرب إلى الاقتصاد أيضا.

كاترين : (تبتسم) إياك أنْ تظن لهذا أنى أنا وتوماس على شيء من الإسراف.

بيتر : أنتِ؟ – لا يا عزيزتى، محال أن أظنك كذلك. (يشير إلى غرفة مطالعة الدكتور) أهو هنا؟

كاترين : لا. إنه خرج يتمشى قليلا بعد العشاء، هو والأولاد.

بيتر : لا أرى أن هذا المشى بعد العشاء فى محله. (يتسمع) أظن أنه هو الآتى.

كاتـــرين : لا، لا أظنه هو. **(تسمع دقة على البـــاب)** تفـضل. **(يدخل هوفستاد من باب البهو)** أوه، هو أنت يا سيد هوفستاد؟!

هوفستـــاد : نعم، رجائى أن تعذرينى؛ ولكنى شغلت فى المطبعة. سعدت مساء يا حضرة العمدة.

بـيـتـــر : **(ينحنى بشيء من الجفاف)** سعدت مساء. إنك آت فى مهمة بلا شك؟

هوفستـــاد : بعض الشيء، بشأن مقالة من أجل جريدتى.

بـيـتـــر : هكذا قدرت. بلغنى أن أخى أصبح من أسيل النـــاس يدًا فى مراسلة «رسول الشعب».

هوفستـــاد : أجل. إنه من أصلح من يـستطيعون التحريـر فـــى «رسول الشعب» يوم يتناول مسألة من مسائلنا فـــى البلدية.

كاتـــرين : **(إلى هوفستاد)** ولكن ألا... **(تشير إلى غرفة المائدة)**.

بـيـتـــر : صحيح، صحيح، لا ألومه بتاتا، وهو كاتب، أن يوجه أقواله إلى الجهة التى يجد منها عطفا وإقبالا، وفضلا عن هذا فإنى شخصيا لا أحمل فى قلبى موجِدة على جريدتك يا سيد هوفستاد.

هوفستاد : أنا على ما ترى.

بيتر : إذا ذكر الشيء بالشيء فإنى أقرر أن فى البلد روح تسامحٍ كبيرٍ، وروحَ قوميةٍ بلدية تسر الخاطر. كل هذا ناشئ عن وجود مصلحة مشتركة بيننا، مصلحة عالية فى نظر كل مواطن مخلص سليم العقل.

هوفستاد : الحمامات؟ نعم.

بيتر : بعينها، حماماتنا الجميلة البديعة. تنبه إلى كلامى يا سيد هوفستاد، ستكون الحمامات محور حياتنا البلدية، لا أشك فى ذلك بتاتًا.

كاترين : هذا بعينه ما يقوله توماس.

بيتر : انظر الآن، كيف أن بلدتنا كبرت واتسعت أعمالها فى السنة الأخيرة أو السنتين إلى حد يدعو إلى العجب. تدفقت الأموال فى البلدة، ودب فيها شىء من روح الحياة والعمل، وأخذت قيمة المنازل والأراضى ترتفع يوما عن يوم.

هوفستاد : وأخذت البطالة تقل.

بيتر : نعم، هذا شىء آخر. وقد خف عن الناس عبء ضريبة الفقراء فارتاح أصحاب الأملاك. وفى

اعتقادى أن العبء سيخف أكثر إذا جاء موسم الصيف هذا العام كما نرجو، وقصدنا كثير من الزوار وكثير من المرضى الذين يشهرون صيت الحمامات.

هوفستاد : لعله ينتظر أن يكون الحال على ما نرجو.

بيتر : الحالة تبشر بذلك، والبريد يأتينا كل يوم بعديد من الرسائل يسأل فيها أصحابها عن شقق خالية وغرف وغير ذلك.

هوفستاد : إذن فسيكون نشر مقال الدكتور الآن فى وقته.

بيتر : هل كتب شيئا آخر فى هذه الأيام؟

هوفستاد : هى مقالة كتبها فى الشتاء يوصى الناس فيها بالانتفاع بالحمامات، ويسهب فى بيان المزايا الصحية التى تنعم بها هذه البلدة، ولكنى وقفت نشرها مؤقتا.

بيتر : آه، لعل ذلك لمانع بسيط فى شأنها!

هوفستاد : لا. لا، ولكنى استصوبت أن أبقيها حتى يأتى الربيع، لأن الناس فى ذلك الوقت يفكرون فى الجهات التى يقصدون إليها فى الصيف.

بيتر : فى محله، لقد كان رأيك صوابا يا سيد هوفستاد.

كاتـــــرين : فعلا، إن توماس لا يكل له جهد إذا هو اشتغل بـــأمر خاص بالحمامات.

بـيـتـــــر : تذكرى أنه مفتش صحة هذه الحمامات.

هوفستـــاد : نعم، وأكثر من ذلك أنها لم تنشأ إلا بفضله.

بـيـتـــــر : بفضله هو! نعم يبلغنى من آن لآن أن فى الناس من يرى هذا الرأى؛ ولكن يجب علىَّ فى الوقت نفسه أن أقول إننى أتصور أن لـــى فـــى الأمـــر يـــدًا ولـــو قصيرة.

كاتـــــرين : فعلا. هذا ما يقوله توماس دائمًا.

هوفستـــاد : من ينكر عليك هذا يا سيد ســتوكمان؟ أنـــت نفـــذت المشروع وجعلت منه مصلحة قائمة، نحـــن جميعـــا نعرف ذلك، ما عنيت إلا أن فكرة المـــشروع إنمـــا تأتت من أخيك الدكتور أولا.

بـيـتـــــر : الفكرة! نعم الفكرة. إن أخى كان كثير الفكر فى ذلك الوقت لسوء الحظ، ولكن عندما يراد التنفيذ الفعلـــى يجب عليك أن تقصد إلى شخص من طراز آخر يـــا سيد هوفستاد، وقد كان يدور فى خلدى أن فى هـــذا البيت على الأقل...

كاتـــــرين : رويدك يا عزيزى بيتر...

هوفستـــاد : كيف تظن أن...

كاتـــرين : ألا تدخل وتتناول شيئًا من الطعام يا سيد هوفــستاد؟ مؤكد أن زوجى سيحضر توًّا.

هوفستـــاد : شكرا لا بأس بقطعة صغيرة. **(يــذهب داخـــلا إلى غرفة الطعام).**

بـيتـــــر : **(يخفض صوته قليلا)** إنه ليدهشنى أن أولاد الفلاحـــين هؤلاء لا تفارقهم قلة الذوق بتاتا.

كاتـــــرين : هوّن عليك، ليس هذا مما يستحق الاهتمـــام لـــه. ألا يمكنك أنت وتومـــاس أن تتقاســما فـضل العمــل كأخوين؟

بـيتـــــر : كنت أرى ذلك،ولكن يظهر أن فـــى النـــاس مـــن لا يقنعون بحصة واحدة.

كاتـــــرين : ما هذا الكلام الفارغ؟ أنت وتوماس على أتم وفـــاق. (تتسمع) هاهو ذا آت على ما أظـــن. **(تخرج وتفـــتح الباب المؤدى إلى البهو).**

الدكتـــــور : **(يضحك من الخارج ويتكلم بـــصوت عـــال)** هـــو! كاترين جئتك بضيف آخر، أما فى ذلك مـــا يــسر؟

تفضل يا قبطان هورستر، علق معطفك على هذا المشجب. آه، إنك لا تلبس معطفا. تأملى يا كاترين، لقيته مصادفة فى الطريق ولم أستطع حمله على المجىء إلا بالجهد الجهيد. **(يدخل القبطان هورستر ويحيى السيدة ستوكمان، ويتبعه الدكتور ستوكمان بجانب الباب)** ادخلوا يا أولاد، لقد هضموا ما أكلوا الآن وعادوا إليك جياعا. تفضل يا سيد هورستر، لا بد أن تأكل قطعة من اللحم، **(يدفع هورستر إلى غرفة الطعام)**.

كاترين : **(يدخل إيليف ومورتن بعدهما)** وى! توماس، ألا ترى...

الدكتور : **(ملتفتاً فى مدخل الباب)** أوه، هذا أنت يا بيتر. **(ويذهب ويسلم عليه باليد)** حقا إن هذا شىء جميل.

بيتر : بكل أسف لابد لى أن أذهب على الفور.

الدكتور : كلام فارغ، سيأتى الآن شراب التودى **Toddy** . لعلك لم تنسَ ألتودى يا كاترين.

كاترين : كيف أنساه؟ الماء يغلى الآن. **(تذهب داخلة غرفة الطعام)**.

بيتر : شراب التودى أيضا؟

الدكتور : أجل، اجلس وسنشربه مؤتنسين.

بيتر : شكرا لك. لا، لا أغشى مجالس الشراب فى المساء.

الدكتور : ولكن ليس هذا مجلس شراب.

بيتر : يخيل إلىَّ أنه كذلك. (ينظر صوب غرفة الطعام) عجبًا كيف يلتهمون كل هذا المقدار العظيم من الطعام؟

الدكتور : (يمسح كفيه إحداهما بالأخرى) نعم، أليس مما يسر النفس أن نرى الشبان وهم يأكلون؟ إنهم جياع دائما، وهذا ما يجب لهم، لا بد أن يأكلوا. إنهم يحتاجون إلى القوة، هم الذين عليهم أن يحركوا ما يختمر الآن من قوى المستقبل يا بيتر.

بيتر : أتسمح لى أن أسألك ماذا هم واجدون هنا ليحركوه كما تقول؟

الدكتور : آه، وجِّه سؤالك هذا إلى الشبان أنفسهم يوم يأتى وقتهم، نحن لا نستطيع أن نرى هذه الأوقات بالطبع، بغلان عتيقان مثلنا...

بيتر : مهلا، مهلا. حقا إن هذا التعبير مستغرب.

الدكتور : أوه، لا يصح أن تفهم كلمتى بمعناها الحرفى يا بيتر.

إنى فى غاية الارتياح والرضا، وفى اعتقادى أنه من الحظ العظيم النادر أن يكون الإنسان منا فى وسط هذه الحياة النابتة النامية العفيَّة. أجل إنه وقت باهر، تستحب فيه الحياة، ويخيل إلىَّ كأن عالما جديدا برمته يخلق من حولك.

بيتر : أترى ذلك فعلا؟

الدكتور : آه، بالطبع إنك لا تتبيَّنه بالوضوح الذى أتبيَّنه به، لقد قضيت عمرك فى هذه الحياة فاعتدتها، وأصبح إحساسك بها فاترا. أما أنا، وقد دفنت كل هذه السنين فى زاويتى الصغيرة بأعلى الشمال حيث لا أكاد أرى غريبا قد يأتى إلىَّ بأفكار جديدة، فالتأثير الحادث الآن لى من رؤيتى ما آلت إليه هذه البلدة هو عين التأثير الذى كان يحدث لى لو أنى أُلقيت فجأة فى صميم مدينة مزدحمة.

بيتر : أوه! مدينة!

الدكتور : أعرف، أعرف أن أحوال بلدتنا تجرى فى نطاق ضيق بالقياس إلى غيرها، ولكن فيها حياة وفيها رجاء، وفيها من الأمور الجمة ما يستحق أن تعمل

له وتجاهد فى سبيله، وهذا هو الشيء المهم. **(ينادى)** كاترين! ألم يحضر ساعى البريد؟

كاتـــــرين : **(من غرفة الطعام)** كلا.

الدكتـــــور : ثم كون الإنسان عائشاً هنا يا بيتر عيشة راحة، هـذا شيء يعرف قيمته من كان على حافة الموت جوعـاً كما كنا.

بـيـتــــر : نعم مؤكد...

الدكتـــــور : فى الواقع أننا كنا فى الشمال فـى غالـب الأحيـان نقاسى شظف العيش، أما اليوم فالواحد يعيش كأنـه لورد. اليوم مثلا فى الغداء كان عندنا روزبيف وفى العشاء أيضا. ألا تأتى فنتناول قطعـة صـغيرة؟ أو تعال أُريكه على كل حال تعال هنا.

بـيـتــــر : لا. لا، ولا بملك الدنيا.

الدكتـــــور : طيب. طيب، ولكن تعال هنا. أتـرى أننـا اشـترينا غطاء للمائدة؟

بـيـتــــر : لحظت ذلك، نعم.

الدكتـــــور : كذلك اقتنينا مظلة للمصباح، أتراها؟ كل هـذا ممـا تقتصده كاترين. إن هذه الأشياء تجعل الغرفة ممتعة،

ألا ترى ذلك؟ قف هنا قليلا فقط. لا. لا، ليس هناك، هنا بالضبط، نعم. انظر الآن، عندما تقــع الأنــوار عليها كلها، أعتقد تمام الاعتقاد أنها جميلة جدا. أليس كذلك؟

بــيــتــــر : أوه، إذا كنت تستطيع اقتناء مثل هذه الطرف.

الدكتـــور : نعم أستطيعه الآن، تقول لى كاترين إن مكسبى يكاد يكون قدر ما ننفق تماما.

بــيــتــــر : يكاد؟ نعم!

الدكتـــور : ولكن الرجل المشتغل بالمسائل العلمية يجب أن تكون معيشته على نمط ممتاز نوعا مــا، إنــى متأكــد أن الموظف المدنى العادى ينفق فى العام أكثر مما أنفق أنا.

بــيــتــــر : الواقع أن الموظف المدنى، الرجل الذى يكــون فــى مركز عال، يسمح حسن مرتبه فيه...

الدكتـــور : دع ذلك. لنقل أى تاجر عادى مثله ينفق مــرتين أو ثلاثا أكثر منى.

بــيــتــــر : هذا أمر طبيعى يتبع تفاوت الناس فى المراكز.

الدكتــــور : على كل حال أؤكد لك أننى لا أنفق نقودا فى غيــر فائدة صحيحة، بيد أنه لا يطاوعنى قلبى فأحرم نفسى لذَّتها بإضافة إخوانى،أجدنى كما تدرى شديد الحاجة إلى مثل هذا. لقد عشت مدة طويلة محبوسًا عن كــل شىء، حتى لقد أصبح من ضرورات الحياة عندى أن أختلط بالشباب الناهض، بالرجال المتحمــسين ذوى المطامع، ذوى العقول الحرة النشيطة. وهذا ينطبــق تمام الانطباق على هؤلاء الأشخاص الذين يستمتعون الآن بطعامهم. ليتك تعرف هوفستاد أكثر مما...

بـيـتــــر : على فكرة، أخبرنى الآن هوفستاد أنه شارع فى نشر مقالة لك أخرى.

الدكتــــور : مقالة لى؟

بـيـتــــر : نعم، عن الحمامات، مقالة كتبتها فى الشتاء.

الدكتــــور : أوه، تلك؟ لا، لا أريد أن تنشر هذه المقالة فى هــذا الوقت بالذات.

بـيـتــــر : لماذا؟ يخيل إلى أن هذا الوقت أليق الأوقات لنشرها.

الدكتــــور : نعم، قد يكون ذلك فى الظروف العادية. **(يخطو قاطعًا الغرفة).**

بيتر : (يتبعه بنظراته) أهناك شيء غير عادى فى الظروف الحاضرة؟

الدكتور : (يقف ساكنًا) أقول لك الحق يا أخى، لست أستطيع أن أخبرك الآن. وعلى كل حال، فى هذه الليلة، قد يكون هناك شيء كثير غير عادى يحيط بالظروف الحاضرة، وقد لا يكون هناك شيء من ذلك بتاتا. وقد يحتمل جد الاحتمال أن يكون الأمر وهمًا من أوهامى.

بيتر : كلامك كله مبهم. أهناك تدبيرات جارية تعملون على إخفائها عنى؟ كنت أظن أنى بصفة كونى رئيسًا للجنة الحمامات.

الدكتور : وأنا كنت أظن أنى... أوه، دع عنك ذلك. لا يحملنا الأمر على أن يهب بعضنا فى وجه بعض.

بيتر : معاذ الله، ليس من عادتى أن أهب فى وجه الناس كما تقول، ولكن لى الحق أن أطالب وأشدد عليكم باتباع الطرق الرسمية، وأن تجرى الأمور فى مجاريها الصحيحة، حتى يتناولها الرؤساء المنوطون بالعمل رسميا ويفصلوا فيها. إنى لا أسمح لأحد أن يمر من وراء ظهورنا بحركة من حركات المداورة.

الدكتـــــور : هل علمت أنى حاولت فى يوم من الأيام أن أمـــشى وراء ظهوركم؟

بـــيـــتـــــر : مهما يكن من الأمر فإنك ميال بطبيعتك إلى الـــسير على هواك، ولا يسمح بهذا فـــى مجتمـــع صـــحيح النظام. يجب على الفرد بلا شك أن يذعن للمجتمـــع ويخضع. وبعبارة أدق، يجب عليه أن يـــذعن لـــولاة الأمر الذين فى يدهم مصلحة المجتمع.

الدكتـــــور : على الراجح. ولكن ما دخل كل هذا فى شأنى؟

بـــيـــتـــــر : هذا بعينه ما يخيل إلىَّ أنك لا تريد أن تفهمه بتاتا يـــا عزيزى توماس. ولكن. تنبه لقولى. ستأسف يوما من الأيام على سلوكك هذا، يومًا قريبًا أو بعيـــدًا. لقـــد أنذرتك. سلام عليك.

الدكتـــــور : هل زايلك الصواب؟ ماذا أصابك؟ لقد شـــطت بـــك الظنون.

بـــيـــتـــــر : ليست هذه عادتى، فاعذرنى إذًا أنا... **(ينادى موجهًا صوته إلى غرفة الطعام)** ليلة سعيدة يا كـــاترين ليلـــة سعيدة يا سادة. **(يخرج)**.

كاتـــــرين : **(تأتى من غرفة الطعام)** هل ذهب؟

الدكتـــــور : نعم، ذهب مغضبًا.

كاتـــــرين : ولكن يا عزيزى توماس ماذا صنعت به ثانية؟

الدكتـــــور : لا شيء البتة. وعلى كل حال، إنــه لا يـستطيع أن يجبرنى على تقديم تقريرى إليه قبل الموعد اللائق.

كاتـــــرين : أى شيء لديك تقدم عنه تقريرًا؟

الدكتـــــور : **(يهمهم)** هه! دعى لى هذا يا كـاترين. غريـب أن ساعى البريد لم يحضر.

(ينهض هوفستاد وبيلنج وهورستر عن المائدة ويحضرون إلى غرفة الجلوس. إيليف ومورتن يحضران بعدهما)

بيـــلنــــج : **(يتمطى)** آه. إن الإنسان ليشعر أن قواه قد تجـددت بعد مثل هذه الأكلة.

هوفستـــاد : إذن لم يكن العمدة لطيف المزاج هذه الليلة!

الدكتـــــور : العيب فى معدته، إنه سيِّئ الهضم جدا.

هوفستـــاد : يخيل إلىَّ أنه لم يستطع هضمنا نحن الاثنـين مـن محررى رسول الشعب.

كاتـــــرين : لقد استطعت أن تخلص نفسك منه بلطف.

هوفستـــاد : نعم. نعم، ولكنها لا تخرج عن هدنة بسيطة.

بيــلنــــج : هذا هو الواقع، فى هذه الكلمة كل شىء.

الدكتــــور : تذكروا دائما أن بيتر رجل وحيد، مسكين، ليس لديه من مسرات الحياة العائلية شىء. لا شىء عنــده إلا الشغل على الدوام، كما أن ذلك الغــول الجهنمـــى، الشاى الذى يملأ به بطنه... هــا. هــاتوا يـــا أولاد كراسى هنا. أما يأتينا شراب التودى يا كاترين؟

كاتـــرين : (ذاهبة إلى غرفة الطعام) سأحضره على الفور.

الدكتــــور : اجلس هنا على المقعد بجانبى يا قبطان هورستر، نحن لا نراك إلا نادرًا. تفضلوا بــالجلوس يـــا إخـــوانى، (يجلسون إلى المنضد وتحضر كاترين ستوكمان صينية عليهـــا مشعل كحول وأكواب وزجاجات... إلخ)

كاتـــرين : إليكم هذا عرق وهذا روم وهذا هو الكونياك، وليخدم كل نفسه.

الدكتــــور : (يتناول كوبه) سنفعل. (كلهم يأخدون فى المزج لـــصنع شراب التودى) وعلينا بالسيجار. إيليف! أنت تعـــرف مكان الصندوق، وأنت يا مـــورتن هـــات غليـــونى. (ينصرف الولدان ذاهبين إلى الغرفة اليمنى) إنى أظن أن إيليف يضع فى جيبه شيئا من السيجار مـــن آن لآن!

ولكنى أتغاضى عن ذلك. (ينادى) وقبعة التدخين أيضا يا مورتن. كاترين، خبريه أين تركتها. آه، إنه أحضرها. (يحضر الأولاد الأشياء المطلوبة) الآن أيها الإخوان إنى ملازم غليونى كما تعلمون، وقد شهد هذا الغليون معى أياما من أسوأ أيام الجو فوق، فى الشمال. (يقرع كأسه بكئوس إخوانه) صحتكم جميعًا. جميل أن يجلس الإنسان هنا مرتاحًا دفيئًا.

كاترين : (وهى جالسة تشتغل بالإبرة) أأنت مبحر قريبًا أيها السيد القبطان؟

هورستر : أرجح أننا سنقلع فى الأسبوع القادم.

كاترين : أظن أنكم قاصدون أمريكا.

هورستر : أجل هذى هى الخطة.

كاترين : إذن فلن تشترك فى الانتخاب المقبل.

هورستر : أمنتظر أن يحدث انتخاب؟

بيلنج : ألا تعرف ذلك؟

هورستر : لا. إنى لا أشغل نفسى بهذه المسائل.

بيلنج : ولكن ألا تهتم بالمصالح العامة؟

هورستـــر : كلا. إنى لا أعرف شيئا من شئون السياسة.

بيـــلنـــج : ومع ذلك، يجب على كل إنسان أن يعطى صوته.

هورستـــر : حتى وإن لم يكن الإنسان يعرف ما يجرى فى البلد؟

بيـــلنـــج : لا يعرف شيئا! ماذا تعنى بذلك؟ إن المجتمع أشبه شيء بالسفينة، واجب على كل من فيها أن يكون على استعداد لتولى قيادتها.

هورستـــر : قد يكون هذا صحيحًا على البِّر، أما على ظهر السفينة فهذا لا ينفع.

هوفستـــاد : يدهشنى أن غالب الملاحين لا يهتمون بشيء مما يجرى على اليابسة.

بيـــلنـــج : غريب جدا.

الدكتـــور : إن الملاحين كالطيور الرحالة؛ جميع البقاع موطن لها على السواء، وفى هذا سبب آخر فى أننا أشد منهم حرصًا على مصلحة بلادنا. هل لديكم فى عدد الغد من رسول الشعب شيء ذو أهمية خاصة؟

هوفستـــاد : لا شيء من مسائل البلدية، ولكن كان فى نيتى أن أنشر مقالتك بعد غد.

الدكتـــور : مقالتى! إلى حيث، اسمع. أهملها وقتًا ما.

هوفستـــاد : حقا؟ كان عندنا فراغ لها. ولقد زعمت أن هذا هـــو الوقت الملائم لنشرها.

الدكتـــــور : نعم. نعم، قد يكون رأيك فى محلـــه، ولكـــن يجـــب تأجيلها الآن على كل حال؛ وسأوضح لك السبب فيما بعد.

(تأتى الآنسة بترا Petra من البهو لابسة قبعة ومعطفا ومعها ربطة كراسات مدرسية تحت إبطها).

بتــــــرا : سعد مساؤكم.

الدكتـــــور : ومساؤك يا بترا، هلمـــى. **(تحيات وتسليمات وبتـــرا تخلع أشياءها وتضعها على أحـــد الكراســـى بجـــوار الباب).**

بتــــــرا : أنتم جالسون هنا جميعًا تستمتعون بعـــضكم بـــبعض وأنا هناك أقاسى الأمرَّين.

الدكتـــــور : إذن فتعالى وخذى نصيبك أنت أيضًا.

بيلنـــــج : أأجهز لك كأسًا؟

بتــــــرا : **(آتية إلى المائدة)** شكرًا! ولكنـــى أفـــضل أن أصـــنع شرابى بيدى. إنك تجعل المزيج شديدًا جدا، ولكنـــى نسيت، يا أبى، معـــى خطـــاب لـــك. **(تـــذهب إلى الكراسى التى وضعت عليها أشياءها)**

الدكتــــور : خطاب ؟ ممن؟

بتــــــرا : **(باحثة فى جيب معطفها)** ناولنى إياه ســاعى البريــد عندما كنت خارجة من المنزل.

الدكتــــور : **(ناهضًا وذاهبًا إليها)** وأنت تعطينى اياه الآن فقط.

بتــــــرا : لم يكن عندى فى الحقيقة وقت للرجوع، ها هو ذا.

الدكتــــور : **(يتناول الخطاب)** دعينى أرى! دعينى أرى يا بنيّــة. **(ينظر إلى العنوان)** نعم. هذا هو.

كاتـــــرين : أهو الخطاب الذى كنت تنتظره بفروغ صبر يا توماس؟

الدكتــــور : نعم هو. سأذهب إلى غرفتى و... أين أجد المصباح يا كاترين؟... أليس فى غرفتى نور... مرة أخرى؟

كاتـــــرين : بلى. إن مصباحك مشعل من قبل على المكتب.

الدكتــــور : حسن، حسن. معذرة لحظة واحدة، **(يــدخل غرفــة المطالعة)**.

بتــــــرا : ما تخمينك أن يكون هذا الخطاب يا أمى؟

كاتـــــرين : لا أدرى. لم يزل أبوك منذ يوم أو يومين يسألنى هل أتى ساعى البريد؟ أو لا!

بتــــــرا : لعله بشأن مريض من أهل الريف.

بيلنج : مسكين أبى. إنه سينهك نفسه بالعمل على عجل.
(تمزج كأسًا لنفسها) ها هو ذا! سيكون طعمه لذيذاً.

هوفستاد : هل عدت إلى التدريس اليوم فى المدرسة الليلية؟

بترا : (تحتسى الكأس) ساعتين.

بيلنج : وأربع ساعات فى المدرسة بالنهار.

بترا : بل خمس ساعات.

كاترين : ولا يزال معك كراسات للتصحيح على ما أرى.

بترا : نعم. كومة كبيرة.

هورستر : يخيل إلىَّ أنكِ أنتِ أيضًا مثقلة بالأعمال!

بترا : أجل، ولكنه مفيد. إن الإنسان يصبح من بعد ذلك متعبًا تعبًا لذيذًا.

بيلنج : وهل تحبين هذا؟

بترا : أجل، إنه يجعل نوم الإنسان هنيئًا.

مورتن : لابد أنك اقترفت خطايا كثيرة يا بترا؟

بترا : أنا؟

مورتن : نعم، لأنك تشتغلين كل هذا المقدار. يقول أستاذنا السيد رولاند إن الشغل عقاب لنا على خطايانا.

إيلـــيــــف : ويحك، أنصدق مثل هذا الكلام؟

كاتـــــرين : إيليف، أقصر، أقصر.

بيــلنــــج : (ضاحكا) هذا شيء عظيم!

هوفستــاد : ألا تريد أن تشتغل مثل هذا الشغل الشاق يا مورتن؟

مـــــورتن : كلا، لا أريد.

هوفستــاد : إذن فماذا تشتهى أن تكون؟

مـــــورتن : أشتهى أن أكون من الفيكونج أمراء البحار.

إيلـــيــــف : إذن فلابد لك أن تكون بلا دين.

مـــــورتن : من السهل أن أصبح بلا دين. ألا يمكننى ذلك؟

بيــلنــــج : إنى على اتفاق معك فى الرأى يا مورتن هذا إحساسى بعينه.

كاتـــــرين : (تكلمه بالإشارة) إنى واثقة أن هذا غير صحيح، يا مستر بيلنج.

بيــلنــــج : بلى، وأقسم إنه صحيح، وإنى فخور بذلك. صدقينى يا سيدة ستوكمان إن العالم سيصبح بلا دين فى وقت قريب.

مـــــورتن : وعندئذ يتاح له أن يفعل ما يريد.

بيــلنــــج : أنت ترى طبعًا. يا مورتن أن...

كاتـــــرين : لا بد من ذهابكما الآن إلى غرفتكما يا ولدىَّ. لابد أن لديكما دروسا فى الغد واجبة الحفظ الليلة.

إبلـيـــــف : أشتهى أن أبقى هنا قليلاً...

كاتـــــرين : كلا. كلا، اذهب أنت وهو كلاكما.

(الولدان يحييان «سعيدة» ويذهبان داخلين إلى الغرفة اليسرى)

هوفستـــاد : أتعتقدين فعلا أن هذا الكلام يضر الأولاد فى شىء؟

كاتـــــرين : لا أدرى، ولكنى لا أستحب ذلك.

بتــــــرا : ولكن يا أمى، إنى أعتقد أنك لست على صواب فيما ترين.

كاتـــــرين : قد يكون الأمر كذلك ولكنى لا أقره، لاسيما فى بيتنا.

بتــــــرا : إن هناك أكاذيب كثيرة فى البيت أو المدرسة على السواء، ففى البيت يحتم علينا ألا نتكلم، وفى المدرسة يطلب إلينا أن نقف ونقول للتلاميذ أكاذيب صريحة.

هورستـــر : تقولين أكاذيب؟

بتــــــرا : نعم. ألا تدرين أن علينا أن نعلمهم مسائل كثيرة لا نؤمن نحن بها؟

بيلنـــــج : هذا هو الواقع فعلا.

بتــــــــرا : لو كانت عندى الوسيلة لفتحت مدرسة وسرت بهــا على منهج يختلف عما هو جار تمام الاختلاف.

بيـلنـــج : أوه. الوسيلة...! قبحا للوسيلة.

هورستـــر : إذا كنت تفكرين فى هذا فعلا يا آنسة ستوكمان فإنـــه يسرنى أن أهيئ لك مكان المدرسة التى تريدين. إن البيت الكبير الواسع القديم، الذى تركه لى والدى يكاد يكون خاليا، وفى الطبقة الأرضية منه غرفة فـسيحة جدا للطعام يمكنك أن...

بتــــــرا : (ضاحكة) شكرًا لك جزيلاً، بيد أنى أشفـــق أن لا جدوى من هذا العمل.

هوفستـــاد : لا. الآنسة بترا أميل بفطرتها إلى الـصحافة. علــى فكرة، هل كان لديك متسع من الوقت لتنــاول تلــك الرواية الإنجليزية التى وعدت أن تترجميها لنا؟

بتــــــرا : لا، لم يحن الوقت بعد، ولكنها ستصلك فــى وقــت ملائم.

(يأتى الدكتور ستوكمان من غرفته وفى يــده خطاب مفتوح)

الدكتــــور : (يهز الخطاب فى الهواء) آه! آه! سيكون فــى البلــد شىء جديد تلفظ به، أؤكد لكم.

بيلنج : شىء جديد؟

كاترين : ما هو هذا؟

الدكتور : استكشاف عظيم، يا كاترين.

هوفستاد : صحيح!!

كاترين : استكشاف منك؟

الدكتور : استكشاف منى. **(يمشى هنا وهناك)** والآن دعوهم يأتوا ويقولوا على عادتهم إن المسألة كلها خيال وأوهام من رجل مأفون، بيد أنهم لن يقولوا هذا الكلام بعد ذلك، أؤكد لكم.

بترا : حسن يا والدى. ما المسألة؟

الدكتور : نعم. نعم، أعطونى وقتا وأنتم تعرفون كل شىء. آه لو كان بيتر معنا الآن! هذا يرينا كيف أننا نحن الرجال نستمر فى تكوين أحكامنا على الأشياء، ونحن فى الواقع عمى كالجرذان المناجذ.

هوفستاد : ما قصدك يا دكتور؟

الدكتور : **(واقفا ساكناً بجوار المائدة)** أليس الرأى السائد أن بلدتنا بقعة صحية؟

هوفستاد : بكل تأكيد.

الدكتـــور : بقعة صحية فوق العادة فعلا، وجهة تستحق أن يدعى إليها الناس بكل وسيلة ممكنة سواء أكانوا مرضى أم أصحاء.

كاتـــرين : نعم، ولكن يا عزيزى توماس...

الدكتـــور : ولقد أخذنا نوصى بها الناس ونمتدحها، وكتبت فى صدد ذلك مقالات فى «رسول الشعب» وعدة من رسائل وعجالات.

هوفستـــاد : نعم، ثم ماذا؟

الدكتـــور : والحمامات، لقد سميناها شريان البلدة المتدفق بدم الحياة ومركز القوة العصبية فيها، والشيطان أدرى ماذا قلنا غير ذلك.

بيـــلنـــج : قلنا إنها قلب البلدة الخفاق، ولقد استعملت هذه الكلمة ذات يوم فى موقف خطير.

الدكتـــور : نعم. نعم، أتدرون ما حقيقة هذه الحمامات؟ هذه الحمامات العظيمة البديعة التى لم تفتر الألسن عن مدحها، والتى أنفق فى سبيل إنشائها مبالغ عظيمة من المال، أتعرفون ما حقيقة هذه الحمامات؟

هوفستـــاد : كلا، ما هى؟

كاتـــــرين : أجل، ما هى؟

الدكتــــور : المحل كله من أوله إلى آخره «خن» أوبئة.

بتـــــرا : الحمامات يا أبى؟

كاتـــــرين : (فى نفس الوقت) حماماتنا؟

هوفستـــاد : ولكن يا دكتور...

بيلنـــــج : لا يمكن تصديق ذلك بتاتا؟

الدكتــــور : منشأة الحمامات كلها ليست إلا بؤرة تجتمع فيها كل أنواع الأوبئة، أؤكد لكم. وهى أكبر مورد للأذى والأضرار بالصحة العامة؛ فإن كل قاذورات «موليدال» وكل تلك الحثالات المتعفنة، تتسرب إلى أقنية المياه المؤدية إلى الخزان وتفسدها! كما أن نفس هذه السموم المتعفنة الملعونة ترشح وتنضح على الشاطئ...

هورستـــر : حيث توجد الحمامات؟

الدكتــــور : هناك بالضبط.

هوفستـــاد : وكيف تثبت كل هذا الأمر يا دكتور؟

الدكتــــور : بحثت الموضوع بكل دقة واهتمام، منذ مدة طويلة كنت أُوجس شيئا من هذا القبيل. كان عندنا فى العام

الماضى عدة حوادث غريبة جدا من المـــرض بـــين الوافدين علينا، حوادث تيفويد وحمى معوية.

كاتـــــرين : نعم، هذا صحيح جدا.

الدكتـــــور : فى ذلك الوقت قدرنا أن الزوار كانوا مصابين بهـــا قبل أن يأتوا إلينا. ولكن بعد ذلك، فى الشتاء، أخذت أرى رأيا آخر، ولذلك أخذت أفحـــص المـــاء بقـــدر استطاعتى.

كاتـــــرين : إذن فهذا الذى كان يشغلك طول المدة؟

الدكتـــــور : فى الواقع يا كاترين إنى كنت مشغولاً، ولكن لم تكن عندى الأجهزة والأدوات العلمية اللازمـــة، ولـــذلك أرسلت إلى الجامعة عينات من ماء الشرب، وأخرى من ماء البحر، لتحليلها تحليلاً دقيقا على يد كيماوى متخصص.

هوفستــــاد : وهل وصلتك نتيجة التحليل؟

الدكتـــــور : ما هى ذى، وهى تثبت وجود مواد عضوية متحللـــة فى الماء، وأنه ملآن من جراثيم النقاعيـــات، ومـــن الخطر المحقق استعمال الماء، ســـواء أكـــان ذلـــك للشرب أو للاستحمام.

كاتـــــرين : الحمد لله على أنك استكشفت هذا فى وقته!

الدكتـــــور : لكِ الحق أن تقولى ذلك فعلا.

هوفستـــاد : وماذا تريد أن تفعل الآن يا دكتور؟

الدكتـــــور : أعمل على إصلاح الحالة بالطبع.

هوفستـــاد : وهل فى الاستطاعة ذلك؟

الدكتـــــور : إنه أمر واجب، وإلا أصبحت الحمامات عادمة الفائدة وضاعت مزيتها. ولكن لا يصح لنا أن نقدر ذلـك، إنى متبين ما يجب عمله.

كاتـــــرين : ولكن لماذا أبقيت هذه المسألة فى طىِّ الكتمـان يـا عزيزى؟

الدكتـــــور : أكنت تنتظرين أن أجرى فى البلد أخبر الناس بالواقع قبل أن يكون فى يدى البرهان القاطع؟ لا. لا، شكرا لك، لست من الجنون عند هذا الحد.

بتـــــرا : مهما يكن من الأمر فقد كنت تـستطيع أن تخبرنـا نحن.

الدكتـــــور : ولا أى إنسان حى، ولكن يمكنكم فى الغد أن تجـروا به إلى السيد إليغر.

كاتـــــرين : توماس! توماس!

الدكتــــور : (لبترا) إذن، إلى جدك. سيكون لذلك الغلام العجــوز من نبأك ما يدهشه، أنى أعلم أنه يعتقد أنى مجنــون، ولاحظت أن فى الناس كثيرا غيره على شاكلته فــى هذا الرأى، ولكن سيرى هؤلاء الصالحون، ســيرون فعلا، **(يتمشى فى المكــان ويفــرك يديــه إحــداهما بالأخرى)** سيكون فى البلدة ضجة عظيمة يا كاترين، لا يمكن أن تتصورى كيف تكون، يتحــتم أن تنــزع أقنية المياه من موضعها ويعاد بناؤها.

هوفستــاد : **(ناهضا)** كل الأقنية؟

الدكتــــور : نعم، بالطبع. إن مأخذها منخفض جدا، فلابــد مــن رفعها إلى مستوى أعلى.

بتــــــرا : إذن فقد كنتَ على صواب يومئذ؟

الدكتــــور : آه، أنت تتذكرين يا بترا، لقد كتبت أنتقد خطة العمل قبل شروعهم فيه، ولكن فى ذلك الوقت لم يستمع لى أحد، الآن سأسمعهم، ولقد أعــددت تقريــرًا فعــلا لعرضه على لجنة الحمامات، وهو جاهز عند منــذ أســبوع، ولــكنى كنت أنتظــر ورود هــذا إلــىَّ. **(يرى الخطاب)** والآن فسأرسله إليهم علــى الفــور.

(يذهب إلى غرفته ويعود ومعه أوراق) انظروا! أربعة أفرخ مكتوبة كلها على أسطر ضيقة، وسأرسل خطابى مع التقرير. أعطينى قطعة من الورق يا كاترين، شيئا ألفّ فيه هذه الأوراق(*). هذا يكفى! والآن أعطيه إلىَّ، إلىَّ **(يضرب برجله على الأرض)** إيه، ما اسمها؟ أعطيه إلى الخادمة، وقولى لها أن تأخذه على الفور إلى العمدة. **(تأخذ السيدة ستوكمان ربطة الورق وتخرج بها مارّة فى غرفة الطعام).**

بترا : ما ظنك يا أبى بما سيقوله عمى؟

الدكتور : وماذا له من القول فى هذا؟ أعتقد أنه سيسر لظهور حقيقة مهمة كهذه.

هوفستاد : أتسمح لى أن أنشر خبرًا قصيرًا عن هذا الاستكشاف فى رسول الشعب؟

الدكتور : لك الشكر إن فعلت.

هوفستاد : إنه يحسن جدا أن يعرف الجمهور ذلك على عجل.

الدكتور : فعلا.

(*) يستفاد من ترجمة ماركس أفلنج أنه طلب منها جريدة وأنها قدمتها إليه عندما طلب إليها قطعة الورق.

كاتـــــرين : (عائدة) لقد خرجت به الان توًّا.

بيـــلنـــــج : أقسم لك يا دكتور إنك ستصبح أشهر رجل فى البلد.

الدكتــــور : (يتمشى مسرورا) كلام فارغ، إنى لم أفعل على كـل حال إلا ما هو من واجبى، لم أفعل شيئا سوى أنـــى وفقت إلى العثور على لُقية، هذا كل ما فى المـــسألة، ومع ذلك فالأمر على حد سواء.

بيـــلنـــــج : هوفستاد، ألا ترى أن البلدة جـــديرة أن تقـــدم إلـــى الدكتور علامة عرفان بفضله؟

هوفستـــاد : سأقترح ذلك على كل حال.

بيـــلنـــــج : وأنا سأكلم أسلاكسن فى الموضوع.

الدكتــــور : لا يا أصحابى، لا أريد أن تحدث مثل هذه البهـــارج السوقية. لا أطيق أن أسمع بشىء من هـــذا القبيـــل، وإذا فكرت لجنة الحمامات فى تقرير زيادة مرتبـــى فإنى لن أقبلها. أتسمعين يا كاترين؟ لن أقبل.

كاتـــــرين : أنت على حق يا توماس.

بتـــــــرا : (رافعة كأسها) فى صحتك يا أبى.

هوفستـــاد وبيلنـــــج : فى صحتك يا دكتور، فى صحتك.

هورستـــر : (يقرع كأسه بكأس الدكتور) أرجو ألا يعود عليــك من هذا الاستكشاف إلا الخير و المسرة.

الدكتـــــور : شكرًا لكم، شكرًا لكم يا إخوانى الأعزاء، إنى أشــعر بتمام السعادة. من محاسن الأمور أنْ يرى الإنــسان نفسه قادرًا على أن يعمل لبلده عملاً صالحًا ويــؤدى لبنى وطنه خدمة طيبة، مرحى يا كاترين.

(يضع يده حول خصرها ويلفها لفًّا وهى تحتج بأصوات صــراخ وضــحك. الجميــع يــضحكون ويصفقون بأيديهم ويهللون للدكتور، وعند ذلك يطل الأولاد برءوسهم من الباب ليروا ما هو حادث).

«انتهى الفصل الأول»

الفصل الثانى

المنظر:

عين المنظر السابق، إلا أن الباب المـــؤدى إلى غرفة الطعام مقفل، والوقت صباح - تأتى كـــاترين ستوكمان ومعها خطاب مختوم من باب غرفة الطعام، وتذهب إلى باب غرفة مطالعة الدكتور، وتطل برأسها فيها.

كاتـــــرين : أنت هنا يا توماس؟

الدكتـــــور : (من داخل غرفته) نعم دخلت توًّا. (يـــأتى فى غرفـــة الاستقبال) ماذا لديك؟

كاتـــــرين : خطاب من أخيك.

الدكتـــــور : آها، هات لنرى! (يفض الخطاب ويقرأ) أعيـــد إليـــك المسودة التى أرسلتها إلىَّ. (ثم يقرأ بصوت خفـــيض) هِمْ.

كاتـــــرين : ماذا يقول؟

الدكتـــــور : (واضعـــًا الأوراق فى جيبه) أوه، لا يقول شيئًا سوى أنه سيأتى هو نفسه هنا حوالى الظهر.

كاتـــــرين : إذن فحاول أن تُحسِن لقاءه.

الدكتـــــور : لا تخشَىْ بأسا، لقد انتهيـــت مـــن جميـــع عيـــادات الصباح.

كاتـــــرين : أنا فى غاية التلهف على معرفة أثر الخبر فى نفسه.

الدكتـــــور : سترين أنه يكره أن أكون أنا الذى استكشفت المسألة لا هو.

كاتـــــرين : ألا يُقلِق هذا الأمر بالك؟

الدكتـــــور : أوه، سيسره الأمر فى دخيلة قلبه. ولكن بيتـر مـن جهة أخرى شديد الخشية من أن يؤدى غيـره مـن الناس خدمة للبلدة.

كاتـــــرين : اسمع منى يا توماس، يجدر بـك أن تكـون سـمحًا وتقتسم فضل المسألة معه. ألا تستطيع أن تقول إنـه هو الذى نبَّهك إلى هذا الاستكشاف؟

الدكتـــــور : إنى على تمام الاستعداد لهذا، إذا أمكن بذلك أن يـتم الإصلاح المطلوب. إنى...

(مورتن كيل Morten Kiil يطل برأسه من باب البهو وينظر هنا وهناك فى الغرفة مستطلعًا ويضحك).

كيـــــل : **(وعليه سيما التهكم)** أهو، أهو صحيح؟

كاتـــــرين : أبى!، أهذا أنت؟

الدكتـــــور : آه مستر كيل، نهارك سعيد، نهارك سعيد يـا حمـىَّ العزيز.

كاتـــــرين : تفضل، ادخل.

كيـــــــل : إذا كان صحيحًا دخلـــت، وإذا لـــم يكـــن صـــحيحًا انصرفت.

الدكتـــور : إذا كان ماذا صحيحًا؟

كيـــــــل : هذا الخبر الخاص بمسألة مياه الشرب، أهو صحيح؟

الدكتـــور : بالتأكيد صحيح. ولكن خبِّرنى كيف بلغك الخبر؟.

كيـــــــل : **(داخلاً)** مرت علىَّ بترا وهى ذاهبة فى طريقها إلى المدرسة...

الدكتـــور : صحيح؟

كيـــــــل : نعم، وقد قالت. ظننت أنها تـــضحك منـــى، ولكنـــى قدرت أن بترا بعيدة عن مثل هذا.

الدكتـــور : محال طبعًا. كيف تتصور مثل هذا؟

كيـــــــل : أوه، خير للإنسان أن لا يثق بإنسان، قد تجد أنه كان يضحك منك قبل أن تعرف أين أنت، ولكـــن الخبـــر صحيح على كل حال.

الدكتـــور : ثق أنه صحيح. ألا تجلس؟ **(يُجلسه علـــى المقعـــد)**. أليس من حسن حظ البلدة أن...؟

كيـــــــل : **(يخفى ضحكة)** من حسن حظ البلدة؟

الدكتـــــور : نعم، كونى استكشفت الأمر فى وقت...

كيـــــــل : **(مخفيًا ضحكة)** نعم. نعم. نعم، غير أنى ما كنت أظن أنك تَزُل قدم أخيك كما فعلت.

الدكتـــــور : أزل قدمه؟

كاتـــرين : الواقع يا أبى العزيز...

كيـــــــل : **(واضعًا يديه وذقنه على مقبض عصاه وغامزًا بعينه غمز المكر بالدكتور)** هات لنرى. قل لى ما تفصيل الحكاية؟ نوع من الحيوانات دخل فى أقنية المياه، أهو كذلك؟

الدكتـــــور : النقاعية؟ نعم.

كيـــــــل : وإن مقدارًا من هذه الحيوانات قد دخل فى الأقنية، كما تقول بترا، مقدارًا كبيرًا.

الدكتـــــور : بالتأكيد، مئات الألوف منها، غالبًا.

كيـــــــل : ولكن لا يستطيع أحد أن يرى هذه الحيوانات. أليس كذلك؟

الدكتـــــور : مؤكد، لا يستطيع أحد أن يراها.

كيـــــــل : **(بضحك خفيف)** مصيبة! هذه ألطف حكاية سمعتها فى حياتى!

الدكتـــــور : ماذا تعنى؟

كبـــــــل : ولكنك لن تستطيع أن تحمل العمدة علـــى تـــصديق شيء من هذا.

الدكتـــــور : سنرى.

كبـــــــل : أتظن أنه سيكون من الجنون بدرجة أنه...؟

الدكتـــــور : أهل البلدة جميعهم سيصبحون من الجنون بحيث...

كبـــــــل : جميع البلدة!؟ هذا جائز وربىّ! لعمرى ليكونن هـــذا جزاء فى محله، ودرسًا مفيدًا. إنهم يظنون أنفـــسهم أمكر منا نحن كبار السن، لقد طاردونى وأخرجونى من المجلس. نعم. فعلوا ذلك، لقـــد طـــاردونى. الآن سيدفعون ثمن ما فعلوا، وأراك تستدرجهم إلى مزلـــة القدم.

الدكتـــــور : الواقع أنى...

كبـــــــل : أنت تستدرجهم فعلاً، **(ينهض)** إذا استطعت أن تطبخ المسألة حتى يلتهمها العمدة وإخوانه، فـــإنى أتبـــرع بعشرة جنيهات فى سبيل الخير، على الفور.

الدكتـــــور : هذا فضل منك.

كيـــــــل : نعم، ليس عندى من المال ما يسمح بالرمى، أؤكـــد لك. ولكن إذا استطعت أن تقوم بهذا العمـــل فـــإنى أعطى خمسة جنيهات تنفق فى سبيل الخير يوم عيد الميلاد.

(يدخل هوفستاد من باب البهو)

هوفستـــاد : نهاركم سعيد! **(يقف)** وى، معذرة.

الدكتــــور : لا داعى لذلك، ادخل.

كيـــــــل : **(بضحكة أخرى)**، أهو معكم فى هذا؟

هوفستـــاد : ماذا تعنى؟

الدكتــــور : بالطبع معنا.

كيـــــــل : كان جديرًا بى أن أعرف ذلـــك، لابـــد أن المـــسألة تنشرها الجرائد. أنت أعرف بطريق ذلك يا توماس. هلم، أرهف قلبـــك وادخـــل فـــى المـــضمار، والآن فلأنصرف.

الدكتــــور : ألا تجالسنا أكثر من هذا؟

كيـــــــل : لا، لا بد من الانصراف الآن. إنـــك ستـــستمر فـــى المناضلة على كل حال، لن تندم على ذلك، لعنـــة الله علىَّ إن أنت فعلت.

(يخرج وتتبعه كاترين ستوكمان إلى البهو).

الدكتــــور : (ضاحكًا) تصور، إن هذا الرجل لا يصدق شيئا من حكاية أقنية المياه.

هوفستــاد : أكان هذا إذن موضوع الـــ...؟

الدكتــــور : نعم، هو الموضوع الذى كنا نتكلم فيه، ولعلــه هــو بعينه ما أتى بك هنا؟

هوفستــاد : نعم، هو. أتسمح لى ببضع دقائق يا دكتور؟

الدكتــــور : بما تريد يا صاحبى العزيز.

هوفستــاد : هل عرفت رأى العمدة؟

الدكتــــور : لا شىء بعد. إنه آتٍ هنا بعد قليل.

هوفستــاد : لقد فكرت فى الموضوع طويلاً منذ ليلة أمس.

الدكتــــور : ثم؟

هوفستــاد : مسألة أقنية المياه هى من وجهة نظرك بصفة كونك طبيبًا ورجلاً من رجال العلم، مسألة مستقلة، أعنــى إنك لا تدرك أنها تتــضمن عديــدًا مــن المــسائل الأخرى.

الدكتــــور : ماذا تعنى؟ دعنا نجلس يا صاحبى العزيز. لا، بــل أجلس هنا على المقعد. **(يجلس هوفستاد على المقعــد والدكتور ستوكمان على كرسى إلى الجانب الآخر من المنضد)** الآن، أنت تعنى أن...

هوفستاد : قلت أمس إن فساد الماء مسبب عن مواد غير طاهرة موجودة فى تربة الأرض؟

الدكتور : نعم، إنه مسبب عن العفونة السامة الموجودة فى موليدال.

هوفستاد : معذرة يا دكتور، إنى أظن أنه مسبب عن عفونة أخرى.

الدكتور : أى عفونة هذه؟

هوفستاد : العفونة التى بنيت عليها حياة جميع بلدتنا والتى أخذت تعفنها معها.

الدكتور : عجبى، إلى أى شىء ترمى بهذا الكلام يا هوفستاد؟

هوفستاد : إن جميع مصالح البلدة قد انتقلت شيئًا فشيئًا إلى أيدى عصابة من الموظفين.

الدكتور : مهلاً، ليسوا جميعًا موظفين.

هوفستاد : أعرف ذلك، ولكن الذين ليسوا منهم موظفين هم أصدقاء الموظفين وأتباعهم. إن فريق الأغنياء والأسر القديمة فى البلد هو الذى يقبض علينا جميعًا بأيديه.

الدكتـــــور : نعم، ولكنهم على كل حال أهل كفاءة ودراية.

هوفستـــاد : وهل أبدَوْا شيئًا من الكفاية أو الدراية يـــوم وضـــعوا أقنية المياه حيث وضعوها؟

الدكتـــــور : لا، لقد كان هذا بالطبع عملاً فى منتهـــى الحماقـــة، ولكن هذا سيصلح.

هوفستـــاد : وهل تظن أن المسألة ستمر على الهين؟

الدكتـــــور : على الهين أو غير الهين لا يهم، لا بد من الإصلاح على كل حال.

هوفستـــاد : نعم، بشرط أن تتناول الجرائد الموضوع.

الدكتـــــور : لا أظن هذا ضروريًا يا عزيـــزى، إنـــى واثـــق أن أخى...

هوفستـــاد : استسمحك يا دكتور، أرانى ملزمًا أن أخبـــرك أنـــى أميل إلى التصدى للمسألة.

الدكتـــــور : فى الجريدة؟

هوفستـــاد : نعم، لمَّا توليت جريدة رسول الشعب كان قصدى أن أكسر حلقة تلك البقايا القديمة المتحجـــرة المتـــشبثة برأيها التى احتازت كل سلطة فى البلد.

الدكتـــــور : فعلا، ولكنك تذكر أنك نفسك قلت لى كيــف كانــت عاقبة هذه السياسة. لقد خربت جريدتك يومئذٍ تقريبًا.

هوفستــاد : فعلاً، فى ذلك الوقت كنا مضطرين أن نتراجع خطوة أو خطوتين، لأنَّا كنا نخــشى أن يهملــوا مــشروع الحمامات بتاتًا إذا هم تخلوا عنا، أما الآن فقــد نفِّــذ المشروع ويمكننا أن نستغنى عــن هــؤلاء الــسادة العظماء.

الدكتـــــور : تستغنى عنهم؟ نعم، ولكن فى رقبتنــا لهــم جمــيلاً عظيما.

هوفستــاد : سنقر لهم بذلك بلا استياء، ولكن صحفيًّا مثلــى مــن ذوى المبادئ الديمقراطية لا يمكن أن يفــوِّت علــى نفسه فرصة كهذه. يجب أن نغمز فقاعــة العــصمة الحكومية ونمزقها، هــذه الخرافــة يجــب أن تبــدد ويقضى عليها ككل خرافة سواها.

الدكتـــــور : إنى معك فى هذا من كل قلبى يا سيد هوفــستاد، إذا كانت خرافة فليقض عليها.

هوفستــاد : إنى أتردد فى تناول العمدة لأنه أخوك، ولكنى واثــق أنك توافقنى على أن الحق أوجب بالرعاية.

الدكتـــــور : لا مراء فى ذلك. **(بتأكيد مفاجئ)** نعم، ولكن...

هوفستـــاد : إياك أن تسيء بى الظن، لست ذا مصلحة ذاتية أكثر من غالب الناس، ولا أنا أشد منهم طماعية.

الدكتـــــور : يا سيدى العزيز، من أشار إلى شيء من هذا القبيل؟

هوفستـــاد : إنى من أصل غير نابه كما تعرف، وقد أتاح لى هذا فرصة العلم بما يستشعره أمثـــالى أهـــل الطبقـــات المتضعة من الحاجة الشديدة، ألا وهى أن يسمح لهم بالاشتراك فى إدارة المصالح العامة يا دكتـــور. إن فى هذا عونًا لهم على تنميـــة مـــواهبهم وعقـــولهم، واحترامهم أنفسهم.

الدكتـــــور : إنى أقدر هذا حق التقدير.

هوفستـــاد : نعم، وفى اعتقادى أن الصحفى يتحمل أكبر الأوزار إذا هو لم ينتهز فرصة سنحت لتحريـــر الجمهـــور المسكين المضطهد. إنى لأعلم علم اليقين أنهـــم فـــى الدوائر العليا سيسموننى مهيِّجًا، ويرموننى بكل مـــا فى تلك الجعبة، ولكن فليسموننى كما يشتهون. إذا لم يؤنبنى ضميرى فإنى...

الدكتـــــور : صدقت، صدقت يا سيد هوفستاد. ولكن علـــى حـــد سواء، فى داهية.

(يُسمع قرع على الباب) تفضل.

(يظهر أسلاكسن عند الباب وهو لا بس لباسًا حقيرًا، ولكنه ملائم. لونه أسود، أما ربـــاط رقبتـــه فأبيض مُنكمش وفى يديه قفازان قبعة لبّاد)

أسلاكســـن : (ينحنىّ) أرجو يا دكتور أن تصفح...

الدكتـــــور : (ناهضًا) آه، أهو أنت يا أسلاكسن؟

أسلاكســـن : نعم، يا دكتور.

هوفستـــاد : (ناهضًا) أتريدنى يا أسلاكسن؟

أسلاكســـن : لا. لم يخطر ببالى أن أجدك هنا. إنى أريد الدكتور.

الدكتـــــور : إنى على أتم استعداد لخدمتك، هلم...

أسلاكســـن : أصحيح يا سيدى ما بلغنى من مستر بيلـــنج؟ أعنـــى أنك تريد أن تصلح مورد مائنا؟

الدكتـــــور : نعم من أجل الحمامات.

أسلاكســـن : هذا ما فهمت، حسن. إنى أتيت أنهـــى إليـــك أنـــى سأعزز هذه الفكرة بكل وسيلة فى يدى.

هوفستـــاد : (إلى الدكتور) أرأيت؟

الدكتـــــور : أشكرك، ولكن...

أسلاكســـن : لأنه لا بأس أن يكون لك ظهير منا نحن أهل الحرف والصناعات، نحن فى الواقع نعد فى البلـــدة غالبيـــة متراصة إذا أردنا. ويحسن دائمًا أن تكـــون الغالبيـــة معك يا دكتور.

الدكتـــــور : هذا صحيح بلا أدنى شك، ولكنى أقر لكـــم أنـــى لا أدرى لماذا ترون هذه الاحتياطات الخارقـــة للعـــادة ضرورية فى هذه المسألة. يخيـــل إلـــىَّ أن مـــسألة بسيطة صريحة كهذه...

أسلاكســـن : قد يحتاج الأمر إلى ذلك على كل حال. إنى أعـــرف ولاة أمرنا المحليين معرفة جيدة، لـــيس مـــن عـــادة الموظفين أن يعملوا بناءً علـــى اقتراحـــات يقـــدمها غيرهم من الطبقات الأخرى، وهذا ما يدعونى إلـــى الاعتقاد بأنه يجدر بنا أن نقوم بمظاهرة صغيرة.

هوفستـــاد : فى محله.

الدكتـــــور : مظاهرة!؟ علام قيامك بمظاهرة!؟

أسلاكســـن : نحن سنسيـــر بغاية الـــهوادة والاعـــتدال، الاعتدال يا دكتور نصب عينى دائمًا. إنه أكبر فضيلة يتحلـــى بها الوطنى، أنا على الأقل أعتقد ذلك.

الدكتــــور : معروف جدا أن الاعتدال صفة من لوازمك يا سـيد أسلاكسن.

أسلاكســن : نعم، أظن ذلك، وإنى لفخور بهذه الـصفة. ومـسألة مورد الماء هذه على جانب عظيم من الأهمية عندنا نحن أهل الحرف الصغار. إنـه ينتظـر أن تكـون الحمامات بمثابة منجم ذهب دائـم تملكـه المدينـة. وسنرتزق منها نحن جميعًا، ولاسيما من كان منا من أرباب المساكن. وهذا هو السبب الـذى مـن أجلـه سنعزز المشروع بقدر ما يستطاع من القـوة. وبمـا أنى الآن رئيس جمعية أرباب المساكن...

الدكتــــور : نعم؟

أسلاكســن : وفوق ذلك السكرتير المحلى لجمعية الاعتـدال فـى الشراب، ولعلك تعلم يا سيدى أننى أحد العاملين بقوة فى هذا السبيل.

الدكتــــور : بالطبع، بالطبع.

أسلاكســن : حسن، يمكنك أن تفهم أننى متصل بعدد كبير جدا من الناس وإذ إنى مشهور بأنى وطنـى، عفيـف عـن الخمر، مطواع للقانون مثلك يا دكتور، فإن لى فـى

البلد نوعًا من النفوذ وشيئًا من القوة إذا جاز أن أقول ذلك.

الدكتـــــور : أعرف ذلك حق المعرفة يا سيد أسلاكسن.

أسلاكســـن : وعليه، فأنت ترى أنه من السهل على أن أدعو إلـــى القيام بواجب الاعتراف لك إذا قضت الضرورة.

الدكتـــــور : واجب الاعتراف!؟

أسلاكســـن : نعم، شيء مثل شكر من أهل البلد علىَّ ما لك من يد فى مسألة كهذه ذات أثر عظيم فى مصلحة المجتمع. لا حاجة بى إلى القول إنه يجب تحضير الكلمة، مع التزام جانب الاعتدال التزامًا تامًّا، حتى لا نُسيء إلى أولى الأمر الذين فى يدهم عنان الشئون علـــى كـــل حال. إذا راعينا هذا تمام المراعاة، فلن يُسيء أحـــد تأويلها على ما أظن.

هوفستـــاد : بل لنفرض أنها لم تكن على هواهم...

أسلاكســـن : لا. لا، يجب أن لا يكون فيها مس لكرامة الحكومـــة يا سيد هوفستاد. لا يليق أن نغاضب أولئـــك الـــذين تتوقف عليهم رفاهيتنا توقفًا تامًّا. لقد جربـــت هـــذه الخطة فيما مضى فلم أجد من ورائها خيرًا. أمـــا إذا

أبدى الرجل الوطنى آراءه بطريقة معقولة خالصة فإنه لا يُغضِب أحدا.

الدكتور : (هازًا يد أسلاكسن) اسمح لى يا عزيزى أسلاكسن أن أعبر لك عن مزيد اغتباطى إذ أجد مثل هذا التشجيع العلنى من إخوانى المواطنين. إنى مسرور، مسرور، والآن كأسًا صغيرة من نبيذ الشرى.

أسلاكسن : شكرًا لك. لا. لا، إنى لا أشرب كحولاً من هذا النوع.

الدكتور : إذن فما قولك فى قدح من البيرة؟

أسلاكسن : ولا هذا أيضًا. شكرًا لك يا دكتور، لا أشرب شيئًا فى وقت مبكر كهذا. إنى ذاهب إلى البلدة الآن لأتحادث فى المسألة مع واحد أو اثنين من أصحاب المنازل وأمهِّد السبيل.

الدكتور : هذا فضل عظيم منك يا سيد أسلاكسن، ولكنى فى الحقيقة لا أتبين ضرورة هذه الاحتياطات، يُخيل إلىَّ أن المسألة يجب أن تسير من تلقاء نفسها.

أسلاكسن : أولو الأمر بطيئو الحركة نوعًا ما يا دكتور، على أنى أبعد الناس عن العيب فى حقهم!

هوفستـــاد : أنا عازم على تحريكهم غدا فى الجريدة يا أسلاكسن.

أسلاكســـن : ولكن من غيرعنف يا سيد هوفستاد! خذهم بـــالرفق وإلا فما نستطيع أن نجنى منهم ثمرة. اتبع مشورتي، إنى تلقيت الخبرة فى مدرسة الحياة. هه، لا بد لـــى من الانصراف يا دكتور، أنت تعرف الآن أننا نحـــن صغار أهل الحرف وراءك على كل حال مثل الجدار المتين، معك الغالبية المتراصة يا دكتور.

الدكتـــــور : إنى فى غاية الامتنان يا عزيزى الـــسيد أسلاكـــسن. **(يهز يده تحية)** مع السلامة، مع السلامة.

أسلاكســـن : أنت ذاهب فى طريقى صـــوب المطبعـــة يـــا ســـيد هوفستاد؟

هوفستـــاد : سآتى بعد حين، عندى شىء لا بد من إنهائه أولاً.

أسلاكســـن : حسن. **(ينحنى ويخرج ويتبعه الدكتور إلى البهو)**

هوفستـــاد : **(عندمـــا يعـــود الدكتور)** هه، ما قولك فى هـــذا يا دكتور؟ ألا ترى أنه قد حان الوقت لنبعث شيئًا مـــن الحياة فى كل ذلك الخور والتردد والجبن؟

الدكتـــــور : أنت تعنى أسلاكسن؟

هوفستـــاد : نعم، أعنيه. إنه أحد هؤلاء المتخبطين فى الأحـــوال وإن كان الرجل فى ذاته رجلاً طيبًا، وغالب النـــاس فى هذا البلد على مثل حاله يترجَّحون، يميلـــون أولاً إلى جانب، وبعدئذٍ إلى الجانب الآخر. تـــراهم مـــن الحذر والريب بحيث لا يجرءون علـــى أن يخطـــوا خطوة ثابتة لا تردد فيها.

الدكتـــــور : نعم، ولكنى أتبين حسن القـــصد علـــى أتمـــه مـــن أسلاكسن.

هوفستـــاد : هناك صفة أهم فى نظرى من ذلك، تلـــك هـــى أن يكون الرجل ثابت الاعتمادَ على نفسه مطمئنًا إلـــى رجولته.

الدكتـــــور : إنك على تمام الحقّ فى ذلك.

هوفستـــاد : من أجل هذا أريد أن أنتهز هذه الفرصة وأرى هـــل أستطيع أن أبعث شيئًا من الرجولة فى أولئك النـــاس حسَنِى القـــصد؟ يجـــب أن يُحطـــم صـــنم الـــسلطة المنصوب فى هذا البلد، يجب أن نُفهِم كل ذى صوت فى انتخابات أعضاء البلدية حقيقة هذا الحمق والعبث البالغ الذى تناولوا به مسألة الماء.

الدكتـــــور : لا بأس، إذا كنت ترى أن هذا فى مصلحة المجتمـــع فافعل، ولكن لا تفعل شيئاً قبل أن يتاح لى الحـــديث مع أخى.

هوفستـــاد : سأعد، على كل حال، مقالة افتتاحيـــة. وإذا رفـــض العمدة أن يهتم بالموضوع...؟

الدكتـــــور : كيف تقدر أن هذا ممكن؟

هوفستـــاد : إنه جائز، وفى هذه الحالة...

الدكتـــــور : فى هذه الحالة أعدك، أسمح لك فى هـــذه الحالـــة أن تنشر تقريرى بنصه وفصه.

هوفستـــاد : صحيح؟ أتعدنى بذلك؟

الدكتـــــور : **(يعطيه مسودة التقرير)** ها هى ذى مسودته، إليكهـــا، خذها معك. لا ضرر من اطلاعك عليها وإعادتهـــا إلىَّ بعدئذٍ.

هوفستـــاد : حسن. حسن، هذا ما سأفعله. والآن إلى اللقاء، إلـــى اللقاء يا دكتور.

الدكتـــــور : مع السلامة، مع السلامة. سنرى أن الأمور تجـــرى بلا عثار يا سيد هوفستاد، بلا أدنى عثار.

هوفستـــاد : هم. **(يهمهم)** سنرى. **(ينحنى ويخرج)**.

الدكتــــور : (يفتح باب غرفة الطعام ويطل فيهـــا) كـــاترين! أوه، بترا؟ أنتِ عدت؟

بتـــــرا : (تدخل) نعم عدت من المدرسة توًّا.

كاتــــرين : (تدخل) ألم يأت بعد؟

الدكتــــور : بيتر؟ لا، ولكن كان لى حديث طويل مع هوفـــستاد. إن نفسه مشغولة باستكشافى، وأجد لهذا الاستكـــشاف مرامى أبعد مما كنت أظن، وقـــد وضـــع هوفـــستاد جريدته تحت أمرى إذا قضت الضرورة.

كاتــــرين : هل ترى أن ستكون هناك ضرورة؟

الدكتــــور : لا أظن ذلك لحظة، ولكنى أشعر على كل حال بشىء من الاغتباط؛ إذ أعرف أن الصحافة الحـــرة الفكـــر المستقلة فى جانبى. نعم، و... انظرى لقـــد زارنـــى اليوم رئيس جمعية أرباب المساكن.

كاتــــرين : أوه، ماذا كان يريد؟

الدكتــــور : إنه يعرض علىَّ مساعدته أيضًا، وستؤيدنى هيئـــتهم الكلية إذا اقتضى الأمر ذلك. كاترين! أتعرفين مـــاذا ورائى؟

كاتــــرين : وراءك!؟ لا، ماذا وراءك؟

الدكتـــــور : الغالبية المتراصة.

كاتـــــرين : صحيح؟ أهذا شيء ينفعك يا توماس؟

الدكتـــــور : أظن أنه شيء عظيم. **(يتمشى ذهابًا وجيئة إلى أعلى ثم إلى أدنى وهو يفرك كفيه)** أما والله إنه لمن أسعد الأمور أن يشعر الإنسان برباط الأخوة بينه وبين مواطنيه.

بتـــــرا : وأن تكون قادرًا على أن تفعل ما فيه خير ونفع يا أبي.

الدكتـــــور : ولاسيما إذا كان هذا موجهًا إلى بلد الإنسان الذى ولد فيه يا بنيتى.

كاتـــــرين : دق الجرس...

الدكتـــــور : لابد أن يكون هو إذن. **(يُسمع دقًا على الباب)** تفضل.

(يدخل بيتر ستوكمان من الغرفة الخلفية).

بـيـتـــــر : نهاركم سعيد.

الدكتـــــور : سعيد برؤيتك يا بيتر.

كاتـــــرين : نهارك سعيد يا بيتّر، كيف حالك؟

بيتر : لا بأس، شكرا لك. **(إلى الدكتور)** وصلنى منذ أمس بعد وقت العمل تقرير بشأن حالة المياه الواردة إلى الحمامات.

الدكتور : نعم، هل قرأته؟

بيتر : نعم، قرأته.

الدكتور : وما رأيك فيه؟

بيتر : **(بنظرة إلى جانب ويهمهم)** هم!

كاترين : هلم يا بترا. **(تخرج هى وبترا إلى الغرفة التى إلى اليسار).**

بيتر : **(بعد سكوت)** أكان من الضرورى أن تعمل كل هذه التحريات من وراء ظهرى؟

الدكتور : نعم، لأنه يجدر بى أن أتأكد تمام التأكد من المسألة...

بيتر : إذن فأنت تعنى أنك الآن متأكد تمام التأكد؟

الدكتور : أنت بلا أدنى شك مقتنع بذلك.

بيتر : وهل فى عزمك أن تقدم هذه الوثيقة رسميًّا إلى لجنة الحمامات؟

الدكتور : أجل، لابد من عمل شىء فى هذا الصدد، وأن يكون ذلك على وجه السرعة.

بيتر : أنت على عادتك تستعمل عبارات شديدة فى تقريرك، تقول فيما تقول إن ما نقدمه لزوارنا فى الحمامات ليس إلا فيض سم مستديم.

الدكتور : ها! وهل يمكنك أن تصفه وصفًا آخر يا بيتر؟ بالله، ماء ملوث يشربه أو يستحم فيه. هذا ما نقدمه إلى الناس المرضى المساكين الذين يأتون إلينا، واثقين بنا، ويدفعون إلينا مبالغ عظيمة ثمنًا لاستشفائهم ورجوع العافية إليهم.

بيتر : ومقدماتك تؤدى بك إلى هذه النتيجة؟ وهى أنه يجب علينا أن نبنى خزان تصفية يسحب كل القاذورات الناشئة كما تقول من مدابغ موليدال، ويجب علينا أيضا أن نهدم أقنية المياه ثم نبنيها من جديد فى اتجاه آخر.

الدكتور : نعم، هل ترى وسيلة أخرى لإصلاح الحال؟ إنى لا أرى.

بيتر : لقد انتحلت اليوم عذرًا للخروج من المكتب، وقابلت مهندس البلدية، وفتحت له بشكل شبه جدى موضوع هذه الاقتراحات، على تقدير أنه قد ينظر فى أمرها يومًا من الأيام.

الدكتـــــور : يومًا من الأيام!؟

بـيـتــــر : فابتسم لأنه يعتقد أن هذا يكون إسرافا منى بـــالطبع. هل كلفت نفسك تقدير مبلــغ النفقـــة التـــى تتطلبهـــا التغييرات التى نقترحها من المعلومات التى حصلت عليها؟ أفهم أن التكاليف قد تبلغ خمسة عشر ألفًـــا أو عشرين ألف جنيه.

الدكتـــــور : تتطلب هذا المقدار؟

بـيـتــــر : نعم، وأسوأ ما فى الأمر أن العمل لا يتم فى أقل من سنتين.

الدكتـــــور : سنتين!؟ سنتين كاملتين!؟

بـيـتــــر : على الأقل. فماذا تفعل بالحمامات فى غضون هـــذه المدة؟ أنقفلها؟ هذا ما لابد منه. وهل تظن أحدا يأتى إلى المكان بعدما يكون قد شاع فى الآفاق أن المـــاء خطر؟

الدكتـــــور : فعلاً، ولكن يا بيتر هذا هو الواقع.

بـيـتــــر : وكل هذا فى هذا الوقت، فى الوقت الذى أخذت فيـــه الحمامات تعرف ويقبل عليها الناس، وبجوارنا بـــلاد أخرى تستهوى الناس إليها للاستحمام فيها. ألا ترى

أن أهلها لا يترددون فى انتهاز هذه الفرصة وتوجيه عزمهم إلى تحويل تيار الغرباء إلى ربوعهم؟ لا شك أنهم يفعلون ذلك، فإذا حدث هذا، فماذا يكون حالنا؟ لعلنا نضطر إذ ذاك أن نتخلى عن منشآتنا جميعها بعد ما كلفتنا مبالغ فادحة، وعندئذ تكون قد جررت الخراب على بلدك.

الدكتور : الخراب على بلدى!؟ أنا!؟

بيتر : ليس للبلد حظ ولا مستقبل إلا فى الحمامات وحدها، وأنت تعرف هذا كما أعرفه تمامًا.

الدكتور : إذن فماذا ترى أن نفعل؟

بيتر : تقريرك لم يقنعنى أن حالة الماء فى الحمامات بالدرجة التى وصفتها.

الدكتور : بل أؤكد لك أنها أسوأ من ذلك، أو أنها على كل حال ستكون كذلك فى الصيف يوم يدخل الحر.

بيتر : كما قلت لك، أعتقد أنك تبالغ وتهول، إن الطبيب المقتدر جدير أن يعرف ماذا نتخذ من الوسائل. يجب عليه أن يكون قادرًا على منع عوامل الأذى أو معالجتها إذا استقرت على صورة واضحة.

الدكتـــــور : ها، وبعد؟

بـيـتــــر : أجهزة الماء اللازمة للحمامات قائمة لا تقبل التغيير، فالمسألة من هذه الناحية مفروغ منها ويجب أن تؤخذ دائمًا على هذا الاعتبار. ولكن إذا تراءى للجنـــة أن تعمل فإنها قد لا تكون غير ميالة إلـــى النظـــر فـــى الأمر لمعرفة مدى ما يمكن أن تدخله من التحسينات مع مراعاة وجاهة النفقة.

الدكتـــــور : وهل تظن أنى أشترك فى مثل هذا الاحتيال؟

بـيـتــــر : احتيال!؟

الدكتـــــور : نعم، ألا يكون هذا العمل خديعـــة وتزويـــرًا وكـــذبًا وجريمة صريحة تقع على الجمهور بل على المجتمع بأسره؟

بـيـتــــر : لم أستطع، كما قلت لك، أن أقتنع أن هناك ضـــررًا واقعًا فعلاً.

الدكتـــــور : بل أنت مقتنع، يستحيل أن لا تكون مقتنعًا. إنى واثق أننى شرحت الوقائع بتمام الصدق والإنصاف، وأنت تعرف ذلك يا بيتر حق المعرفة، ولكنك لا تريـــد أن تسلم به؟ لقد كان من عملك أنت أن الحمامات وأقنية

المياه بُنيت حيث هى الآن، هذا التعسف والخلط هـــو ما لا تريد أن تعترف به. أتظـــن أنى لا أرى دخيلة نفسك؟

بـــيـــتـــــر : وعلى فرض أن هذا صحيح وأننى أدافع عن سمعتى بشىء من الاهتمام، فإنه فى مصلحة البلـــد. بغيـــر سلطة أدبية لا تكون لى ســـلطة مطلقًـــا فـــى إدارة مصالح الجمهور بما يؤدى فى نظرى إلـــى الخيـــر العام. وعلى هذا الاعتبار، ولأسباب أخرى كثيـــرة، يظهر لى أنه من المهم أن لا يقـــدم تقريـــرك إلـــى اللجنة. يجب عليك فى سبيل المـــصلحة العامـــة أن تسحب تقريرك، ثم بعد مدة أرفع أنا المـــسألة إلـــى اللجنة، وسنبذل قصارى جهدنا فى العمل فيما بيننـــا. ولكن لا يصل شىء عن هذه المســـألة المـــشئومة، ولا كلمة عنها إلى أذن الجمهور.

الدكتـــــور : أخشى أنك غير قادر الآن على منع هذا يا عزيـــزى بيتر.

بـــيـــتـــــر : بل لابد من ذلك، وسيُمنع فعلاً.

الدكتـــــور : لا فائدة من ذلك، أؤكد لك. كثير من الناس عـــالمون به.

بـيـتـــــر : عالمون به!؟ من؟ عسى أن لا يكون من بينهم أولئك الأشخاص الذين يحررون رسول الشعب.

الدكتـــــور : نعم، هم أيضًا يعلمون. إن الصحافة الحرة المـــستقلة أخذت على نفسها أن تلزمك القيام بالواجب.

بـيـتـــــر : **(بعد سكوت قصير)** إنك رجل من قلة التبصر بدرجة خارقة للعادة يا توماس، ألم تفكر فيما يترتب علـــى ذلك من سوء العاقبة لك؟

الدكتـــــور : العاقبة لى؟

بـيـتـــــر : لك ولذويك، نعم.

الدكتـــــور : ماذا تعنى؟

بـيـتـــــر : أعتقد أنى كنت معك دائمًا على حد الأخوة، وكنـــتُ دائمًا سريعًا إلى مرضاتك أو مساعدتك.

الدكتـــــور : نعم، كنت كذلك، وأنا شاكر لك هذا الفضل.

بـيـتـــــر : لا حاجة إلى هذا، الواقع أننى كنت إلـــى حـــد مـــا مضطرًا إلى ذلك، من أجل مصلحة نفسى. لقد كنت أؤمل دائمًا أنى إذا ساعدت علـــى تحـــسين حالتـــك المالية، استطعت أن يكون لى بعض السلطان عليك.

الدكتـــــور : ماذا؟ إذن فقد كان لمصلحتك أن...

بـيـتـــــر : إلى حدٍّ ما. نعم، إنه ليؤلم الرجل المتـولى وظيفـة عامة أن يرى أقرب الناس إليه يوقع نفسه فى الشُّبه مرة بعد مرة.

الدكتـــــور : (ضاحكـاً) وأنت ترى أننى أفعل ذلك.

بـيـتـــــر : نعم، بكل أسف، من حيث لا تدرى أن من طباعـك القلق والمشاكسة والثورة. ثم هناك ذلـك الانـدفاع القاتل وراء الكتابة فى كل أمر ممكن وغير ممكـن. ما تأتى فكرة إلى دماغك حتى تذهب وتكتب مقالـة لجريدة أو تصنع فى شأنها رسالة برَّمتها.

الدكتـــــور : ها، ولكن أليس مـن واجـب الـوطنى أن يُـشرِك الجمهور فى كل فكر جديد يعنُّ له؟

بـيـتـــــر : أوه! إن الجمهور لا يريد شيئًا من الأفكار الجديـدة. خير ما يخدم الجمهور مبادئه الطيبة المقررة لديه من قديم.

الدكتـــــور : أهذا رأيك الخالص؟

بـيـتـــــر : فعلاً، والآن لا بد لى أن أكلمك صراحة بصفة نهائية إلى الآن حاولت أن أتجنب هذه الصراحة، لأنى أعلم

أنك سريع التهيُّج. أما الآن فلابد لى أن أقول لك الحق الصراح يا توماس، أنت لا تدرى أى ضرر توقعه على رأسك بنزقك. أنت تشكو من أولى الأمر، بل إنك لتشكو حتى من الحكومة. أنت دائم الطعن عليهم، ولا تفتر عن القول بأنك مهمَل مضطهَد، ولكن ماذا ينتظر غير ذلك من رجل مثلك شكس؟

الدكتور : ثم ماذا!؟ شكس؟ أنا؟

بيتر : نعم، يا توماس، أنت شكس جدا لا يطاق الشغل معك، أعرف هذا وغرمه علىَّ. أنت لا تبالى بالشىء الذى يجب عليك أن تبالى به، وكأنك تنسى نسيانًا تامًّا أنه يجب عليك أن تشكرنى لتعيينك مفتشًا صحيًّا للحمامات.

الدكتور : لقد كنت أستحق الوظيفة بطبيعة الحال، أنا لا سواى. كنت أول من رأى أن البلدة يمكن أن تصبح بلدة حمامات زاهية يستشفى بمائها، وكنت أول من رآها فى ذلك الوقت. ولقد جاهدت أنا وحدى مدى أعوام عديدة فى سبيل تحقيق هذه الفكرة، وكتبت وكتبت.

بيتر : لا إنكار فى ذلك، ولكن الأمور لم تكن مهيأة لتنفيذ المشروع يومئذٍ. وإن لم تكن تستطيع وأنت فى

أقصى البلاد أن تعرف ذلك، ولكن لمّا حان الوقت الملائم أخذت المسألة أنا والآخرون فى يدى.

الدكتور : نعم، وأتيتم كل ذلك الخبط والخلط الذى شوّه جمال مشروعى. لقد ظهرت الآن مهارتكم أيها السادة.

بيتر : يخيل إلىَّ أنك إنما عدت تلتمس منفسًا لما يجيش فى صدرك من الخصومة واللدد. أنت تريد أن تتقاتل مع رؤسائك وهى عادة فيك قديمة. أنت لا تطيق أن يكون عليك لأحد سلطة. تنظر شذرًا دائمًا إلى كل من هو فى مرتبة رسمية أعلى من مرتبتك، تنظر إليه كأنه ألد أعدائك، وعليه فكل عصا تلقاها تكون صالحة لضربه بها. ولكنى الآن قد لفتك إلى أن مصالح البلدة رهن الخطر، وبالمصادفة مصالحى أيضًا، وعليه فلابد لى أن أخبرك أنك ستجدنى ثابتًا صلبًا فيما أنا على وشك أن أطلب إليك فعله.

الدكتور : وما هو هذا؟

بيتر : بما أنك كنت غير حصيف حين تحدثت إلى الغرباء فى هذه المسألة الدقيقة، فى حين أنه كان يجب عليك أن تعدها مسألة رسمية جدا وسرية، فقد أصبح من

المستحيل الآن إسكات الألسنة، وستنشر على الفور أنواع مختلفة من الإشاعات، وسيعمل كل من عنده علينا حفيظة على تزويق هذه الإشاعات وترويجها، وعليه فلابد لك من إنكارها وتكذيبها علنًا.

الدكتور : أنا! كيف؟ إنى لا أفهم.

بيتر : إن ما يُنتظر منك فعله هو أن تعلن أنك بعد أن قمت بأبحاث أخرى وجدت أن المسألة ليست من الخطورة ولا من الحرج بالدرجة التى زعمتها أول الأمر.

الدكتور : أهذا ما تنتظره منى؟

بيتر : أجل، وفوق ذلك ننتظر منك أن تُقر علنًا بثقتك باللجنة، وبأنها على استعداد تام للنظر بعين الاهتمام والعناية فيما يلزم لملاقاة ما يحتمل وجوده من العيوب.

الدكتور : ولكنكم لن تستطيعوا أن تفعلوا ذلك بالترقيع والرَّفْو. محال! صدقنى يا بيتر، إنى أعنى ما أقول صراحة وتأكيدًا.

بيتر : ليس لك الحق وأنت موظف تحت أمر اللجنة أن يكون لك رأى خاص.

الدكتـــــور : (دهشـــاً) ليس لى الحق؟

بـــيـــتــــر : بصفة رسمية، لا. إذا كنت شخصا حرًّا فالمسألة غير ذلك. أما وأنت موظــف مــرءوس مــن مــوظفى الحمامات فليس لك الحق فى أن تبدى رأيًا يخــالف رأى رؤسائك.

الدكتـــــور : هذا كثير جدا. أنا دكتور ورجل من رجال العلم، ألا يكون لى الحق أن...؟

بـــيـــتــــر : ليست المسألة التى نحن فى صددها مــسألة علميــة مجردة، إنها مسألة مركبة، لها وجه اقتصادى كما أن لها وجهًا فنيًّا.

الدكتـــــور : لا يهمنى ماهيتها، إنى عازم على التمسك بحريتــى فى إبداء رأيى فى أى موضوع تحت الشمس.

بـــيـــتــــر : كما تريد، ولكن ليس الحال كذلك إذا كان الموضوع خاصًّا بالحمامات. هذا ما أنهاك عنه.

الدكتـــــور : (يزعق) أنتم تنهونى عنه!؟ أنتم!؟ ثلة من...

بـــيـــتــــر : أنا أنهاك، أنا رئيــسك! وإذا نهيتــك فلابــد لــك أن تطيع.

الدكتـــــور : (يكبح جماح نفسه) بيتر، لو أنك لم تكن أخى..

بتـــــرا : (تفتح الباب بشدة) أبى ما عليك أن تحتمل هذا.

مدام ستوكمان: (تدخل وراءها) بترا! بترا!

بـيـتـــــر : ها، إذن فقد كنتما تسترقان السمع!؟

كاتـــــرين : لقد كنت تتكلم بصوت عالٍ فلم يكن فى استطاعتنا...

بتـــــرا : نعم، كنتُ أتسمَّع.

بـيـتـــــر : حسن، إنى مرتاح إلى ذلك على كل حال.

الدكتـــــور : (ذاهبـــاً إليه) لقد كنت الآن تقول شيئاً عـــن النهـــى والطاعة.

بـيـتـــــر : لقد أجبرتنى أن أستعمل معك هذه اللهجة.

الدكتـــــور : وعليه فلابد لـــى أن أكـــذِّب نفـــسى علـــى رءوس الأشهاد.

بـيـتـــــر : نحن نرى ضرورةً وحتمًا أن تعلن بلاغاً من قبيل ما ذكرت.

الدكتـــــور : وإذا أنا لم... أطاوع؟

بـيـتـــــر : إذن فنحن أنفسنا ننشر بلاغاً نطمئن به الجمهور.

الدكتـــــور : حسن، ولكنى فى هذه الحالة سأستعمل قلمى ضدكم. إنى ثابت على ما قلت، سأبين أنى على حق وأنكـــم على باطل؛ فماذا أنتم فاعلون بعد ذلك؟

بيتر : إذن فلن أكون قادرًا على منع عزلك.

الدكتور : ماذا؟

بترا : أبى! يعزل!؟

كاترين : يعزل!؟

بيتر : يعزل من بين موظفى الحمامات. سأكون مضطرًا إلى اقتراح أن تُعطى إعلانًا بعزلك على الفور، وأن لا يسمح لك بالاشتراك بعد ذلك فى شئون الحمامات.

الدكتور : مثلك من يجرؤ على مثل هذا.

بيتر : إنما أنت الجرىء لا أنا.

بترا : عمى! من العار أن تعامل رجلاً مثل أبى هذه المعاملة.

كاترين : بترا! اخرسى.

بيتر : **(ناظرًا إلى بترا)** أوه، إذن فقد دخلنا فى دور التطوع بالآراء! بالطبع. **(إلى كاترين)** كاترين، إنى أرى أنك أعقل إنسان فى هذا المنزل، استعملى كل ما لك من التأثير فى زوجك وأبينى له ماذا يترتب على فعله من الأضرار به وبعائلته.

الدكتور : عائلتى شأنى لا شأن غيرى.

بيتر : بعائلته كما كنت أقول، وكذا بالبلدة التى يعيش فيها.

الدكتور : إذا كان فى البلدة من يهتم بها فهو أنا. أريد أن أكشف عن العيوب التى لابد أن ينكشف أمرها يومًا ما قريبًا أو بعيدًا وسأُرِى الناس أنى أحب بلدى.

بيتر : أنت! الذى تريد بعنادك الأعمى أن تقطع عن البلدة أهم موارد خيرها؟

الدكتور : هذا المورد مسموم يا رجل. أأنت مجنون!؟ إن معيشتنا على توزيع الأقذار والأوضار. كل حياتنا البلدية الزاهرة تستعيد وجودها من أكذوبة...

بيتر : كل هذا وهم، أو شىء أقبح من الوهم. والرجل الذى يرمى بلده بمثل هذه التهم الشنيعة لابد أن يكون عدوًّا للشعب.

الدكتور : (ذاهبًا إليه) أتجرؤ أن...!؟

كاترين : (تلقى نفسها بينهما) توماس.

بترا : (قابضة على ذراع أبيها) لا، هدئ جأشك يا أبى.

بيتر : لن أعرض نفسى للصدام، ها أنت ذا قد أتاك الإنذار ففكر فيما يجب عليك لنفسك ولذويك. الوداع. (يخرج).

الدكتــــور : **(متمشيـــاً هنا وهناك)** أيجدر بى أن أحتمل معاملـــة كهذه؟ وفى بيتى يا كاترين!؟ ما رأيك فى هذا؟

كاتـــرين : حقا إنه لعيْبٌ ونكرٌ معًا يا توماس.

بتـــــرا : آه. لو أننى أستطيع أن أبدى لعمى بعض رأيى فيه.

الدكتـــور : الذنب ذنبى. كان يجب أن أهبَّ فيه من زمـــن بعيـــد وأكشِّر له عن أنيـــابى، وأزجـــره. يـــسمينى عـــدو الشعب!؟ أنا؟ لن أتجاوز عن هـــذه الفريـــة، محـــال وشرفى.

كاتــــرين : ولكن يا عزيزى توماس، أخوك فى جانبه القوة.

الدكتــــور : وأنا فى جانبى الحق، أؤكد لك.

كاتــــرين : الحق! الحق! ما فائدة أن يكون فى جانبك الحـــق إذا لم تكن معك القوة؟

بتـــــرا : وى، أمى! كيف تقولين هذا الكلام!؟

الدكتــــور : أأنت ترين أنه لا فائدة من أن يكون الحق فى جانب الإنسان فى بلد حر؟ أمرك عجيب يا كاترين. ومـــع ذلك، أليست الصحافة الحرة المـــستقلة فـــى طليعـــة الطريق، والغالبية العظمى من ورائى؟ أرى فى ذلك قوة كافية!

كاتـــــرين : ولكن، يا لله، توماس إنك لا تعنى أنك...

الدكتـــــور : لا أعنى ماذا؟

كاتـــــرين : أن تتصب نفسك لمناهضة أخيك.

الدكتـــــور : بالله خبرينى، ماذا تظنين أنـــى فاعــل إلا أن أقــف موقف الحق والصدق؟

بتـــــــرا : أجل، هذا ما كنت على وشك أن أقوله.

كاتـــــرين : ولكن هذا لا يفيدك فائدة دنيوية. إذا كانوا لا يريدون العمل بفكرتك. فإنهم لن يعملوا عليها.

الدكتـــــور : أوه، كاترين، أعطينى الوقت وأنا أريك كيف أحاربهم فى عقر دارهم.

كاتـــــرين : أجل، تحاربهم فى عقر دارهم ولا تأخذ إلا خطـــاب عزلك، هذا ما أنت فاعل.

الدكتـــــور : سأكون قد قمت على كل حـــال بـــواجبى للجمهـــور وللمجتمع، أنا الذى أُسمَّى عدوًّا له.

كاتـــــرين : وأين واجبك نحو عائلتك يا توماس؟ نحو بنيك أنـــت نفسك، أترى أنك بهذا تؤدى واجبًا لمن تعول؟

بتـــــــرا : لا تفكرى على الدوام فينا أولاً يا أمى.

كاتـــــرين : يسهل عليك أن تتكلمى، أنت قـــادرة علـــى تحـصيل عيشك بنفسك إذا اقتضى الحال، ولكن تذكر أولادك يا توماس، وفكر قليلاً فى نفسك أنت أيضًا، وكذلك فىَّ.

الدكتــــور : أظن أنك فقدت رشدك يا كاترين. إذا أنا بلغت مـــن الخسة والجبن حد الذهاب والجثو أمام بيتر وعصبته السافلة، أتظنين أنى أعرف طعمًا لراحـــة الــضمير طول عمرى بعدها؟

كاتـــــرين : لا أعرف شيئًا عن هذا ولكنى أدعو الله أن يحمينـــا من راحة الضمير التى ستكون لنا على كل حـــال إذا استمررتَ على مناهضته! ستجد نفسك معدمًا مـــرة أخرى لا تملك وسيلة القوت ولا إيراد لـــك تعتمـــد عليه. أظن أننا نلنا الكفاية من هذا فى الزمن السابق تذكر هذا يا توماس وفكر فى معناه.

الدكتــــور : **(يسكن نفسه بالجهد ويشد على قبضة يده)** وهذا ما تجلبه هذه العبودية على رجل حر شريف! أليس هذا منكرًا يا كاترين؟

كاتـــــرين : حقًا إنه لحرام أن يعاملوك هكذا. لا. حرام حقًّا ولكن وأسفاه! على المرء أن يصبر لكثير من المظالم فـــى

هذه الدنيا. هاك الأولاد يا توماس. انظر إليهم. مــاذا يحل بهم؟ لا. لا، لا يطاوعك قلبك. **(إيليف وموترتون يكونان قد دخلا أثناء كلامهما وكتبهما المدرسية فى أيديهما).**

الدكتـــور : الأولاد! **(ينتبه على حين فجأة)** كلا. ولــو تهـشمت الدنيا جميعها، لن أحنى رأسى لهذا النير.

(يذهب صوب غرفته).

كاتــرين : **(تتبعه)** توماس، علام عولتَ؟

الدكتـــور : **(عند الباب)** عوّلت على أن أستبقى لنفسى الحق فى النظر إلى وجوه أولادى، يوم يكبـرون ويـصيرون رجالاً. **(يدخل غرفته).**

كاتــرين : **(تندفع باكية)** الله يسترنا جميعًا.

بتـــرا : أبى رجل عظيم. إنه لــن يــسلم. **(الأولاد ينظــرون دهشين وبترا تشير إليهم إشارة الإسكات).**

«انتهى الفصل الثانى»

الفصل الثالث

المنظر:

مكتب تحرير «رسول الشعب» باب الدخول إلى يسار الجدار الخلفى. ويوجد إلى اليمين باب آخر ذو ألواح من الزجاج تبدو منه صناديق الطبَّاعين. وهناك باب فى الجدار الأيمن. وفى وسط الغرفة منضد كبير مغطى بالأوراق والجرائد والكتب. وفى مقدمة المرزح من اليسار نافذة أمامها مكتب وكرسى عالٍ، وهناك متكآن (فوتيلان) على جانبى المنضد، وعدة كراسى مرصوصة إلى جانب الجدار، والغرفة ضئيلة النور لا تتوفر فيها أسباب الراحة، والأثاث فيها قديم والكراسى ملوَّثة وممزقة.

فى غرفة المطبعة يُرى الجمَّاعون مشتغلين، وكذلك يُرى طباع يشتغل على مطبعة يد... هوفستاد جالس يكتب. يأتى بيلنج من اليمين ومعه مسودة مقالة الدكتور ستوكمان.

بيلنج : يجب أن أقول!

هوفستاد : (وهو مشغول بالكتابة) هل قرأتها؟

بيلنج : (يضع المسودة على المكتب) أجل ، فعلاً.

هوفستـــاد : ألا ترى أن الدكتور يضربهم ضربات قوية؟

بيــلنــــج : يا مغيث... إنها هاشمة. كل كلمة تقع كأنهـــا، مـــاذا أقول، كأنها مطرقة.

هوفستـــاد : نعم، ولكن هؤلاء الناس ليسوا ممن ينثنون تحت أول ضربة.

بيــلنــــج : هذا صحيح، ولهذا يجب أن نضربهم مرة بعد أخرى حتى ينهار بناء تلك الأرستقراطية حجرًا فوق حجر. لقد خُيِّل إليَّ وأنا أقرأ هذه المقالة أن الثـــورة علـــى الأبواب.

هوفستـــاد : **(يتلفت)** هش. صه. تكلم بحيث لا يسمعك أسلاكسن.

بيــلنــــج : **(يخفض صوته)** أسلاكسن ذو قلب كقلب الدجاج جبان، ليس فيه من صفات الرجولة شيء. ولابد لـــك هـــذه المرة أن تُصرَّ على تنفيذ رأيك. أليس كذلك؟ لا بـــد من نشر مقالة الدكتور.

هوفستـــاد : نعم، وإذا لم يوافق العمدة عليها...

بيــلنــــج : سيكون من وراء ذلك نصب كبير.

هوفستـــاد : إيه. من حسن الحظ أننا نستطيع أن نستفيد من هـــذا الموقف مهما كانت النتائج. إذا لم يوافق العمدة على

مشروع الدكتور أصبح صغار أرباب الحرف كلُّهم ضدًّا له، وكل أعضاء جمعية أصحاب الأملاك وأضرابهم. وإذا وافق على المشروع فإنه يستغضب الجمهور الأعظم من أصحاب الأسهم الكبار في الحمامات، وهم إلى الآن أقوى أنصاره.

بيلنج : نعم، لأنهم سيضطرون بكل تأكيد أن يدفعوا من جيوبهم ثمن الإصلاح.

هوفستاد : هذا ما لا بد أن يحدث، فأنت ترى أن رابطتهم لا بد أن تنفصم بهذه الطريقة. وعليه فإننا نستطيع أن ننشر فى كل عدد من الجريدة نبذة للدلالة على عدم كفاءة العمدة. مسألة بعد مسألة، ونبين للجمهور بأوضح عبارة ضرورة وضع كل وظائف المسئولية ومراقبة شئون البلدة برمّتها فى أيدى الأحرار.

بيلنج : هذا هو الحق! هذا هو. إنى أرى الساعة آتية. الساعة آتية، نحن على حافة الثورة!

(يُسمع دق على الباب)

هوفستاد : هش. صه. (ينادى) ادخل! **(يدخل الدكتور ستوكمان من باب الشارع، يذهب هوفستاد للقائه)** آه. أهو أنت يا دكتور!؟ خيرًا!؟

الدكتـــور : لك الآن أن تشرع فى العمل وتنشرها يا سيد هوفستاد.

هوفستاد : وصلت المسألة إلى هذا، إذن.

بيلنج : مرحى!

هوفستاد : نعم، انشرها. فعلاً وصلت المسألة إلى هذا الحد... لا بد لهم الآن أن يأخذوا ما يستحقون. سيحدث فى البلدة نضال يا مستر بيلنج.

بيلنج : آمل أن يكون قتالاً بالسكاكين، سنضع السكاكين على حلوقهم يا دكتور.

الدكتـــور : هذه المقالة فتح باب فقط، لقد أعددت فى رأسى أربع مقالات أو خمسًا. أين أسلاكسن؟

بيلنج : (ينادى داخل غرفة المطبعة) أسلاكسن! تعال هنا دقيقة.

هوفستاد : أربع مقالات أو خمسًا. تقول؟ فى نفس الموضوع؟

الدكتـــور : لا يا عزيزى، لا، إنها بشأن موضوع يكاد يكون غير موضوعنا. ولكنها متفرعة جميعها على موضوع مياه الشرب والصرف... شىء يؤدى إلى شىء. أليس كذلك؟ الأمر أشبهُ شىءٍ بهدم بيت قديم بالضبط.

بيلنج : حقًّا. حقًّا. لا تجد أنك انتهيت حتى تكون قد هدمت البيت القديم الدارس كلَّه.

أسلاكسن : (داخلاً) هدم! عسى أن لا يكون قصدك هدم الحمامات يا دكتور.

هوفستاد : كلا. كلا، لا تخش بأسًا.

الدكتور : لا، نحن نعنى شيئًا غير هذا بتاتًا. ما رأيك فى مقالتى يا مستر هوفستاد؟

هوفستاد : أرى أنها آية من الآيات.

الدكتور : أترى ذلك حقًّا؟ إنى مسرور جدًّا، مسرور جدًّا.

هوفستاد : إنها واضحة المبنى والمعنى، لا يحتاج الإنسان لفهم محمولها إلى سبق علم خاص، وسيكون معك كل رجل مستنير.

أسلاكسن : وكل رجل حكيم، على ما أرجو.

بيلنج : الحكيم وغير الحكيم، جميع أهل البلدة تقريبًا.

أسلاكسن : فى هذه الحالة نستطيع أن نجرؤ فنطبعها.

الدكتور أظن ذلك.

هوفستاد : سننشرها فى عدد الغد.

الدكتـــــور : بالطبع، لا يصح أن نضيِّع يومًا واحـــدًا. إن الـــذى أردت أن أرجوك له يا مـــستر أسلاكـــسن هـــو أن تُشرف على طبعها بنفسك.

أسلاكســـن : بكل ارتياح.

الدكتـــــور : احرص عليها كأنها كنز! لا يكن بها أغلاط مطبعية. كل كلمة فيها مهمة... سأرجع إليكم مرة أخرى بعـــد قليل... فعـــسى أن تـــستطيعوا تجهيـــز تجربـــة. لا أستطيع أن أعبر لك عن فرط شوقى إلـــى رؤيتهـــا مطبوعة، وأن أراها تنفجر فوق رأس الجمهور.

بيـــلنــــج : تنفجر فوق رأس الجمهور، نعم كالبرق الخاطف.

الدكتـــــور : وأن تقدَّم إلى محكمة المستنيرين من أهل بلدتى. إنك لا تدرى قدر ما قاسيت اليوم، لقد هُدِّدتُ أولاً بـــأمر ثم بآخر. حاولوا أن يسرقوا منى أبسط ما لـــى مـــن الحقوق بصفة كونى إنسانًا.

بيـــلنــــج : ماذا!؟ ما لك من الحقوق بصفة كونك إنسانًا؟

الدكتـــــور : لقد حاولوا أن يحطُّوا من كرامتى ويجعلوا منى رجلاً أخرق جبانًا، ويحملـــونى علـــى تقـــديم مـــصلحتى الشخصية على عقيدتى المقدسة.

بيلنج : هذا كثير جدا، أقسم أنه كثير جدا.

هوفستاد : لا تعجب لشىء يأتى من تلك الجهة.

الدكتور : لن يلقوا منى إلا الشر كله، ثق واطمئن. وسأجعل هذه الجريدة مِرساة لى ألقى عليهم منها كل يوم مقالة بعد مقالة كالقذيفة المتقدة.

أسلاكسن : نعم ولكن...

بيلنج : مرحى! حرب! حرب!

الدكتور : سأضربهم حتى أهدمهم، سأهشمهم. سأكسر كل حصونهم أمام أعين جمهورنا الكريم، هذا ما سأفعله حقا.

أسلاكسن : نعم. ولكن بالاعتدال يا دكتور، سر فى عملك بالاعتدال.

بيلنج : أبدًا. أبدًا، لا تبخل عليهم بالديناميت.

الدكتور : لان المسألة كما تعلم لا تقتصر الآن على كونها مسألة مورد الماء والمصارف. لا، إن حياتنا الاجتماعية كلها محتاجة إلى التطهير والتنقية.

بيلنج : كلام ككلام المخلِّصين!

الدكتــــور : يجب طرد جميع الذين لا كفاءة لهم. فاهم؟ وذلك فى أى مجال من مجالات حياتنا! لقد لاحتَ لعينى اليـوم صور لا حدَّ لها. نعم، إننى لا أستطيع حتى الآن أن أتبينها جليًّا ولكننى سأتبينها فى حينها. شبان أقويـاء يحملون العلم، هؤلاء هم الذين ننـشدهم اليـوم يـا إخوانى، يجب أن يتولى زمام أمورنا رجال جدد.

بيلنـــج : مرحى، مرحى!

الدكتــــور : لسنا فى حاجة إلا إلى أن يقف بعضنا إلـى جانـب بعض ليسْهُل كل عسير، سندفع الثورة كالسفينة التى تدلى إلى الماء مزدلفة. ألا ترى ذلك؟

هوفستــاد : أما أنا فأعتقد أن لدينا الآن ما يدل علـى أن سـلطة البلدة ستصبح فى الأيدى الجديرة بها.

أسلاكسـن : وإذا سرنا باعتدال فلا مخاطرة فى شىء.

الدكتــــور : ومن ذا الذى يهتم بأمر المخاطرة أو غير المخاطرة؟ إن ما أنا فاعله أفعله باسـم الحـق ولأجـل راحـة ضميرى.

هوفستــاد : أنت رجل تستحق أن تُنصر، يا دكتور.

أسلاكسن : نعم. لا شك فى أن الدكتور صديق صادق للبلدة، صديق حقيقى للمجتمع، هذا هو الواقع.

بيلنج : صدقنى يا أسلاكسن الدكتور ستوكمان هو صديق الشعب.

أسلاكسن : يُخيَّل إلىَّ أن جمعية أرباب الأملاك ستستعمل هذا التعبير فى وصف الدكتور عما قريب.

الدكتور : **(متأثرًا، يقبض على أيديهم)** أشكركم يا أصدقائى الأقوياء، إنه لينعشنى أن أسمعكم تقولون هذا. لقد نعتنى أخى نعتًا خلاف ما تذكرون، أما والله لأردنَّ إليه هذا بربحه. يجب على أن أنهض لأزور مريضًا وسأعود إليكم كما قلت. اعتن شديد الاعتناء بمسودة المقالة يا أسلاكسن، وإياك بحال من الأحوال أن تترك علامة من علامات التعجب وغير ذلك، تزدها واحدة أو اثنتين إذا شئت... عظيم، عظيم! هه. إلى اللقاء! ومؤقتًا إلى اللقاء، إلى اللقاء.

(يذهبون لتوديعه إلى الباب وينحنون له)

هوفستاد : قد يأتى من ورائه نفع كبير لنا.

أسلاكسن : نعم، ما دام لا يتخطى مسألة الحمامات هذه، أما إذا تخطاها وأوغل في الميدان فإني لا أرى من المستصوب أن نتبعه.

هوفستاد : (يهمهم) هذا يتوقف على...

بيلنج : أنت هيّابة يا أسلاكسن.

أسلاكسن : نعم، إذا كانت المسألة تمس رجال الإدارة المحليين فأنا هيَّابة يا مستر بيلنج. هذا درس تعلمته في مدرسة التجاريب. دعنى أقُلْ لك ذلك. أما المسائل السياسية العليا التى لها علاقة بالحكومة نفسها فجربنى فيها ثم انظر هل أنا هيَّابة أو لا.

بيلنج : لا ، لست هيَّابة. أُسلم لك، ولكنك تناقض نفسك.

أسلاكسن : إنى رجل ذو ضمير، وهذا هو الموضوع كله. إذا أنت طعنت رجال الحكومة فإنك لا تؤذى المجتمع أبدًا، لأن هؤلاء الأشخاص لا يهتمون بالمطاعن بتاتًا بل يستمرون فى طريقهم كما كانوا بغير ملكهم، أما رجال الإدارة البلدية المحليون فهم صنف آخر فى طاقتك طردهم، ولكن ربما أتيت يومئذٍ بفريق جاهل يتولى زمام العمل فيُحدِث أضرارًا أو ينزل بأرباب الأملاك وغيرهم خسائر لا تُعوَّض.

هوفستـــاد : ولكن ما قولك فى تربية مواطنيك بالحكم الذاتى؟ ألا تعلِّق أهمية على هذا؟

أسلاكســـن : إذا كانت للإنسان مصالح خاصة تستوجب الـــصيانة فإنه لا يستطيع أن يفكر فى كل شـــىء، يـــا مـــستر هوفستاد!

هوفستـــاد : إنى أرجو أن لا تكون لى مصالح خاصـــة تلزمنـــى صيانتها.

بيـــلنـــــج : مرحى، مرحى!

أسلاكســـن : (بابتسام) هَم. (يشير إلى المكتب) لقد كـــان المـــستر ستنزجارد سلفًا لك على هذا المكتـــب فـــى رياســـة التحرير.

بيـــلنـــــج : (باصقـــاً) باه، ذلك المتلوِّن المذبذب؟

هوفستـــاد : لست كدوَّارة الرياح ولن أكونها.

أسلاكســـن : يجدر بالسياسى أن لا يقطع بشىء يا مستر هوفستاد. وأنت يا مستر بيلنج، أرى أنه قد حان الوقت الـــذى يجدر بك فيه أن تطوى من شراع سفينتك قطعـــة أو اثنتين ما دمت قد قـــدمت طلبًـــا لوظيفـــة ســـكرتير المحكمة الخالية.

بيلنج : أنا!؟

هوفستاد : (لبيلنج): أحقًّا يا بيلنج؟

بيلنج : نعم، صحيح. ولكن يجب أن تعلم أنى إنما فعلت ذلك لأغيظ أولئك المتعصبين.

أسلاكسن : على كل حال، لا يهمنى هذا. ولكن إذا اتهمنى أحد بالجُبن وبعدم الثبات على مبدئى فهذا ما أريد أن أقوله، إن ماضىَّ السياسى كتاب مفتوح. لم أتغير بتاتا، اللهم إلا لأصبح معتدلاً قليلاً. إن قلبى لا يزال مع الشعب، ولكنى لا أنكر أن فى فؤادى شيئًا من الميل إلى وُلاة الأمر، الولاة المحليين أعنى. **(يذهب إلى غرفة المطبعة).**

بيلنج : ألا يجدر بنا أن نعمل على الخلاص منه يا هوفستاد؟

هوفستاد : أتعرف شخصًا سواه يقدم لنا المال اللازم لشراء الورق ودفع أجرة الطبع؟

بيلنج : من أعظم البلاء أننا لا نملك شيئًا من رأس المال للاشتغال به.

هوفستـــاد : **(جالســـاً إلى مكتبه)** فعلاً، لو كان عندنا رأس مال، إذن...

بيـلنـــج : ما رأيك فى الالتجاء إلى الدكتور ستوكمان؟

هوفستـــاد : **(يقلـــب أوراقـــا أمامه)** وما الفائدة؟ الرجل لا يملك شيئًا.

بيـلنـــج : لا، ولكن وراءه رجلاً مليئًا، مورتن كيـــل العجـــوز الذى يسمونه إليغر.

هوفستـــاد : **(يكتب)** أأنت متأكد أنه غنىٌّ؟

بيـلنـــج : يا إلهى؟! بالطبع غنى، وسيكون جزء من مـــا لـــه لعائلة ستوكمان، ومن المحتمل جدا أن يعمل شيئاً من أجل الأولاد على كل حال.

هوفستـــاد : **(يلتفت نصف التفات)** أأنت معتمد على هذا؟

بيـلنـــج : معتمد!؟ أنا لا أعتمد على شىء بالطبع.

هوفستـــاد : مرحى، وأنا أيضًا لا أعتمد على سكرتارية المحكمة لو كنت مثلك. إنك لن تحصل على هذه الوظيفة أؤكد لك.

بيـلنـــج : أتظن أنى لست واثقًا من ذلك؟ إن جوهر قصدى هو أن لا أحصل عليها. قليل من هذا ينبِّه قوى الإنـــسان

للقتال، فهو أشبه شيء بتعاطيك مقدارًا جديدًا من مرارة الغلِّ. وإني أعتقد أن الواحد منا في مكان كهذا، حيث يندر أن يحدث شيء يحرك الإنسان، محتاج إلى مثل هذا المنبه القوى.

هوفستاد : (يكتب) صحيح، صحيح.

بيلنج : آه، سيكون لى نبأ عما قريب. والآن أنا ذاهب لكتابة نص الدعوة إلى جمعية أرباب الأملاك. **(يذهب داخلاً الغرفة الواقعة إلى اليمين).**

هوفستاد : **(جالسًا إلى مكتبه يعضُّ فى طرف ريشته ويقول على مهل)** هم! هو كذلك **(تُسمع دقة على الباب)** تفضل. **(تدخل بترا من الباب الخارجى، ينهض هوفستاد)** ما هذا! أنت! هنا؟

بترا : أجل، أرجو معذرتى.

هوفستاد : **(ساحبًا كرسيًا إلى الأمام)** ألا تجلسين؟

بترا : لا، لا بد لى من الذهاب على الفور، أشكرك.

هوفستاد : لعلك آتية فى رسالة من الوالد؟

بترا : لا، لقد أتيت بملكى. **(تتناول كتابًا من جيبها)** هذه هى الرواية الإنجليزية.

هوفستـــاد : لماذا تردِّينها إلىَّ؟

بتـــــــــرا : لأنى لا أنوى أن أترجمها.

هوفستـــاد : ولكنك وعدتنى بذلك.

بتـــــــــرا : نعم، ولكنى لم أكن قرأتها، ولا أظن أنك أيـضًا قـد قرأتها.

هوفستـــاد : لا، أنت تعلمين أنى لا أعرف الإنجليزية ولكن...

بتـــــــــرا : صحيح، ولهذا أردت أن أخبرك أنه يجدر بك أن تقدم شيئًا آخر. (تضع مجلد الرواية على المكتب). إنـك لا تستطيع أن تنشر هذه الرواية فـى جريـدة رسـول الشعب.

هوفستـــاد : ولماذا؟

بتـــــــــرا : لأنها تناقض كل آرائك.

هوفستـــاد : أوه، من هذه الوجهة!

بتـــــــــرا : إنك لم تفهم قصدى. إن محمول هذه الحكاية أن هناك قوة خارقة للطبيعة تتولى العنايـة بمـن يـسمونهم «الناس الأخيار» فى هذه الدنيا، وتجعل كل شىء فى النهاية على هواهم، أمـا مـن يـسمونهم «النـاس الأشرار» فيلقون جزاءً محتمًا.

هوفستـــاد : هذا ما يريده قرّاؤنا بعينه.

بتـــــــرا : أَوَ تنوى أن تكون أنت الواسطة فى وصـــول هـــذا إليهم؟ أما أنا فإنى لا أومن بشىء من هذا. أنت تعلم حق العلم أن الأمور لا تحــدث كــذلك فـــى عـــالم الحقيقة.

هوفستـــاد : أنتِ على تمام الحق، ولكن المحرر لا يستطيع دائمًا أن يعمل على ما يشتهى. إنه مضطر أحيانًا إلـــى أن يحنى رأسه للجمهور فى المـــسائل التـــى لا تكـــون مهمة. الأمور السياسية هى أهم الأمور فى الحياة فى نظر الجرائد على كل حال. وإذا كنت أريد أن آخـــذ قرّائى معى فى السبيل المؤدية إلى الحرية والفـــلاح فالواجب ألا أذعرهم. إذا وجد القراء قصة خلقية من هذا القبيل فى أسفل الصحيفة كانوا أقرب إلى قـــراءة ما هو مطبوع فوقها، يشعرون أنهـــم إذ ذاك آمـــن موقفًا وأسلم مكانًا.

بتـــــــرا : يا للعار! إنه لا يجمل بك أن تنصب أُحبولـــة كهـــذه لقرائك. إنك لست عنكبوتًا!

هوفستـــاد : (باسمًا) شكرًا لك على حسن ظنك بى. لا. الواقـــع أن الفكرة لبيلنج لا لى.

بتــــــرا : فكرة بيلنج؟

هوفستـــاد : نعم، على كل حال لقد طرح هذه الفكرة هنا يومًا من الأيام، وهو الذى يشتهى أن تُنشر هذه الرواية بالذات فى جريدتنا، إنى لا أعرف شيئًا عن موضوعها.

بتــــــرا : ولكن كيف يقدر بيلنج وهو من ذوى الأذهان الحـــرة والآراء الطليقة؟

هوفستـــاد : أوه، بيلنج رجل كثير النواحى، إنه متقـــدم لوظيفـــة سكرتير المحكمة أيضًا، كذلك سمعت.

بتــــــرا : لا أصدق هذا يا مستر هوفستاد. كيف يسمح لنفـــسه أن يفعل شيئًا كهذا؟

هوفستـــاد : آه، هذا يجب أن يُسأل عنه بيلنج نفسه!

بتــــــرا : ما كان يخطر لى عنه مثل ذلك.

هوفستـــاد : (ينظر إليها متمعنـــًا) أبدًا؟ أيدهشك الأمر جدا؟

بتــــــرا : نعم، أو لعله ما كان يدهشنى قط. أؤكد لـــك أنـــى لا أدرى تمامًا.

هوفستـــاد : نحن الصحفيين لا نساوى شـــيئًا كثيـــرًا يـــا مـــس ستوكمان.

بتـــــــرا : أأنت تعنى ذلك حقيقة؟

هوفستـــاد : أرى ذلك أحيانًا.

بتـــــــرا : نعم، لعل ذلك إنما يكون فى أمور الحيـــاة العاديـــة، أستطيع أن أفهم ذلك. أما الآن وقد تناولـــت مـــسألة ذات بال...

هوفستـــاد : مسألة أبيك، تقصدين؟

بتـــــــرا : بعينها، يُخيَّل إلىَّ أنه يجب عليك أن تدرك أنك رجل تقوم بأكثر ما يقوم به الأكثرون.

هوفستـــاد : نعم، اليوم أشعر أننى شىء من هذا القبيل.

بتـــــــرا : بديهى أن تشعر بذلك، أليس الواقع هذا؟ لقد اختـــرت لنفسك أجلَّ مهمة، أن تمهد الطريق لسير الحق الذى لا يقدره الناس، وللأفكار الجديدة الجريئة التـــى لـــم تعتقدها العقول، لعمرى لو لم يكن إلا أنك تقف فـــى العراء شجاعًا تنصر مبدأ رجل مظلوم...

هوفستـــاد : ولاسيما إذا كان هذا الرجل المظلوم. **(يهمهم)** لست أعرف فى الحقيقة كيف...

بتـــــــرا : تقصد ولاسيما إذا كان هذا الرجل على مثـل هـذه الاستقامة والنزاهة.

هوفستـــاد : **(بزيادة فى التلطف)** أردت أن أقول ولاسيما إذا كـان هذا الرجل أباك.

بتـــــــرا : **(تؤخذ على حين بغتة)** هذا؟

هوفستـــاد : نعم، يا بترا، يا مس بترا.

بتـــــــرا : أهذا هو السبب الأول المقدم عندك، وليس الموضوع نفسه، وليس ما فيه من الصدق، وليس ما يعى أبـى من قلب كريم نبيل؟

هوفستـــاد : بالطبع، مؤكد هذا أيضا.

بتـــــــرا : شكرًا لك... لا، لقد فضحت نفسك، لن أثق بك بعـد اليوم فى شىء.

هوفستـــاد : أيمكن أن يسوءك العلم بأنى من أجلك... بالأكثر...

بتـــــــرا : إن الذى يغضبنى منك أنك لم تكن شريفًا حيال أبى، لقد كنت تتحدث معه كأنما الحق والمصلحة العامـة كانا يمليان عليك الحديث. لقد استغفلته واسـتغفلتنى أيضًا، لست أنت الرجل الذى صوّرته لأعيُننا. مـن أجل هذا لن أغفر لك ولن أعفو، محال.

هوفستاد : لا يحسن بك أن تكلمينى بهذه الشدة يا مس بترا، ولاسيما الآن.

بترا : ولماذا لا يجمل الكلام الان، بالذات؟!

هوفستاد : لأن أباك لا يستطيع أن يعمل عملاً بغير مساعدتى.

بترا : **(تنظر إليه من فرعه إلى قدمه)** أأنت من هذا الصنف من الناس؟ يا للعار!

هوفستاد : كلا. كلا، لست كذلك. لقد أُخِذت على حين فجأة، صدقينى.

بترا : إنى أعرف أى شىء أصدق، سلام عليك.

أسلاكسن : **(يأتى من غرفة المطبعة مسرعاً وعليه سيما الدهشة)** باللعنة يا هوفستاد. **(يرى بترا)** أوه! هذا شىء محرج.

بترا : هذا هو الكتاب، أعطه لإنسان سواى. **(تذهب صوب الباب)**.

هوفستاد : **(يتبعها)** ولكن يا مس ستوكمان.

بترا : الوداع. **(تخرج)**.

أسلاكسن : اسمع يا مستر هوفستاد.

هوفستاد : طيب. طيب، ما وراءك؟

أسلاكسن : العمدة فى غرفة المطبعة.

هوفستاد : العمدة!؟ تقول؟

أسلاكسن : نعم إنه يريد أن يتحادث معك. أتى من الباب الخلفى لم يرد أن يراه أحد. أتفهم؟

هوفستاد : ترى ماذا يريد؟ تمهل، سأذهب أنا بنفسى. (يذهب إلى باب غرفة المطبعة. يفتحه وينحنى ويدعو بيتر ستوكمان إلى الدخول) خذ بالك يا أسلاكسن، لا يدخل علينا أحد.

أسلاكسن : معلوم، معلوم. (يخرج داخلاً غرفة المطبعة).

بيتر : لم تكن تنتظر أن ترانى هنا يا مستر هوفستاد.

هوفستاد : أُقرُّ بذلك فعلاً.

بيتر : (ينظر إلى ما حوله) أنت مستكن هنا،محل لطيف جدا.

هوفستاد : أوه...

بيتر : وها أنا ذا قد أتيت بغير استئذان أستنفدُ وقتك !

هوفستاد : إنى فى خدمتك على كل حال يا حضرة العمدة، ولكن دعنى أخفف عنك هذه. (يأخذ قبعة بيتر وعصاه ويضعهما على كرسى) ألا تتفضل بالجلوس؟

بيتر : **(يجلس بجوار المكتب)** شكرا. **(يجلس هوفستاد)** لقد حدث لى ما ضايقنى اليوم مضايقة شديدة يا مستر هوفستاد.

هوفستاد : حقا؟ آه، أظن أنه مع الأعمال الكثيرة التى تنظر فيها...

بيتر : إن المفتش الصحى الموكَّل بالحمامات هو سبب ما حصل اليوم.

هوفستاد : حقا؟ الدكتور!؟

بيتر : كتب للجنة الحمامات شبه تقرير فى موضوع بعض عيوب زعم وجودها فى الحمامات.

هوفستاد : كتب فعلاً؟

بيتر : نعم، ألم يخبرك؟ أظن أنه قال لى...

هوفستاد : آه، نعم، أجل، ذكر لى شيئًا بشأن...

أسلاكسن : **(آتيـًا من غرفة المطبعة)** أوه، أريد المسودة.

هوفستاد : **(بغضب)** إحم، هاهى ذى على المكتب.

أسلاكسن : **(يأخذها)** حسن.

بيتر : تمهل قليلاً، هذا هو الشىء الذى كنت أتكلم فيه.

أسلاكسن : نعم، هذه مقالة الدكتور يا حضرة العمدة.

هوفستاد : أوه، أهذا ما كنت تتكلم عنه؟

بيتر : نعم، هو بعينه. ما رأيك فيه؟

هوفستاد : أنا بالطبع رجل عادى، ولم أطّلع على المقالة إلا مرورًا.

بيتر : ولكنك ستنشر المقالة.

هوفستاد : لا أستطيع بسهولة أن آبى على رجل فاضل..

أسلاكسن : ليست رياسة تحرير الجريدة من اختصاصى يا حضرة العمدة.

بيتر : مفهوم.

أسلاكسن : إنى إنما أطبع ما يُعطى إلىَّ.

بيتر : معلوم.

أسلاكسن : وعليه فيجب علىَّ... **(يذهب نحو غرفة المطبعة)**.

بيتر : لا ، بل تمهل قليلاً يا مستر أسلاكسن. أتسمح لى يا مستر هوفستاد؟

هوفستاد : كما تشاء يا حضرة العمدة.

بيتر : أنت يا مستر أسلاكسن رجل عاقل وبصير.

أسلاكسن : يزهينى أن ترى ذلك يا سيدى.

بيتر : وفضلاً عن ذلك فأنت رجل ذو سلطة عظيمة جدا.

أسلاكسن : وبخاصة بين صغار أهل الحرف يا سيدى.

بيتر : إن صغار دافعي الضرائب هم الغالبية هنا كما في كل مكان آخر.

أسلاكسن : هذا صحيح.

بيتر : ولا شك عندي في أنك أعرف الناس بميولهم. ألست كذلك؟

أسلاكسن : نعم، كذلك. أظن أني أستطيع القول إني أعرف يا حضرة العمدة.

بيتر : أجل، وعليه فإنه إذ يوجد بين المواطنين الذين هم أقل ثروة من إخوانهم في البلدة روح تضحية محمودة كما أرى فإني...

أسلاكسن : كيف هذا؟

هوفستاد : روح تضحية؟

بيتر : هذا برهان عظيم على وجود شعور وطني عام، برهان يدعو إلى الزهو والتفاخر، بل أكاد أقول إني لم أكن أنتظره، بيد أنكم أعرف بالرأي العام مني.

أسلاكسن : ولكن يا حضرة العمدة...

بيتر : الواقع أن الأمر سيقتضي من البلدة تضحية ليست صغيرة.

هوفستـــاد : البلدة؟

أسلاكســن : إنى لا أفهم، أهو موضوع الحمامات؟

بـيـتـــر : بالتقدير الإجمالى وُجِد أن التغييـرات التـى يقـول الدكتور بضرورة إجرائها تقتضى حـوالى عــشرين ألف جنيه.

أسلاكســن : هذا مبلغ كبير، ولكن...

بـيـتـــر : سيكون من الضرورى بالطبع أن نعقد سُلفة بلدية.

هوفستـــاد : (ناهضـــاً) لست تعنى بالطبع أن البلدة ستدفع...

أسلاكســن : أتقصد أن هذه السُّلفة لا بد أن تؤخـذ مـن أمـوال البلدية، من جيوبنا الخاليـة نحـن صـغار أربـاب الحِرف؟

بـيـتـــر : يعنى يا عزيزى مستر أسلاكـسن، مـن أيـن إذن نحصل على المال؟

أسلاكســن : السادة الذين يملكون الحمامات يجب أن يقدموا المال اللازم.

بـيـتـــر : أصحاب الحمامات ليسوا على استعداد للقيام بنفقـات أخرى.

أسلاكســن : أهذا صحيح لا شك فيه يا حضرة العمدة؟

بيتر : لقد ثبت لى أن الواقع كذلك، فإذا أرادت البلدة هذه الإصلاحات الواسعة فلابد لها من دفع قيمتها.

اسلاكسن : ولكن، الله يلعن هذه الحكاية. أرجوك المعذرة، هذا موضوع آخر يا مستر هوفستاد.

هوفستاد : حقيقة؟

بيتر : بل أنكى شيء فى الأمر أننا سنضطر مع ذلك أن نقفل الحمامات مدة سنتين كاملتين.

هوفستاد : نقفلها؟ نقفلها بتاتا؟

أسلاكسن : سنتين؟

بيتر : نعم، إن العمل اللازم يتطلب كل هذه المدة على الأقل.

سلاكسن : لعنت، إن كنا نستطيع أن نتحمل هذا يا حضرة العمدة. على أى شيء نعيش إذن نحن أصحاب المنازل فى هذه الأثناء؟

بيتر : من سوء الحظ أن هذا سؤال يصعب الجواب عليه جدا يا مستر أسلاكسن. ولكن ماذا نعمل نحن؟ أتظن أننا سنملك أن نرى وجه سائح واحد فى البلدة إذا أخذنا نذيع أن الماء عندنا ملوث وأننا عائشون على بؤرة طاعون، وأن البلدة من أولها إلى آخرها...

أسلاكسن : مع أن الحكاية كلها وهم فى وهم.

بيتر : مع منتهى حسن الظن لم أستطع أن أستنتج غير هذه النتيجة.

أسلاكسن : إذن فيجب أن أقول إنه ما كان يليق مطلقا بالدكتور ستوكمان... أرجو منك المعذرة يا حضرة العمدة.

بيتر : إن ما تقوله حق يؤسف له يا مستر أسلاكسن، لقد كان أخى لسوء الحظ رجلاً عنيدًا دائمًا.

أسلاكسن : وبعد هذا تريد أن تتصره يا مستر هوفستاد!؟

هوفستاد : أيخطر فى بالك لحظة أننى...؟

بيتر : لقد وضعت خلاصة مختصرة عن الحالة كما تلوح لعينَىْ رجل عاقل. فى هذه الخلاصة بينت كيف يمكن معالجة بعض ما يحتمل وجوده من العيوب من غير أن نوقع لجنة الحمامات فى الإفلاس.

هوفستاد : أهى معك يا حضرة العمدة؟

بيتر : (يعبث بجيبه) نعم، أحضرتها معى عسى أن نرى...

أسلاكسن : يا إلهى، هذا هو.

بيتر : من؟ أخى؟

هوفستاد : أين؟ أين؟

هوفستـــاد : نعم ولكن يا دكتور...

الدكتـــور : إنى أعرف ماذا تقصد أن تقول، أنـــت لا تـــرى أن عملى هذا كان أكثر مما يتطلبـــه واجبـــى، واجبـــى كوطنى طبعًا لم يكن كذلك، إنى أعرف هـــذا كمـــا تعرفه أنت، ولكن إخوانى فى الوطنية، أنت تعـــرف ذلك. يا إلهى، فكِّر فى كل تلك الأرواح التى تُحـــسن الظن بى!

أسلاكســن : نعم، لقد كانوا حتى اليوم يُحسنون بك الظن يا دكتور.

الدكتـــور : وهذا الذى من أجله أخشى أنهم... هذه هى المسألة. إذا بلغت مقالتى إليهم ولاسيما الطبقات الفقيرة مـــنهم ورنَّ فى آذانهم رنين الدعوة إلى تولىِّ مصالح البلدة بأيديهم من الآن فصاعدًا...

هوفستـــاد : (ناهضـــًا) إحم، دكتور، لا أُخفى عنك أن...

الدكتـــور : آه، لقد عرفت أن فى الجو شيئًا، ولكنى لـــن أســـمع عنه شيئًا، إذا كان فى النية ترويج شىء مـــن هـــذا القبيل.

هوفستـــاد : من قبيل ماذا؟

الدكتـــــور : أى شىء، سواء كان مظاهرة تكريم لى أو دعـــوة أو اكتتاب بشىء يقدم إلىَّ، أو أى شىء آخر، فلابد لـــك أن تعدنى وعد صدق وشرف أن توقفه. وأنت أيضًا يا مستر أسلاكسن، فاهم؟

هوفستـــاد : عفوك يا دكتور، فإنه يجب علينا أن نخبرك بحقيقـــة الحالة قريبًا أو بعيدًا...

(يوقفه عن الاسترسال فى الكلام دخول مسز ستوكمان وهى تدخل من باب الشارع).

كاتـــــرين : **(وقد رأت زوجها)** كما قدَّرت بالضبط.

هوفستـــاد : **(ذاهب نحوها)** وأنت أيضًا يا مسز ستوكمان.

الدكتـــــور : أى شىء تريدين هنا يا كاترين؟

كاتـــــرين : أعتقد أنك تعرف لماذا أتيت هنا.

هوفستـــاد : ألا تجلسين؟ أو ربما كنت...

كاتـــــرين : شكرًا لك. لا، لا تشغل بى. ولايسوءك مجيئى لأخذ زوجى. إنى أم لثلاثة كما تعرف.

الدكتـــــور : كلام فارغ، نحن نعرف ذلك.

كاتـــــرين : لن يذكر لك أحد اليوم فضل التفكير فـــى زوجتـــك وأولادك، لو كنت تهتم بنا لما ألقيت بنا اليوم جميعـــًا فى الشقاء.

الدكتـــور : أجُننتِ يا كاترين؟ أإذا كان الرجل ذا زوجة وأولاد لا يُسمح له أن يجهر بالحق؟ ألا يُسمح لـه أن يكـون وطنيا ناشطا فى خدمة الوطن؟ ألا يُسمح له أن يؤدى خدمة واجبة لوطنه؟

كاتـــرين : إذا أردت الحق، لا يُسمح له.

أسلاكسـن : هذا على حد ما أقول، الاعتدال فى كل شىء.

كاتـــرين : وهذا الذى من أجله تسىء إلينا يا مستر هوفـستاد إذ تغرر بزوجى، تخرجه من بيته وتجعل منه ألعوبة.

هوفستـاد : أؤكد لكِ أنى لا أغرر بأحد.

الدكتـــور : يجعل منى ألعوبة؟ أتظنين أنى أنا ممن يُغرر بهم؟

كاتـــرين : أنت كذلك فعلا، إنى واثقة أن فى دماغك عقلا أكبـر من كل من فى البلد، ولكنـك سـهل الانخـداع يـا توماس. **(إلى هوفستاد)** أرجو أن تتذكر أنه يُفـصل من وظيفته فى إدارة الحمامات إذا أنت نـشرت لـه مقالته.

أسلاكسـن : ماذا؟

هوفستـاد : استمع لى يا دكتور...

الدكتـــــور : (ضاحكـــاً) ها، ها. فلنر، فلنر. كــلا، كــلا، إنهــم يحرصون علـــى أن لا يفعلــوا هــذا، إن الأغلبيـــة الساحقة فى جانبى، تذكرى ذلك!

كاتـــــرين : نعم هذا أقبح ما فى الأمر فعلاً، أن يكون فى جانبك هذا الشىء الشنيع.

الدكتـــــور : كلام فارغ، اذهبى إلى بيتك وانظرى فـــى شــئونه ودعينى أرعَ مصلحة المجتمع. كيف تخشين كل هذه الخشية؟ وأنا مطمئن وسعيد؟ (يتمشى ويفرك كفَّيـــه) تأكدى أن الحق والشعب أغلـــب، وأكـــاد أرى ذوى العقول الكبيرة من أهل الطبقـــة الوســـطى يمـــشون كالجيش المنتصر. (يقف بجانب الكرسى) وى، مـــا هذا الذى على الكرسى؟

أسلاكســـن : يا إلهى!

هوفستـــاد : (يتنحنح) إحم.

الدكتـــــور : هنا أعلى شارات المجد والسلطة. (يأخذ قبعة العمدة الرسمية بين أطـــراف أصـــابعه بلطـــف ويرفعهـــا فى الهواء).

كاتـــــرين : قبعة العمدة!

الدكتـــــور : وهذى عصا الإدارة أيضًا، خبِّرونى بحق كل عجيب فى هذه الدنيا...

هوفستـــاد : أنت ترى...

الدكتـــــور : أوه، إنى فاهم. لقد أتى يحاول بالكلام أن يجعلكم فى جانبه. ها، ها، أراه أخطأ فى هذا، وعندما لمحتنـــى عينه فى غرفة المطبعة (**ينفجر ضاحكًا**) لاذ بالفرار. أليس كذلك يا أسلاكسن؟

أسلاكســـن : (**بسرعة**) نعم لاذ بالفرار يا دكتور.

الدكتـــــور : لاذ بالفرار من غير عصاه، ليس بيتر بالرجل الـــذى يهرب ويترك بضاعته وراءه. ولكن خبِّرونى مـــاذا فعلتم به؟ آه، هو هنا بالطبع، سترَيْن الآن يا كاترين.

كاتـــــرين : توماس، بالله لا تفعل.

أسلاكســـن : لا تتهور يا دكتور.

(يضع الدكتور قبعة العمدة ويأخذ عـــصاه فى يده، يذهب بهذه الصورة إلى الباب يفتحه ويقف ويده إلى قبعته مسلـــمًا، يدخل بيتر ستوكمان محمرَّ الوجه غضبًا، يتبعه بيلنج).

بـــيـــتــــر : ما معنى هذه الأعمال الجنونية؟

الدكتـــــور : كن عند حد الاحترام يا سيد بيتر، إنى صاحب أعلى سلطة فى البلدة الآن. **(يتمشى ذهابًا وجيئة).**

كاتـــــرين : **(وهى تكاد تبكى)** حقًا يا توماس.

بـيـتـــــر : **(يسير وراءه فى الغرفة)** أعطنى قبعتى وعصاى.

الدكتـــــور : **(بنفس اللهجة كما سبق)** إذا كنت حكمدار البلدة فأنا العمدة، أنا حاكم البلدة جميعها افهم من فضلك.

بـيـتـــــر : انزع عنك قبعتى، أقول لك، تذكر أنها مـــن اللِّبـــاس الرسمى.

الدكتـــــور : هو، أتظن أن الشعب المتنمر الذى اســـتيقظ حـــديثًا تذعره قبعة رسمية؟ سيكون فى البلدة ثورة فى الغد. أقول لك، لقد ظننت أنك تستطيع أن تفصلنى، ولكـــن أنا الذى سأفصلك، أفصلك من كل وظائفـــك. أتظـــن أننى لا أستطيع؟ أصغ إلىَّ، إنَّ ورائى قوى اجتماعية قاهرة، هوفستاد وبيلنج سيطلقان الرعد من جريدتهما وأسلاكسن سينزل الميدان على رأس جميـــع أفـــراد جمعية المُلاَّك.

أسلاكســـن : إنى لا أفعل ذلك يا دكتور.

الدكتـــــور : بل إنك لفاعل.

بيتر : هل لى أن أسأل مستر هوفستاد إذن، أفى نيته أن يكون له يد فى هذا التهييج؟

هوفستاد : لا يا حضرة العمدة.

أسلاكسن : لا، ليس مستر هوفستاد أحمق حتى يعمل على خراب جريدته ونفسه من أجل شكوى موهومة.

الدكتور : **(متلفتًا فيما حوله)** ما معنى كل هذا؟

هوفستاد : : لقد عرضت موضوعك فى أنوار كاذبة يا دكتور، ولذلك لا يسعنى أن أكون معك.

بيلنج : وبعدما تفضّل به الآن حضرة العمدة من البيان لا أرانى...

الدكتور : أنوار كاذبة؟ دع هذا الجانب من الموضوع لى. ما عليك إلا أن تنشر المقال، إنى قادر تمام القدرة على الدفاع عنه.

هوفستاد : إنى لا أنشره. أنا لا أستطيع ولا أريد، بل ولا أجرؤ أن أنشره.

الدكتور : لا تجرؤ؟ ما هذا الهراء؟ أنت رئيس التحرير ورئيس التحرير هو المتصرِّف فى الجريدة.

أسلاكسن : لا يا دكتور، إن الذى يتولى الجريدة ويتصرف فيها هم المشتركون.

بيتر : نعم لحسن الحظ.

أسلاكسن : إنه هو الرأى العام، الجمهور المستنير، أصحاب المنازل ومن على شاكلتهم من الناس. إنهم هم الذين يتولون الإشراف على الجرائد.

الدكتور : **(برباطة جأش)** وكل هذه القوى والعوامل ضدى؟

أسلاكسن : نعم ضدك، وأرى نشر مقالتك مؤديًا حتمًا إلى خراب المجتمع.

الدكتور : صحيح!

بيتر : قبعتى وعصاى من فضلك **(ينزع الدكتور القبعة ويضعها على المكتب مع العصا، فيأخذها بيتر ستوكمان)** لقد ماتت سلطتك عمدة قبل أوانها.

الدكتور : نحن لم نصل إلى النهاية بعد **(إلى هوفستاد)** إذن فإنه من المستحيل عليك بتاتًا أن تنشر مقالتى فى جريدة «رسول الشعب».

هوفستاد : مستحيل بتاتًا، رعايةً لعائلتك أيضًا.

كاتـــــرين : لا تشغل نفسك بأمر عائلة الدكتور، شكرًا لـــك يـــا مستر هوفستاد.

بـيـتــــــر : (يُخرج ورقة من جيبه) إذا نشرت هذا كان كافيًا فـــى إفادة الجمهور بالواقع، إنه بلاغ رسمى. أتسمح؟

هوفستـــاد : (آخذًا الورقة) فعلاً، سأنشرها بكل تأكيد.

الدكتـــــور : أما مقالتى فلا... أتظن أنك تستطيع إخماد صـــوتى وخنق الحق، ستجد أن الأمر لـــيس مـــن الـــسهولة بالدرجة التى تظن. مستر أسلاكسن، من فضلك خـــذ مسودة مقالتى من فورك واطبعها على شكل رســـالة على حسابى. أريد أربعمائة نسخة منها، بل خمسمائة نسخة.

أسلاكســـن : لو عرضت علىَّ وزنها ذهبًا ما أعرت مطبعتى لطبع شىء من هذا القبيل، ولن تجد أحدًا فى البلدة يطبعها لك.

الدكتـــــور : إذن فأعدها إلىَّ.

هوفستـــاد : (يعطيه المقالة) هاهى ذى.

الدكتـــــور : (آخذًا قبعته وعصاه) سينشر أمرها على الجمهـــور على كل حال، سأتلوها بنفسى على جمع حاشد مـــن

أهل البلد، ويسمع إخوانى المواطنون إذ ذاك صوت الحق.

بيتر : لن تجد فى البلدة هيئة عامة تسمح لك باستعمال دارها لمثل هذا الغرض.

أسلاكسن : ولا واحدة، إنى واثق من ذلك.

بيلنج : لا، ملعون أنا إن وجدت واحدة.

كاترين : ولكن هذا منتهى العار. لماذا ينقلب عليك كل واحد منهم هكذا؟

الدكتور : **(بغضب)** سأخبرك السبب، هو لأن كل رجل فى هذه البلدة امرأة عجوز مثلك. كلهم لا يفكرون إلا فى عائلاتهم، أما المجتمع فلا.

كاترين : **(تضع ذراعه فى ذراعها)** إذن فسأريهم أن... أن امرأة عجوزًا تقدر أن تكون رجلاً مرة. أنا سأكون فى جانبك يا توماس.

الدكتور : مرحى لكاترين كلام شجعان، سأعلن الحق للناس وشرفى... إذا أنا لم أستطع أن أستأجر صالة فسأستأجر طبلة وأمشى أدق عليها فى جميع أنحاء المدينة، وأقرأها فى جميع مفترقات الشوارع.

بيتر : لست من شدة الحمق والجنون بهذه الدرجة!

الدكتور : بل أنا كذلك.

أسلاكسن : لن تجد فى المدينة رجلاً واحدًا يسير معك.

بيلنج : كلا... ملعون أنا إن وجدت رجلاً واحدًا.

كاترين : لا تقنط، سأكلف الأولاد المسير معك.

الدكتور : هذه فكرة سامية!

كاترين : سيفرح مورتن بهذا، وسيعمل إيليف ما يعمل.

الدكتور : نعم، وبترا! وأنت أيضا يا كاترين.

كاترين : لا، لا أفعل هذا، ولكنى سأقف فى النافذة أراقبكم. هذا ما سأفعل.

الدكتور : (يضع ذراعه حولها ويقبِّلها) شكرًا لك يا عزيزتى، الآن سنتصارع أنا وأنتم أيها السادة، وسأرى هل تستطيع ثلة من الجبناء أن يكمموا وطنيًا يريد أن يطهِّر الوطن! **(يخرج هو وزوجته من باب الشارع).**

بيتر : (يهز رأسه بجد) هاهو ذا قد جنَّن المرأة أيضًا.

«انتهى الفصل الثالث»

الفصل الرابع

المنظر:

غرفة فسيحة قديمة الطراز فى منزل القبطان هورستر ويُرى فى المؤخرة باب (إنجليزى) ذو مصاريع هى إذ ذاك مطوية، ويرى من ورائها وصيد غرفة أولية. فى الحائط الأيسر ثلاث نوافذ، وفى وسط الحائط المقابل الأيمن نصبت منصة، وعلى المنصة منضد صغير عليه شمعدان وزجاجة ماء وكوب وجرس صغير، والغرفة مضاءة بمصابيح موضوعة بين النوافذ وفى مقدمة المسرح (خشبة المسرح) إلى اليسار منضد وشموع وكرسى، وفى اليمين يوجد باب وعدة من كراسى صفت بجواره، والغرفة مملوءة تقريبا بجمهور من أهل البلدة مختلف الأصناف، بينهم بضع نسوة وتلاميذ مدارس، وإذا أزيح الستار يكون بعض الجمهور آتيًا من الخلف، ولا تلبث الغرفة أن تمتلئ.

مواطن أول : (مقابلا غيره) هالو ! لا مستاد ! أنت أيضا هنا؟

مواطن ثان : إنى أحضر كل اجتماع عام، نعم، أحضر.

مواطن ثالث : أحضرت معك صفارتك أيضا، على ما أظن!

مواطن ثان : أظن ذلك، أو لم تحضر صفارتك أنت؟

مواطن ثالث : بلى، وقد قال أيفنسن العجوز إنه عازم على أن يجيء معه بقرن ثور. أجل قال.

مواطن ثان : أيفنسن العجوز الصالح؟ **(ضحك بين الجمهور)**.

مواطن رابع : **(يأتى إليهم)** يا أصحابى، خبرونى ماذا يجرى هنا الليلة.

مواطن ثان : سيلقى الدكتور ستوكمان خطبة يحمل فيها على العمدة.

مواطن رابع : ولكن العمدة أخوه!

مواطن أول : هذا لا يهم ، ليس الدكتور ستوكمان بالرجل الذى يهاب.

مواطن ثالث : ولكنه على باطل، قيل كذلك فى «رسول الشعب».

مواطن ثان : نعم، أقدر أنه لا بد أن يكون هذه المرة مخطئا، فلا جمعية أصحاب المساكن ولا نادى المواطنين قبل أن يعيره بهوه ليعقد فيه اجتماعه.

المواطن الأول : بل ولم يستطع أن يستعير البهو الذى فى الحمامات.

المواطن الثانى : لا، محال.

رجـــــل : **(فى جهة أخرى من الجمع)** ترى فى أى جانب نكون؟

رجل آخـر : **(فى جانبه)** راقب أسلاكسن وافعل كما يفعل.

بيـلنــج : **(يفسح طريقه فى الجمهور ومعه تحت ذراعــه عــدة الكتابة)** معذرة يا سادة، أتسمحون لى بالمرور؟ إنى مكاتب جريدة رسول الشعب. أشكركم شكرا جزيلا. **(يجلس إلى المنضد الموضوع إلى اليسار).**

أحد العمال : من كان هذا؟

عــامل ثان : ألا تعرفه؟ هذا بيلـنج الـذى يحـرر فـى جريـدة أسلاكسن. **(يأتى هورستر ومعه كاترين وبتــرا مــن الباب الذى إلى اليمين ويتبعهم إيليف ومورتن).**

هورستــر : رأيت أن تجلسوا هنا جميعــا، فــى اســتطاعتكم أن تنسلوا من هنا بسهولة إذا احتدم الأمر.

كاتــــرين : أتظن أن سيحدث شجار؟

هورستــر : من يدرى؟ فى مثل هذا الجمهور، ولكن اجلــسى لا يساورك قلق.

كاتــــرين : **(جالسة)** لقد كان فضلا منك عظيما أن تعير زوجى هذه الغرفة.

هورستــر : إذ لم يسمح أحد أن يعيره مكانا...

بتـــــــرا : (وقد جلست بجوار والدها) ولقد كان من الشجاعة ما فعلت يا قبطان هورستر.

هورستـــر : ليس الأمر من العظم عند هذا. (يـــدخل هوفـــستاد وأسلاكسن مخترقين الجمهور).

أسلاكســـن : (ذاهبًا إلى هورستر) ألم يأت الدكتور بعد؟

هورستـــر : إنه فى الغرفة المجاورة ينتظر. (حركة فى الجمهـــور عند الباب الذى فى الخلف).

هوفستـــاد : انظروا، لقد حضر العمدة.

بيـــلنــــج : نعم، لعنت إن هو لم يأت على كل حال!

(يخترق بيتر ستوكمان الجمهور وينحنى تجلة، ويجلس بالقرب من الحائط الأيسر، وبعد ذلك بقليل يأتى الدكتور ستوكمان من الباب الأيمن، وهو مرتـــد ثياب السهرة السوداء «الفراك» ورباط رقبته أبيض، يصفق بعض الناس تصفيقا ضعيفا يخفته على الفـــور صوت «هس» ويتم السكوت).

الدكتـــــور : (بصوت منخفض) كيف حالكِ يا كاترين؟

كاتــــرين : أنا بخير، شكرا لك. (تخفض صوتها) املك عواطفـــك يا توماس.

الدكتـــــور : إنى أعرف كيف أضبط نفسى. **(ينظـــر إلى ســـاعته ويرتقى المنصة وينحنى تحية للجمهور)** لقـــد تجاوزنـــا الموعد بربع ساعة فلأبتدئ. **(يستخرج صورة الخطبة من يده).**

أسلاكســـن : أظن أنه يجدر بنا أولاً أن نختار رئيسا للاجتماع.

الدكتـــــور : لا، ليس هذا ضروريا جدا.

بعض الجمع : بلى. بلى.

بـــيـــتـــــر : أعتقد، فى الواقع، أنه يجـــدر أن يكـــون للاجتمـــاع رئيس ليدير المناقشات.

الدكتـــــور : ولكنى إنما دعوت إلى هذا الاجتماع لألقى محاضرة يا بيتر.

بـــيـــتـــــر : قد تؤدى محاضرة الدكتور ستوكمان إلـــى اخـــتلاف كبير فى الرأى.

أصوات من بين الجمهور: رئيس! رئيس!

هوفستـــــاد : الظاهر أن الرغبة العامة تقول باختيار رئيس.

الدكتـــــور : **(كابحا نفسه)** حسن! ليكن للحاضرين ما شاءوا.

أسلاكســـن : أيتفضل حضرة العمدة بقبول هذه المهمة؟

بيتر : لأسباب شتى ستدركونها بلا عناء ألتمس منكم إعفائى. بيد أن بيننا اليوم لحسن الحظ رجلاً أعتقد أنكم تقبلون رياسته. أعنى به رئيس جماعة أرباب المساكن، السيد أسلاكسن.

(أصوات عدة) نعم. أسلاكسن. مرحى لأسلاكسن.

(يتناول الدكتور ستوكمان المسودة ويسير ذهابا وجيئة على منصته).

أسلاكسن : لا يسعنى الرفض وقد رأى إخوانى المواطنون أن يعهدوا إلىَّ هذه المهمة.

(تصفيق شديد. يعتلى أسلاكسن المنصة).

بيلنج : (وهو يكتب) وقد انتخب أسلاكسن لرياسة الاجتماع بتحمس عظيم.

أسلاكسن : والآن إذ أنا فى هذا المقام أريد أن أقول بضع كلمات موجزة. إنى رجل هادئ مسالم، أومن بفضل الاعتدال الحكيم و... و... وبالحكمة المعتدلة، ويشهد جميع أصدقائى بذلك.

أصوات شتى : نعم. نعم، يا أسلاكسن.

أسلاكسن : لقد تعلمت فى مدرسة الحياة و التجاريب أن الاعتدال أعلى فضيلة يتحلى بها المواطن.

بيتر : بخ. بخ.

أسلاكسن : وفضلا عن هذا فإن الحكمة والاعتدال هما اللذان يساعدان الرجل على أن يكون أشد صلاحية لخدمة المجتمع. ولذلك أنصح لحضرة مواطننا المحترم الذى دعا إلى هذا الاجتماع أن يبذل جهده حتى لا يخرج عن حدود الاعتدال.

رجل : (بجوار الباب) اهتفوا ثلاثا لجمعية الاعتدال.

صوت : اخرس!

عدة أصوات : س. س.

أسلاكسن : لا تقاطعوا يا سادة من فضلكم. هل يريد أحدكم أن يتقدم بملاحظات؟

بيتر : يا حضرة الرئيس.

أسلاكسن : العمدة يلقى كلمة.

بيتر : كنت أحب، نظرا إلى علاقة القربى الشديدة التى بينى، كما تعلمون جميعا، وبين مفتش صحة الحمامات الحالى، أن لا أتكلم هذه العشية. ولكن

مركزى الرسمى فيما يختص بالحمامات، وعنايتى بالمصالح الحيوية التى للبلدة، تلزمنى أن أقدم اقتراحا بقرار. إنى لأجرؤ على الظن أنه لا يوجد بين مواطنينا الحاضرين هنا، من يرى من المستحسن أن تذاع بيانات غير موثوق بها، بل مبالغ فيها، عن الحالة الصحية فى الحمامات وفى البلدة.

عدة أصوات : كلا. كلا، بالتأكيد كلا. نحتج على ذلك.

بيتر : لذلك أريد أن أقترح ألا تسمح الهيئة المجتمعة للمفتش الصحى بقراءة محاضرته التى نواها، أو أن يعلق عليها.

الدكتور : **(بغضب)** لا تسمح!؟ أى شيطان...؟

كاترين : **(ساعلة)** إحم. إحم.

الدكتور : **(ضابطا نفسه)** حسن، استرسل.

بيتر : فى بلاغى الذى أرسلته إلى رسول الشعب، أوضحت للشعب الحقائق الجوهرية، بحيث يسهل على كل عاقل أن يكوِّن لنفسه منها رأيًا. منها يتضح لكم أن اقتراحات المفتش الصحى تتلخص - بصرف النظر عن تضمنها اقتراحا بتأنيب ذوى الأمر فى البلدة - فى أنه يريد أن يحمِّل من يدفعون فيها ضرائب

مقدار نفقة غير ضرورية تبلغ على الأقل عدة ألوف من الجنيهات.

(أصوات استنكار من بين الحاضرين، وبعض أصوات موائية كالهررة).

أسلاكسن : (يدق جرسه) سكوتًا، من فضلكم أيها السادة. إني ألتمس أن أزكى اقتراح العمدة. إنى على تمام الاتفاق معه على أن هناك شيئا وراء هذه الدعاية التى بدأها الدكتور. إنه يتكلم عن الحمامات، ولكن الواقع أنه يريد ثورة، يريد أن يضع مقاليد إدارة البلدة فى أيدٍ أخرى. لا يشك أحد فى خلوص مقاصد الدكتور من رغبة الأذى - فلا يمكن أن يكون بين الناس اثنان يقولان بذلك - إنى أنا نفسى ممن يقولون بضرورة الحكم الذاتى للشعب، بشرط أن لا يكون فيه إرهاق لمن يدفعون الضرائب، بيد أن هذا ما يراد بنا اليوم. وهذا الذى من أجله أود أن تسقط اللعنة على رأس الدكتور ستوكمان - أستميحكم عذرًا - قبل أن أسايره فى الأمر. قد يدفع الإنسان فى الشيء ثمنا فادحا فى بعض الأحيان، هذا رأيى.

(تصفيق عال من جميع النواحى)

هوفستاد : أنا أيضا أشعر أن من واجبى أن أشرح موقفى. لقد لاحت الحركة التى قام بها الدكتور ستوكمان فى أول الأمر كأنما يشايعها بعض المناصرين، ولذلك ناصرتها بلا أقل تحيز، أما اليوم فقد لاح لنا من الأسباب ما حملنا على توجس أننا سمحنا لأنفسنا أن تضل بتلبيس حقائق الواقع.

الدكتور : تلبيس...!؟

هوفستاد : إذن فلنقل بتمثيل الحقائق فى صورة لا يوثق بصحتها تمام الثقة، ولقد أثبت لنا ذلك بلاغ العمدة. إنى لأرجو ألا يكون فى الجمع من يخامره الشك فى مبادئى الحرة، فإن خطة «رسول الشعب» حيال المسائل السياسية الخطيرة معروفة لكل إنسان. ولكن نصيحة الرجال أولى الخبرة والبصيرة قد دلتنى على أنه يجب فى المسائل المحلية البحتة ألا تخطو الجريدة خطوة إلا بالحذر.

أسلاكسن : إنى أوافق الخطيب تمام الموافقة.

هوفستاد : ومما لا شك فيه أن الرأى العام فى المسألة التى أمامنا ضد الدكتور ستوكمان. والآن ما هو أول

واجب على الصحفى أيها السادة؟ أليس هو أن يعمل وفاق قرائه؟ ألم يعطوه نوعا من التوكيل الضمنى ليعمل بالمثابرة والجد فى سبيل مصلحة من يعبر عن آرائهم؟ أم يمكن أن أكون مخطئا فى هذا؟

أصوات : لا. لا، إنك على تمام الحق.

هوفستاد : لقد قاسيت عراكا نفسيا كبيرا لا ضطرارى أن أخرج على رجل كنت فى بيته منذ عهد قريب ضيفا كثير التردد عليه، رجل كان من حقه حتى اليوم أن يفخر بحسن رأى مواطنيه فيه، رجل عيبه الوحيد، أو على كل حال، عيبه الجوهرى أنه مطواع لقلبه لا لعقله.

بعض أصوات مبعثرة : هذا صحيح، مرحى يا ستوكمان.

هوفستاد : ولكن واجب المجتمع علىَّ ألزمنى أن أخرج عليه. وهناك اعتبار آخر يدفعنى إلى مناهضته، وإلى منعه بقدر الإمكان عن السير فى الطريق الخطر الذى اختطه لنفسه، ألا وهذا الاعتبار هو عائلته.

الدكتور : الزم من فضلك موضوع مياه الشرب والصرف!

هوفستـــاد : أكرر القول بأنه اعتبار مصلحة زوجته وأولاده الذين لم يعمل لهم حسابًا.

مـــــورتن : أهو يعنينا يا أمى؟

كاتـــــرين : صه.

أسلاكســـن : سآخذ الأصوات الآن على اقتراح حضرة العمدة.

الدكتـــــور : لا ضرورة إليه، ليس فى عزمى الليلة أن أتناول كل تلك القاذورات المزدحمة فى الحمامات. كـــلا... إن لدى للقول شيئا آخر يختلف عن ذلك كل الاختلاف.

بـيـتـــــر : (لنفسه) ماذا يقصد يا ترى؟

ســـــكران : (عند باب الدخول) أنا أحد دافعى الضرائب، ولذلك لى الحق أن أتكلم أنا أيضا. ورأيى الشامل، الثابـــت غير المفهوم...

عدة أصوات : أقفل فمك أنت يا من عند الباب.

غـــــيرهم : إنه سكران، أخرجوه. (يخرجونه).

الدكتـــــور : أمسموح لى أن أتكلم؟

أسلاكســـن : (يدق جرسه) الكلمة للدكتور ستوكمان.

الدكتـــــور : كنت أشتهى لو جرؤ أحد منذ بضعة أيام أن يسكتنى كما حدث الليلة، يومئذ كنت أستطيع أن أدافـــع عـــن

حقوقى المقدسة كإنسان دفاع الأسد. أما الآن فالأمر عندى سواء. لدى شيء أراه أجدر أن يقال لكم جدارة أعظم وأهم. **(يزدحم الناس صوبه ويرى مورتن كيل ظاهرا بينهم).**

الدكتور : **(مستمرا)** لقد فكرت كثيرا وتأملت مليا مدى بضعة الأيام الماضية، تأملت فى عدة من أمور شتى، حتى رأيت فؤادى فى النهاية قد امتلأ ولم يعد يسع مزيدا.

بيتر : **(بسعال)** إحم.

الدكتور : ولكن راقت أفكارى فى النهاية، وإذ ذاك تبيَّن لى الواقع برمته فى جلاء ووضوح، وهذا الذى من أجله تروننى واقفا هنا هذه الليلة. إن لدى وحيًا عظيم القدر أطلعكم عليه، إخوانى المواطنين. سأخبركم عن استكشاف أوسع مدى من القول التافه بأن مورد مائنا مسموم وأن حماماتنا الاستشفائية قائمة على أرض موبوءة.

عدة أصوات : **(زاعقين)** لا تتكلم عن الحمامات، لا نسمع لك عنها شيئا، أقصر عن هذا.

الدكتــــــور : لقد قلت لكم الآن توّا أن ما أريد أن أتكلم عنـــه هـــو الاستكشاف العظـــيم الـــذى اهتـــديت إليـــه قريبـــا، استكشاف أن كل منابع حياتنا الخلقية مـــسمومة، وأن مجتمعنا المدنى برمته قـــائم علـــى أســـاس موبـــوء بالأكاذيب.

أصوات مواطنين : **(بدهشة)** ماذا يقول؟

بـــيـتـــــر : مثل هذا التعريض...

أسلاكســـن : **(ويده على الجرس)** أدعو حضرة الخطيب أن يخفف من لهجته.

الدكتـــــور : لقد أحببت هذا البلد الذى ولدتُ فيه حبَّ الإنسان داره التى قضى فيها أيام صباه، ولم أكن كبير السن يـــوم رحلت عنها. ولقد خلعت الغربة والشوق والـــذكرى عليه وعلى ساكنيه مطرفا آخر من البهاء. **(بعـــض تصفيق واستحسان ضعيف)** وهناك بقيـــت ســـنوات عدة، فى جحر شنيع فى الشمال النائى. فلما اتصلت ببعض الناس الذين يعيشون مبعثرين بين الـــصخور، كنت كثيرا ما أرى خيرا لأولئك المـــساكين الـــذين يعيشون فى شبه مجاعة لو أرســـل إلـــيهم طبيـــب بيطرى بدلا من رجل مثلى. **(تذمر بين الجمع)**.

بيــلنـــج : **(واضعا قلمه)** علىَّ اللعنة إذا كنت قد سمعت...!

هوفستــاد : هذه إهانة لجماعة محترمة.

الدكتـــور : تمهل قليلا، لا أظن أحدًا يتهمنى بأنى وأنا هناك قد نسيت بلدى، فلقد كنت أشبه شيء بالأوزة الراخمة فى عشها، وكان ما أفرخت لكم هو مشروع هذه الحمامات، **(استحسان واحتجاج)** ثم إذ كتب لى القدر عظيم السعادة بالعودة إلى الوطن، أؤكد لكم يا سادة خيل إلىَّ أنى قد بلغت غاية المنى، فلم يعد لى ما اشتهى، اللهم إلا شيئًا واحدًا، أشتهيه بحمية وهُيام، وبلا ملل، وذلك هو وذلك هو أن أوفق إلى خدمة مسقط رأسى ونفع مواطنىَّ.

بيــتــر : **(ناظرا إلى السقف)** لقد اخترت لذلك طريقة عجيبة، إحم...

الدكتـــور : وإذ عميت عيناى عن حقائق الواقع، أغرقت فى السعادة. ولكن أمس صباحا – لا، بل للتحقيق – أمس عصرا، تفتحت عيون عقلى تفتحا واسع المدى، وأول شيء أدركته هو عظيم ما انطوى عليه أولو الأمر من البلادة. **(ضجيج وصياح وضحك، وكاترين تسعل باستمرار).**

بيتر : حضرة الرئيس!

أسلاكسن : **(داقا الجرس)** بمالى من السلطة...!

الدكتور : إنه لجميل أن تأخذ علىَّ الطريق من أجل كلمة يا مستر أسلاكسن. ليس ما أعنيه سوى أننى تبينت ما لا يكاد يصدقه العقل من خطل القادة الذين يتولون شئون الحمامات وجمودهم، إنى لأمقت من يتولون أمور الناس، لقد تحملت فى حياتى من أمثالهم فوق حد الكفاية. إنهم أشبه بالتيوس المسومة فى حقل حديث الزرع، حيثما سارت أحدثت تلفا. يقفون فى وجه الرجل الحر حيثما يمم، وأقصى أمانى نفسى أن أراهم يبادون كما تباد الهوام السامة الأخرى. **(ضجيج)**.

بيتر : حضرة الرئيس! أنجيز مثل هذا الكلام؟

أسلاكسن : **(ويده على الجرس)** يا دكتور!

الدكتور : ليس فى استطاعتى أن أدرك كيف أنى لم أتبيَّن إلى الآن حقيقة هؤلاء السادة، على حين أن لدىَّ كل يوم فى هذه البلدة مثلا أىَّ مثل لهم - أخى بيتر - البطىء الإدراك الجامد النفس كالبُهم بتعصبه **(ضحك وضجيج وصياح، وتأخذ كاترين فى السعال بلا انقطاع، ويقرع أسلاكسن جرسه بعنف)**.

الرجل السكران : **(وقد تسلل ودخل)** أعنِّى يتكلم؟ اسمى بيترسون، لا بأس، ولكن ليأخذنى الشيطان إذا...

أصوات مغضبة: أخرجوا هذا السكران، أخرجوه. **(يخرجونه مرة أخرى).**

بيتر : من كان هذا الرجل؟

مواطن أول : لا أدرى من هو يا حضرة العمدة.

مواطن ثان : ليس من أهل البلدة.

مواطن ثالث : أظن أنه بحار من بلدة... **(لا يسمع باقى الكلام).**

أسلاكسن : الظاهر أنه شرب كثيرا من الجعة. استمر يا دكتور، ولكنى أرجو منك أن تعمل على تخفيف لهجة كلامك.

الدكتور : حسن يا سادة، لن أتكلم بعد ذلك شيئا عن قادتنا. وإذا خيل إلى أحد منكم أننى عنيت بما قلت الآن الطعن فى هؤلاء الناس هذه الليلة، فليعلم أنه مخطئ بعيد كل البعد عن القصد، لأنى مملوء القلب بالاعتقاد المسعد المغذى للنفس أن هؤلاء الطفيليين تراث العهد القديم المحتضر، إنما يمهدون السبيل بأيديهم أحسن تمهيد لفناء أنفسهم وزوالها. وماهم بحاجة إلى

نطاسيٍّ خبير لتعجيل آخرتهم، بيد أن ليس هؤلاء الناس بالذين يخشى منهم الخطر الداهم على المجتمع، ليسوا أنشط العاملين على تسميم موارد حياتنا الخلقية وتلويث الأرض التى نحن عليها بصنوف الأوبئة. ليس أولئك أعدى أعداء الحق والحرية بيننا.

صائحون من جميع الجهات : من إذن؟ من هم؟ اذكرهم، سمِّهم.

الدكتور : تمهلوا وثقوا أنى سأسميهم. هذا هو الاستكشاف الذى وُفِّقت إليه بالأمس. **(يرفع صوته)** أخطر أعداء الحق والحرية بيننا، هم الغالبية المتراصة. نعم، الغالبية المتراصة الملعونة. الغالبية الحرة، أولئك هم فاعرفوهم. **(ضجيج عال جدا، غالب الجمهور يصيح. ويضرب الأرض برجليه ويصفر ، ويتناول النظرات بعض كبار السن من بينهم وتلوح عليهم سيما الارتياح. وتنهض كاترين قلقة، وإيليف ومورتن يتقدمان مهددين بعض تلاميذ يصيحون صياح الهررة والكلاب وغيرها. ويقرع أسلاكسن جرسه ويلتمس من الحاضرين أن يسكتوا. وهوفستاد وبيلنج يتكلمان**

فى وقت واحد، ولكن لا يسمع كلامهمـــا، وأخـــيرا يعود الجمع إلى السكون).

أسلاكسـن : بصفة كونى رئيسا أكلف الخطيـب أن يـسحب مـا تعجل به لسانه من القول بلا روية.

الدكتـور : محال يا سيد أسلاكسن، إنها هى الغالبية فى مجتمعنا التى أنكرت علىَّ حريتى وعملت على منعى من أن أنطق بالحق.

أسلاكسـن : الحق دائما فى جانب الغالبية.

بيـلنـج : والصدق كذلك، وربى.

الدكتـور : لا يكون الحق فى جانب الغالبية بتاتا – أقـول لكـم بتاتا – تلك إحدى الأكاذيب الاجتماعية التـى يجـب على كل رجل مستقل حصيف أن يحاربهـا. ممـن تتألف غالبية السكان فى هذا القطر يا تـرى؟ أمـن الألباء أم من السفهاء؟ لا يخـامرنى الظـن بـأنكم تنكرون الواقع، وهو أن السفهاء هم الآن أصـحاب الغالبية الغامرة فى الدنيا برمتها، ولكن يا إلهـى... فهل منكم من يستطيع أن يقـول إن مـن الحـق أن يتولى السفهاء حكم العقلاء؟

(صياح وضجيج)

أجل: أجل، يمكنكم أن تخفتوا صوتى بالصياح، ولكنكم لا تستطيعون أن تحيروا جوابا. الغالبية فى جانبها القوة، نعم، وا أسفاه. أما الحق فلا. إنى على الحق - أنا وبضعة أفراد متوزعين - القلة دائما على حق. (ضجيج وصياح).

هوفستاد : آها، إذن فقد أصبح الدكتور ستوكمان أرستقراطيا منذ أمس الأول.

الدكتور : لقد سبق لى القول إننى لا أريد أن أنفق كلمة واحدة فى الكلام عن الفئة الضئيلة، الضيقة الصدر، القصيرة النفس، التى تتولى الزمام. لا، لم تعد الحياة النابضة تشغل نفسها بأمرهم؛ إنما أنا أفكر فى العدد القليل من الرجال المبعثرين بيننا الذين اشتفوا حقائق جديدة عفية. أولئك الرجال يقفون فى الطليعة، على مدى أبعد من أن تلحقهم لديه الغالبية المتراصة. وهناك هم يقاتلون فى سبيل الحقائق التى لم تتمخض دنيا العقل عنها إلا منذ عهد قريب جدا، فلم يتيسر أن يكون لها من الأنصار عدد يذكر.

هوفستـــاد : ها قد أصبح الدكتور الآن ثوريا.

الدكتــــور : يا إلهى، بالطبع أنا كذلك يا سيد هوفستاد! فى عزمى أن أثير ثورة على الأكذوبـــة الـــسائرة، أكذوبـــة أن الغالبية وحدها صاحبة الحقيقة. وما نوع هذه الحقيقة التى تنصرها الغالبية عادة؟ إن هى إلا حقيقـــة قـــدُم عهدها حتى أخذ بنيانها يتداعى. وإذا كانـــت هنـــاك حقيقة من القِدم عند هذا الحد فهى توشك أن تنقلـــب أكذوبة. (**ضحك ومواء وعواء**) أجل، هذا هو الواقـــع صدقتم أم لم تصدقوا. ولكن الحقائق ليست كما يتوهم البعض طويلة العمر كنوح فى الـــسالفين. فالحقيقـــة المؤسسة على بنيان صحيح لا يطول عمرها، فيمـــا تقول، أكثر فى العادة من سبعة عشر عاما أو ثمانية عشر وعلى الأكثر عشرين، وقلما زادت عن ذلـــك. ولكن الحقائق التى تبلغ من العمر هذا القدر تكون قد هزلت حتى بدت كلاها. ومع ذلك فهى لا تبدو لعين الغالبية إلا وهى فى هذه الصورة، ويومئذ يتواصون بها فى المجتمع ويرونها غذاء عقليا صالحا. لا، يـــا سادة، ليس لمثل هذه المادة قيمة غذائيـــة. هـــذا مـــا

أؤكده لكم، ومن حقى - إذ أنا طبيب - أن أعرف ذلك. هذه الحقائق التى تقول بها الغالبية هى أشبه شيء باللحم المملح من العام الماضى، مثل لحم الخنزير الزنخ العفن، وهى مصدر الأسقربوط النفسى الشائع فى مجتمعاتنا.

أسلاكسن : يخيَّل إلىَّ أن الخطيب قد شرد شرودًا كبيرًا عن موضوعه.

بيتر : أنا على رأى حضرة الرئيس بتمامه.

الدكتور : أزايلك الرشد يا بيتر؟ إنى ملتزم جانب موضوعى تمام الالتزام، لأن موضوعى هو هذا. إن هذه الغالبية المتراصة السافلة... هى التى تسمم موارد حياتنا الخلقية، وتعدى بوبائها الأرض التى نحن عليها.

هوفستاد : وكل هذا لأن الغالبية العظيمة، الواسعة العقل، هى من الصواب بحيث لا تقر إلا الحقائق الممحصة، الحقائق المقررة.

الدكتور : آه، يا سيد هوفستاد. خلِّ عنك الكلام الفارغ عن الحقائق الممحصة. إن الحقائق التى تسلم الدهماء بها

اليوم، هى الحقائق التى ناصرها المجاهدون فى الطلائع أيام أجدادنا. أما نحن المجاهدين فى الطلائع فى هذه الأيام، فلم نعد نقرها. ولست أظن أن هناك حقيقة ممحصة مجربة غير ما أقول لك، وهو أنه لا يستطيع مجتمع أن يحيا حياة سليمة إذا هو لم يطعم إلا تلك الحقائق النخرة.

هوفستاد : ولكن بدلا من وقوفك هكذا تلقى نظريات عامة، يحسن بك أن تذكر لنا ما هى هذه الحقائق النخرة، التى جعلناها غذاء لنا.

(استحسان من جميع الجهات)

الدكتور : أوه، فى إمكانى أن أعطيك ركاما من هذه الحثالات، ولكنى سأقتصر فى المبدأ على إحدى الحقائق المسلم بها، وهى فى أساسها أكذوبة فظيعة. يتغذى بها السيد هوفستاد ورسول الشعب. وجميع أنصار هذه الجريدة.

هوفستاد : وتلك الأكذوبة هى...؟

الدكتور : هى تلك العقيدة التى ورثتموها عن آبائكم، ونشرتموها بلا روية فى الخافقين، عقيدة أن

الجمهور، أن الدهماء الغوغاء، هم الجزء اجوهرى من سكان كل بلد، وأنهم هم الذين يتألف منهم الشعب، وأن الناس العاديين الجهلة، العنصر الناقص التكوين فى المجتمع، لهم من الحق فى الحكم والتقدير، وفى الإدارة والحكومة، مثل ما للأفذاذ أولى الذاتية الفكرية العليا.

بيلنج : علىَّ لعنة الله إن كان قد سبق لى...

هوفستاد : **(فى نفس الوقت، صائحا)** أيها الإخوان المواطنون تنبهوا إلى هذا الكلام جيدا.

بعض أصوات: **(مغضبة)** أوه! ألسنا نحن الشعب! لا يحكمنا إلا السراة! هم فقط!

أحد العمال : أخرجوا هذا الرجل من هنا، جزاء كلامه الفارغ.

غيره : أخرجوه.

غيره : **(صائحا)** انفخ فى القرن، يا إيفنسون!

(ينفخ فى قرن بصوت عال جدا، بين أصوات صفير وضجيج من مغضبين).

الدكتور : **(لما يهدأ الصياح قليلا)** ارشدوا! ألا تطيقون صوت الحق مرة! لا أرتقب منكم بحالٍ ما أن توافقونى

برمتكم، ولكن لا بد لى أن أقول إنى كنت أرتقب أن يسلم السيد هوفستاد بأنى كنت علـــى حـــق، عنـــدما يستجمع قوى نفسه قلـــيلا، إنـــه يـــدعى أنـــه حـــر العقيدة.

أصـــــوات : **(متعجبة)** حر العقيدة! هوفستاد حر العقيدة!

هوفستـــاد : **(صائحا)** أثبت ذلك يا دكتور ستوكمان، متـــى قلـــت ذلك فى مطبوع؟

الدكتـــــور : كلا، خسئت. أنت على حق، لم يكن عندك الـــشجاعة لذلك. لا بأس، لا أريد أن أزج بك فى مأزق، ولنقل إنى أنا ذو العقيدة الحرة إذن. سأثبت لكم بالبرهـــان العلمى أن جريدة رسول الشعب تجركم من أنـــوفكم بطريقة مخزية حين تقول لكـــم إن عامـــة النـــاس، الدهماء الغوغاء، هم روح الشعب الحقيقية. ليس هذا الكلام، أؤكد لكم، إلا أكذوبة صحفية، ليس العامة إلا المادة الغفل التى يصاغ منهـــا الـــشعب. **(تأوهـــات وضحك وضجيج)** ها، أليس هذا هو الواقع، ألـــيس هناك فرق عظيم بين نسيلة من الحيـــوان أُحـــسنت تربيتها وأخرى أسيئت؟ خذوا مثلا دجاجة عادية من

الدجاج المسوَّم بعيدا عن الإهراء. أى لحم تـصيبون من مثل هذه الجلدة الهزيلة؟ لا تصيبون غير قليـل، أؤكد لكم! وأى بيض تضعه؟ خير منـه مـا يـضع الغراب. ثم خذوا دجاجة مرباة إسبانية أو يابانيـة أو خذوا درَّاجا أو دجاجة رومية وانظـروا الفـرق، أو خذوا للمثل، الكلاب التى نعيش معهـا نحـن بنـى الإنسان على شرعة المودة، فكروا أولاً فـى كلـب عادى، أعنى أحد تلك الكلاب البشعة، الخشنة الشعر، المنحطة التربية التى لا تفعل شيئا غير الجرى فـى الشوارع وتوسيخ جدران المنازل. قارنوا أحد هـذه الكلاب بكريم رُبى أبواه مدى أجيال عدة فـى بيـت سرى من السراة، كان لها فيه خير طعـام، وأجمـل فرص الاستماع إلى الصوت الجميـل والموسـيقى، ألا ترون أن عقل الكريم يكون قد نما وتهذب حتـى بلغ درجة تختلف عن عقل الكلب الحطيط؟ لا شـك فى ذلك. أجراء مثل ذلك الكلب الكريم هـى التـى يعلمها العارضون فتأتى من أفعال المهارة ما لا يكاد يصدقه العقل؟ أشياء يستحيل على الكلب العـادى أن

يتعلمها ولو وقف على رأسه. (ضـــحــح بأصــوات تقليدية، عواء ومواء... إلخ).

أحد المواطنين : (مناديا) أتريد أن نستنتج من ذلك الآن اننا كلاب؟.

مواطن آخر : لسنا حيوانات يا دكتور!

الدكتــــور : بل وربى يا صاحبى كلنا كذلك، نعــم، إننـــا أرقـــى الحيوانات طرا، ولكن الكرام من بيننا قليل. إن هناك فرقًا شاسعًا بين حطيط الناس وكريمهم، وألطف مـــا فى الأمر أن السيد هوفستاد يتفق معى فى الرأى مـــا دام الكلام خاصًّا بذوات الأربع من الحيوانات.

هوفستـــاد : نعم هذا حق صراح فيما يختص بها.

الدكتــــور : حسن جدا. ولكنى ما أشرع أطبق القاعدة على ذوات الاثنتين من الحيوانات حتى ينكص الـــسيد هوفـــستاد على أعقابه. لا يجرؤ إذ ذاك أن يطلق عنان فكـــره مستقلا أو يواصل آراءه حتى تنتهـــى إلـــى نتيجـــة منطقية. ولذلك يقلب النظرية على وجهها ويصيح فى «رسول الشعب» معلنا أن الدجاجة السائمة والكلبـــة الشريدة هما أرقى ما فى الحظيرة. بيد أن هذا هـــو المسلك الطبيعى الذى لا بد أن يسير فيه الإنسان مـــا

دام فى بدنه أثر من أرومة منحطة، ولم يعبِّد لنفسه دربًا يرقاه إلى مراتب التفوق العقلى.

هوفستاد : أنا لا أدعى الصلة بشىء من هذا التفوق، إنى ابن ناس قرويين متَّضعين، وإنى لفخور أن الأرومة التى نسلت منها تضرب جذورها إلى عمق بعيد فى صميم الدهماء التى يسبها.

أصوات : مرحى، هوفستاد! مرحى، مرحى!

الدكتور : ليس نوع العامة الذى أعنيه مما لا يوجد إلا عند أسفل درجات السلم الاجتماعية، فإنهم يدبون ويتجمعون فيما حولنا، ونراهم حتى فى أرقى المراتب الاجتماعية. ما عليكم إلا أن تنظروا إلى عمدتكم المبرز المحترم، فما أخى بيتر إلا رجل عامى من فرعه إلى قدمه، ككل رجل من الدهماء يمشى فى حذاءين. **(ضحك وصفير)**.

بيتر : إنى أحتج على مثل هذه التعريضات الشخصية.

الدكتور : **(برباطة جأش)** وليس هذا لأنه مثلى متناسل من أحد لصوص البحر الأقدمين فى بلاد بوميرانيا أو جيرتها، كما هو الواقع...

بيتر : هذا إفك، خرافة، وأنا أنكرها.

الدكتور : بل لأنه لا يفكر إلا كما يفكر رؤساؤه، ولا يقول إلا بما يقولون. والذين يجرون هذا المجرى، هم على القول المعنوى، من صميم العامة. وهذا هو السبب فى أن أخى المكرم بيتر، هو فى الواقع أبعد ما يكون إنسان عن حقيقة التفوق، ومن ثم كان بعيدا عن الحرية فى تفكيره.

بيتر : يا حضرة الرئيس...!

هوفستاد : إذن، فالرجال البارزون هم وحدهم أحرار الرأى فى هذا القطر؟ إنك لتعلمنا الليلة شيئا جديدا. **(ضحك)**.

الدكتور : نعم، هذا جانب من استكشافى. وهناك جانب آخر، هو أن سعة العقل عبارة تكاد تكون مرادفة للفضيلة. وهذا هو السبب فى أنه لا وجه للعذر فى أن تكتب جريدة «رسول الشعب» كل يوم وتعلن أن الجمهور والدهماء والغالبية المتراصة هى وحدها صاحبة العقول السمحة الواسعة مجال الفكر، وصاحبة الفضيلة معا، وأن الرذيلة والفساد وكل نوع من أنواع النقص العقلى هى نتيجة التثقف، كما أن كل

القاذورات الناشئة من حماماتنا نتيجة المدابغ القائمة في موليدال. (**ضجيج ومقاطعة، ولكن الدكتور ستوكمان يظل رابط الجأش، فيبتسم ويستمر في كلامه مدفوعا ببغيته**) ومع ذلك فإن جريدة «رسول الشعب» نفسها لا تنقطع عن القول بضرورة ترقية العامة إلى مستوى حياة أرقى مما هى عليه. ولكن يا عجبى لهذا التناقض إذا أخذنا بما تقول به هذه الجريدة، لم يكن معنى هذه الترقية التى تريدها للعامة إلا تركها على الفور فى طريق الفساد والشر. ولكن من حسن الحظ أن القول بأن الثقافة مفسدة ليس إلا أكذوبة قديمة، آمن بها آباؤنا وورثناها نحن عنهم. لا يا سادة، إنما الجهل والفقر وقبح أحوال المعيشة هو الكفيل بأعمال الشيطان! البيت الذى لا يُهوَّى ويكنس كل يوم - بل ترى كاترين زوجتى ضرورة مسح البلاط أيضا، وإن كانت هذه مسألة للجدل - مثل ذلك البيت، أقول لكم، يفقد أهله فى مدى سنتين أو ثلاث سنين، ما يكون لديهم من قوة التفكير أو السير الأدبى. قلة الأوكسجين تضعف الضمير، ويخيَّل إلىَّ أن كثيرا من البيوت فى هذه البلدة يعوزها

الأوكسجين إعوازًا بالغًا. وذلك حكما بما أوجسه من أن الغالبية المتراصة من فقدان الوعى بحيث تريد أن تبنى مستقبل البلدة على أوحال الغش والأكاذيب.

أسلاكسن : لا نسمح بإلقاء مثل هذه التهم الخطيرة فى وجه مجتمع من المواطنين.

مواطن أول : أقترح أن يأمرْ الرئيسُ الخطيبَ بالجلوس.

أصوات : **(مغضبة) مرحى! مرحى! فى محله! مره بالجلوس.**

الدكتور : (فاقدا رباطة جأشه) إذن فعلىَّ أن أذهب وأعلن هذا الحق فى كل طريق. سأكتبه فى جرائد بلدان أخرى وسيعلم القطر برمته ما هو جارٍ هنا!

هوفستاد : يكاد يكون واضحا أن الدكتور ستوكمان لا يبغى إلا خراب بلدتنا.

الدكتور : نعم إن لمسقط رأسى من الحب عندى ما أوثر معه خرابه بدلا من أن أشيد سعادته على أكذوبة.

أسلاكسن : هذا كلام شديد. **(ضجيج ومواء، تسعل كاترين ولكن بغير جدوى، ولايعود زوجها يستمع لها).**

هوفستاد : (**صائحا فوق الرءوس**) لا شك فى أن الرجل الذى يريد أن يخرب المجتمع برمته هو عدو للشعب.

الدكتـــــور : **(بتحمس متزايد)** ماذا فى هدم مجتمع من الخطــورة إذا كان هذا المجتمع يعيش على الأكاذيب، الواجــب أن يهدم حجرا على حجر. نعم، كل مــن يعيــشون بالأكاذيب جديرون أن يبادوا كمــا تبــاد حــشرات الأرض. سينتهى بكم الأمر إلى إيصال العدوى إلــى القطر برمته، وستجلبون بعملكم على القطر ســوءا يستدعى أن يهدم كله، وإذا بلغت الأمور هذا المبلغ، فلا يسعنى إلا أن أقول من صميم القلب دعوا القطر كله يفنى، ودعوا أولئك الناس جميعهم يبيدون.

أصوات من الجمهور : هذا كلام يدل على أنه عدو الشعب.

بيـــلنــــج : ها! لقد صاح صائح الشعب، وحــق كــل مــا هــو مقدس.

الجمهور برمته : **(صائحا)** نعم. نعم، إنه عدو للشعب، إنه يكره وطنه، يكره أهله أنفسهم.

أسلاكســـن : بصفة كونى مواطنا وفردا من الأفراد، أشعر بقلــق عظيم فى نفسى إثر ما قدر لنا أن نستمع لــه. لقــد تبدى الدكتور ستوكمان فى لون ما كنت أتــوهم أن أراه فيه. وأرانى مضطرا مع مزيد الأســف، إلــى

إقرار الرأى الذى سمعته الآن من أقوال إخوانى المواطنين الموقرين، ولذلك أقترح أن نعبر عن هذا الرأى فى صورة قرار تصدره الهيئة، وأقترح أن يكون القرار بالنص الآتى:

«يعلن المجتمعون هنا أنهم يعتبرون الدكتور ستوكمان مفتش صحة الحمامات عدوًّا للشعب».

(عاصفة من الاستحسان والتصفيق، ويحيط عدة من الناس بالدكتور ويصفرون فى وجهه، وتكون كاترين وبترا قد نهضتا، ومورتن وإيليف يتضاربان مع بعض التلاميذ الحاضرين من أجل هذا الصفير، ويفرقهم بعض كبار التلاميذ)

الدكتور : **(للأفراد الذين يصفرون فى وجهه)** أوه، إنكم مجانين، أقول لكم...

أسلاكسن : **(داقًّا جرسه)** لا نستطيع أن نستمع لك الآن يا دكتور، نحن على وشك أن نأخذ قرارا رسميا. ولكن سيكون هذا القرار رعيا لكرامتك، سرا بالكتابة لا علنا بالشفاه. أعندك ورق يا سيد بيلنج؟

بيلنج : عندى النوعان، الأزرق والأبيض.

أسلاكسن : (ذاهبا إليه) هذا يكفى الغرض على أتمه، سنسرع فى عملنا بهذه الطريقة، قسمه قطعا صغيرة. أجل، هكذا.

(إلى الجمهور) الأزرق معناه لا، والأبيض معناه نعم، وسأمر أنا نفسى وأجمع الأوراق. **(يترك بيتر ستوكمان محل الاجتماع ويذهب أسلاكسن وواحد أو اثنان مطوِّفين فى القاعة، يتناولون قطع الورق المجموعة فى قبعاهم).**

مواطن أول : قل لى! ماذا أصاب الدكتور؟ ما معنى هذا كله؟

هوفستاد : عجبا، ألا ترى أنه صلب متهور؟

مواطن ثان : (إلى بيلنج) بيلنج، إنك تذهب إلى بيتهم كثيرا، ألم تلاحظ أنه يشرب الخمر؟

بيلنج : علىَّ اللعنة إذا كنت أعرف ماذا أقول، كلما ذهبت وجدت على المائدة خمرًا.

مواطن ثالث : يخيل إلىَّ أنه يفقد صوابه فى بعض الأحيان.

مواطن أول : ترى هل يُعرف فى أسرته شىء من الجنون.

بيلنج : لا أعجب أن يكون ذلك.

مواطن رابع : لا، لا يخرج الأمر عن حفيظة فى قلبه على بعضهم لأمر ما، فهو يريد أن ينتقم لنفسه منه.

بيلنج : أجل، الواقع أنه اقترح زيادة مرتبه منذ عهد قريب، ولم ينل هذه الزيادة.

المواطنون : **(معا)** آه، إذن فمن السهل أن ندرك السبب.

الرجل السكران : **(وقد دخل مرة ثالثة بين الجمهور)** أريد ورقة زرقاء، أريد. وأريد ورقة بيضاء أيضًا.

أصوات : أهذا هو السكران مرة أخرى، أخرجوه.

مورتن كيل : **(ذاهبا إلى الدكتور ستوكمان)** ها، أرأيت كيف أدت بك هذه الألاعيب الفردية؟

الدكتور : لقد أديت واجبى.

مورتن كيل : ما هذا الذى قلته عن المدابغ القائمة فى موليدال؟

الدكتور : لقد سمعتها بوضوح تام، قلت إنها مصدر جميع القاذورات.

مورتن كيل : ومدبغتى من بينها؟

الدكتور : مدبغتك لسوء الحظ أشدها أذًى.

مورتن كيل : وهل فى نيتك أن تنشر ذلك فى الجرائد؟

الدكتور : لن أخفى شيئا.

مورتن كيل : قد يعود عليك من ذلك ضرر بالغ يا ستوكمان. **(يخرج)**.

رجل ضخم : (ذاهبا إلى القبطان هورستر بغير اعتداد بالسيدات) أنت يا قبطان هورستر تعير منزلك لأعداء الشعب؟

هورستر : أظن أن لى الحق فى أن أصنع بملكى ما أريد يا سيد ويك.

الرجل الضخم : إذن فلن يكون لك اعتراض على أن أصنع بملكى ما صنعت أنت.

هورستر : ماذا تعنى بذلك يا سيدى؟

الرجل الضخم : ستسمع منى جواب ذلك فى الصباح. (يدور على عقبه وينصرف).

بترا : أليس هذا الرجل صاحب السفينة، يا قبطان هورستر؟

هورستر : أجل، هذا هو السيد ويك صاحب السفينة.

أسلاكسن : (ومعه أوراق التصويت فى يديه، يصعد المنصة ويدق جرسه) أيها السادة اسمحوا لى بإعلان النتيجة بأصوات جميع الحاضرين هنا ما عدا واحدًا.

أحد الشبان : هذا صوت الرجل السكران...

أسلاكسن : بأصوات جميع الحاضرين هنا ما عدا رجلا سكران يعلن هذا الاجتماع قراره بأن الدكتور توماس ستوكمان عدو للشعب. **(صياح وتصفيق)** مرحى ثلاث مرات لمجتمعنا القديم الشريف. **(تصفيق مجدد)** مرحى ثلاث مرات لعمدتنا النشيط الذى أخمد لولائه العميق صوت عواطف القرابة. **(هتاف)** انفض الاجتماع. **(ينزل)**.

بيلنج : مرحى ثلاث مرات للرئيس!

الجمهور برمته : مرحى ثلاث مرات لأسلاكسن.

الدكتور : قبعتى ومعطفى يا بترا. يا حضرة القبطان!... هل عندك فى السفينة مكان لراحلين إلى أرض الدنيا الجديدة.

هورستر : لك ولذويك نفسح المكان يا دكتور.

الدكتور : **(حين تساعده بترا على ارتداء معطفه)** حسن، تعالَىْ يا كاترين، تعالَوْا يا أولاد.

كاترين : **(بصوت منخفض)** توماس عزيزى، دعنا نذهب من الطريق الخلفى.

الدكتــــور : لا ألجأ إلى الطرق الخلفية يا كاترين. (رافعا صــوته) ستسمعون أكثر مما سمعتم عن عدو الشعب هذا، قبل أن ينفض تراب نعليه عليكم! لست عفُــوًّا كــبعض الأشخاص، فلا أقول إنى أعفــو عــنكم، لأنكــم لا تعرفون ما أنتم فاعلون.

أسلاكســن : (صائحا) فى هــذه المقارنــة تجــديف يــا دكتــور ستوكمان.

بيــلنــج : إنها تجديف، وربى! ومن الكفر أن يستمع لها رجــل تقى...

صوت خشن : يتهددنا الآن هو! يتهددنا!

أصوات أخرى : هلم بنا نذهب ونكسر نوافذ بيته، ونغطه فى الخليج.

صوت آخــر : انفخ فى البوق يا إيفنسون، بيب، بيب. (نفخ فى بوق، صفير، وصراخ عال، يخرج الدكتور ستوكمان مــن القاعة، ومعه عائلته وذلك بأن يفسح لهم هورســتر الطريق).

الجمهور كله : (صارخـــاً وراءهم وهم ذاهبون) عدو الشعب، عدو الشعب!

بيلنج : (وهو يجمع أوراقه) عليَّ اللعنة إذا أنا ذهبت لأشرب التودى مع ستوكمان وعائلته الليلة.

(يتجمع الجمهور عند باب الخروج ويستمر الضجيج فى الخارج، ويسمع صراخهم قائلين: عدو الشعب).

«انتهى الفصل الرابع»

الفصل الخامس

المنظر:

(غرفة مطالعة الدكتور ستوكمان، ترى خِزانات الكتب والعيِّنات الجراحية الطبية بجوار الحيطان، وفى المؤخرة باب يؤدى إلى غرفة الجلوس، وفى الحائط الأيمن نافذتان زجاجهما كله مكسور، وقد وُضع مكتب الدكتور مثقلاً بالكتب والأوراق فى وسط الغرفة، والغرفة تبدو عادمة النظام، الوقت صباح، والدكتور لا بسٌ بذلة البيت (روب دى شامبر) وخفَّيْن (شبشب) وعلى رأسه قبعة التدخين، وتراه مكبًّا يعبث بمظلة تحت إحدى الخِزانات، وبعد قليل يُخرِج قطعة من الحجر).

الدكتور : (مناديًا من باب غرفة الجلوس المفتوح) كاترين! وجدت حجرًا آخر.

كاترين : (من غرفة الجلوس) هوه، ستجد عدة أحجار أخر. فيما أرجِّح.

الدكتور : (يضع الحجر فوق كومة أحجار على المنضد) سأدّخر هذه الأحجار كما تُدخر الآثار. سينظر إليها إيليف ومورتن كل يوم، وإذا كبرا ورثاها فيما يرثان من

المخلفات. **(يعبث تحت إحدى خزانات الكتب)** ألم تذهب تلك للشيطان، ما اسمها؟ تلك الفتاة، أنت عارفة، – لإحضار الزجاج، بعد.

كاترين : **(داخلة)** بلى، ولكنه قال إنه لا يدرى هل يستطيع الحضور اليوم.

الدكتور : سترين أنه لا يجرؤ أن يجىء.

كاترين : أجل، هذا بعينه ما قدَّرته راندين، إنه لا يجرؤ على الحضور خوفًا من جيرانه. **(تُنادِى فى غرفة الجلوس)** ماذا تريدين يا راندين؟ أعطنيه. **(تذهب داخلة فى غرفة الجلوس وتعود على الفور)** هذا خطاب لك، يا توماس.

الدكتور : دعينى أره **(يفتحه ويقرأه)** هاهو ذا، بالطبع.

كاترين : ممن هو؟

الدكتور : من صاحب الملِك، إنذار بالإخلاء.

كاترين : أهذا ممكن؟ مثل هذا الرجل اللطيف...؟

الدكتور : **(ناظرًا فى الخطاب)** لا يجرؤ أن يفعل غير هذا، هكذا ما يقوله. إنه لا يحب ما يفعل، ولكنه لا يجرؤ أن يفعل غير ذلك، حذرًا من إخوانه فى الوطن؛ مراعاة

للرأى العام. إنه فى مركز ذى صلات و لا يملك أن يُغضِب بعض ذوى النفوذ.

كاترين : ها أنت ذا ترى يا توماس...

الدكتور : نعم، نعم، أرى حق الرؤية، الجميع فى البلدة برمَّتها جبناء، ليس فيهم رجل واحد يقوى على عمل شيء خشية غيره. **(يُلقِي الخطاب على المكتب)** ولكن هذا لا يهمنا، يا كاترين، نحن مبحرون عن هذه الأرض إلى الدنيا الجديدة و...

كاترين : ولكن، يا توماس، أأنت واثق أننا على صواب فى هذا الرأى؟

الدكتور : أتعنين أنه يجب علىَّ أن أبقى هنا، حيث شهَّروا بى ووسمونى بأنى عدو للشعب؟ وكسروا نوافذ دارى؟ وإليك فانظرى هنا يا كاترين، إنهم أحدثوا مزقًا كبيرًا فى بنطلونى الأسود أيضًا.

كاترين : ويحى! هذا أحسن بنطلون عندك.

الدكتور : لا يصح لك أن تلبسى أحسن بنطلون عندك عندما تخرجين للقتال فى سبيل الحرية والحق، ليس ذا لأنه يهمنى الحرص على البنطلون، كما تعلمين فإن من

السهل أن تخبطيه لى وتعيديه سيرته الأولى. وإنما كون القطيع العام يجرؤ أن يبغى علىَّ هذا البغى، كأنما هم نظرائى، هذا ما لا أستطيع تحمله، ولو كان فى ذلك حياتى.

كاترين : لا شك أنهم أساءوا إليك إساءة سمجة يا توماس، ولكن أهذا سبب يكفى لتركنا وطننا تركًا باتًّا.

الدكتور : أترين أننا إذا ذهبنا إلى بلدة أخرى لم نجد العامة بها وقحاء كما هم هنا؟ ثقى أنه لا فرق بينهم مما يؤثر به فريق على فريق، أوه، لا بأس، دعى الكلاب تنبح، ليس هذا أسوأ ما فى الأمر. أسوأه أنه لا يوجد رجل فى هذا القطر من طرفه إلى طرفه الآخر إلا وهو عبد لحزبه، وإن أكن أعتقد أن الحال فى هذا الصدد ليس خيرًا من هذا فى بلاد الغرب الحرة. فأكبر الظن أن الغالبية المتراصة هناك، والرأى العام الحر، وكل ما يتضمن ذلك الكشكول القديم من الزور والأكاذيب، على مثل ما هى عليه هنا من الذيوع والانتشار. ولكن الأمور هناك تجرى على نطاق واسع، قد يقتلونك هناك، ولكنهم لا يعملون على

موتك بالتعذيب البطىء. هناك لا يعتصرون روح الرجل الحر فى المقطرة كما يفعلون هنا، وقد يستطيع الرجل أن يعيش فى عزلة إذا هو أراد ذلك (**يتمشى ذهابًا وجيئة**) لو أننى أعرف غابة عذراء أو جزيرة صغيرة فى البحر الجنوبى معروضة للبيع بثمن رخيص...

كاترين : ولكن فكِّر فى الأولاد يا توماس!

الدكتور : (**يقف ساكنًا**) إنك امرأة عجيبة يا كاترين. أتؤثرين أن يشبَّ الأولاد فى مجتمع كهذا المجتمع؟ لقد رأيت بعينيك ليلة الأمس أن نصف سكان هذه البلدة قد فقدوا عقولهم. وإذا لم يكن النصف الآخر قد فقدوا عقولهم، فذلك لأنهم من العجماوات، ليس لهم من العقل شىء يفقد.

كاترين : ولكن، يا عزيزى توماس، إن الأمور الخالية من الرويةَّ التى قلتها بالأمس، كان لها كما تدرى يد فيما جرى.

الدكتور : جرى! كيف؟ ألم يكن ما قلته صدقًا صريحًا؟ ألم يقلبوا كل فكرة على وجهها؟ ألم يصنعوا من الحق

والباطل خبيصة معصَّدة؟ ألم يقولوا عما أعرف أنـــه حق، إنه أكاذيب؟ وأبلغ ما فى الأمر من الحق كـــون أولئك الذين يسمون أنفسهم أحرارًا، أولئك الرجـــال البالغون، يسيرون فى البلدة جموعًا وهم يتـــصورون أنهم أهل العقول الراجحة السمحة، أسمعتِ بمثل ذلك يا كاترين؟

كاتـــــرين : أجل. أجل، ما أشد حمقهم فى ذلك، حقـــا، ولكـــن... **(بترا تدخل آتية من غرفـــة الجلـــوس)** عـــدتِ مـــن المدرسة فى هذا الوقت المبكر...؟

بتـــــــرا : أجل، أعطونى إنذارًا بالعزل.

كاتـــــرين : بالعزل!؟

الدكتـــــور : أنتِ أيضا؟

بتـــــــرا : أعطتنى السيدة باسك الإنذار، ولذلك رأيت أن أتـــرك المكان على الفور.

الدكتـــــور : لقد أحسنت أنت أيضًا.

كاتـــــرين : من كان يظن أن السيدة باسك امرأة من هذا الطراز!

بتـــــــرا : لا يا أمى ليست السيدة باسك من ذلك الطراز بتاتًـــا، فلقد رأيت بعينى كيف أنها كانت متألمة لما جـــرى،

ولكنها كما قالت لم تجرؤ أن تفعل غير ذلك، ولذلك طردتنى.

الدكتور : (ضاحكاً وماسحاً يديه إحداهما بالأخرى) لم تجرؤ أن تفعل غيرذلك! هى أيضًا. أوه، هذا شىء لذيذ!

كاترين : نعم، بعد تلك المشاهد المخيفة التى وقعت ليلة أمس.

بترا : لم يقتصر الأمر على ذلك، إليك يا والدى ، استمع.

الدكتور : ماذا!؟

بترا : أطلعتنى السيدة باسك على ما لا يقلُّ عن ثلاث رسائل وصلت إليها هذا الصباح.

الدكتور : غفل لا توقيع عليها فيما أظن؟

بترا : نعم.

الدكتور : نعم، لأنهم لم يجرءوا أن يخاطروا بإمضاءاتهم يا كاترين.

بترا : ومنها خطابان فحواهما أن رجلاً كان ضيفًا علينا، سمعوه ليلة الأمس يعلن فى النادى أن أرائى فى كثير من المسائل طليقة من كل قيد.

الدكتور : وأنت لم تنكرى ذلك طبعًا؟

بتــــــــرا : أنت تدرى أن هذا محال، آراء السيدة باسك طليقــة هى أيضًا إلى حد ما، عندما نكون على انفراد، أمــا الآن وقد ذاع هذا الرأى عنى فإنهــا لــم تجــرؤ أن تستبقينى بعد ذلك.

كاتـــــرين : وهذا من واحد كان ضيفًا من ضيوفنا أمس... هــذا يريك ما تناله من الجزاء على كرمك يا توماس.

الدكتــــور : لن نعيش بعد اليوم فى هذا الجحر القــذر، اجمعــى أشياء المنزل بأسرع ما تستطيعين يا كاترين، كلمــا عجّلنا بالرحيل كان أحسن لنا.

كاتـــــرين : اسمع - يُخيَّل إلىَّ أنى أسمع أحدًا فى البهو، انظرى من هو يا بترا.

بتــــــــرا : (فاتحة الباب) أوه، هذا أنت يــا قبطــان هورســتر، تفضل بالدخول.

هورستــــر : (داخلاً) سعد صباحكم، رأيت أن آتــى وأرى كيــف حالكم فى هذا الصباح؟

الدكتــــور : (هازًّا يده) شكرًا، هذا كرم منك.

كاتـــــرين : وشكرًا لك أيضًا على مساعدتك إيانا فــى اختــراق الجمهور يا قبطان هورستر.

بتـــــــــرا : كيف أمكنك أن تعود إلى منزلك بعد ذلك؟

هورستـــر : لم يكن فى ذلك صعوبة؛ إنى قوى نوعــا مــا كمـــا تعلمين، وأولئك الناس ينبحون ولا يعضُّون.

الدكتـــــور : أجل، أليس جبن هؤلاء الخنـــازير مدهـــشًا؟ انظـــر سأريك شيئًا، هناك كل الأحجار التـــى ألقوهـــا فـــى نوافذ بيتى، انظر وتمعن فيها. أراهن برقبتى علـــى أنه لا يوجد فى هذه الكومة حجران فى حجم وجيه، أما سائر الأحجار فليست إلا حصًى، هنات صـــغيرة حقيرة، ومع ذلك فقد وقفوا فـــى الخـــارج ينبحـــون ويتوعدون بالأذى، أما الفعل فإنك لا ترى منه شـــيئًا كثيرًا فى هذا البلد.

هورستـــر : من حسن حظك هذه المرة يا دكتور.

الدكتـــــور : فعلا، ولكنه يثير غضب الإنسان على كل حال، لأنه إذا حدث ذات يوم ما يستدعى جهادًا قوميًّـــا جـــديًا، رأيت الرأى العام فى جانب الفرار، وترى الغالبيـــة المتراصة قد أدارت ظهورها وأذنابها كقطيـــع مـــن الأغنام، يا قبطان هورستر، هذا ما تأسى له الـــنفس. يشغل بالى كثيرا أن... كلا، خسئت! من المـــضحك

أن أهتم بذلك. لقد سمّونى عدو الشعب، إذن فلأكن عدوًا للشعب حقًّا.

كاتـرين : لن تكون كذلك يا توماس.

الدكتـور : لا تقسمى على ذلك يا كاترين، قد يكون لإطلاق تسمية قبيحة على الإنسان من الأثر فيه ما يكون لوخز الإبرة فى الرئة، وهذا النعت الكريه لا يمكن أن أبرأ منه. إنه لاصق هنا فى نقرة أحشائى يفرى منى كالحامض الأكال. ولن تستطيع أية مغنيسيا أن تزيله.

بترا : هوِّن عليك، أجدر بك أن تضحك منهم يا دكتور.

هورستر : سيغيرون رأيهم يومًا ما، يا دكتور.

كاتـرين : نعم يا توماس هذا أمر مؤكد، كتأكُّدى من أنك واقف هنا.

الدكتـور : ربما حصل ذلك بعد فوات الأوان، وقد يكون فى ذلك فائدة لهم. سيخوضون فى أقذارهم يومئذٍ، ويذمون اليوم الذى دفعوا فيه بوطنىٍّ مثلى إلى المنفى. متى تسافر يا قبطان هورستر؟

هورستر : (يهمهم) هم، هذا فى الواقع ما جئت أتكلم معك فى شأنه.

الدكتور : لم؟ هل حدث للسفينة...؟

هورستر : كلا، وإنما الذى حدث أنى لن أسافر فيها.

بترا : أتعنى أنك عُزلت من قيادتها؟

هورستر : (باسماً) نعم هذا ما قد حدث فعلاً.

كاترين : إليك يا توماس، أترى!

الدكتور : وهذا من أجل الحق. آه، لو أننى عرفت إمكان حصول ذلك.

هورستر : لا تأسَ لهذا، إنى واثق أنى سأجد عملاً عند أحد أصحاب السفن فى جهة أخرى.

الدكتور : وهذا هو ويك، الرجل الغنى المستقل عن كل إنسان وكل شيء! قُبِّح الرجل!

هورستر : إنه فى الواقع رجل خيِّر، وقد قال لى هو نفسه إنه كان يسره أنْ يستبقينى لو أنه يقوى أن...

الدكتور : ولكنه لا يجرؤ، لا. لا، بالطبع!

هورستر : قال: ليس هيِّناً على رجل حزبى أن...

الدكتــــور : لقد نطق الرجل بالصواب، الحزب أشبه بمفرمة اللحم تهرس كل أنواع الرءوس معًا، السمين منها والهزيل، وتجعلها كلها خبيصة واحدة.

كاتـــرين : وى! وى، يا عزيزى توماس.

بتـــرا : **(إلى هورستر)** لو أنك لم تصحبنا إلى المنزل لما انتهى الأمر إلى ذلك.

هورستــر : لست آسفًا على ذلك.

بتـــرا : **(تقدِّم يدها إليه تحية)** شكرًا لك على هذا!

هورستــر : **(للدكتور)** ولذا فإن الذى أتيت إليكم من أجله هو هذا، إذا كنتم قد عزمتم على الرحيل فقد فكرت فى خطة أخرى.

الدكتــــور : حسن جدًّا،لو أننا نستطيع أن نرحل على الفور.

كاتـــرين : س، س. أليس الباب يُقرع؟

بتـــرا : إنه عمى ولا شك.

الدكتــــور : آها، **(بصوت عالٍ)** ادخل!

كاتـــرين : يا عزيزى توماس عِدنى وعدًا قاطعًا.

(يدخل بيتر من البهو)

بيـتـــر : أوه، أنت مشغول؛ لذلك فإنى...

الدكتــــور : لا. لا، أدخل.

بــيــتــــر : ولكنى أردت أن أتكلم معك على انفراد.

كاتـــرين : سنذهب نحن أثناء ذلك إلى غرفة الجلوس.

هورستـــر : وسأعود إليكم بعد فترة.

الدكتــــور : لا. لا ادخل هناك معهما يا قبطان هورستر، أريد أن أقف أكثر على...

هورستـــر : لا بأس، ســأنتظر إذن. **(يلحــق بكــاترين وبتــرا خارجـــاً إلى غرفة الجلوس).**

الدكتــــور : لا بد أنك تشعر بتيارات هوائية فى هذا المكان الليلة، البس القبعة.

بــيــتــــر : شكرًا لك، إذا استطعت. **(يلبس القبعة)** أظــن أنـــى اصبت بردا ليلة الأمس، لقد شعرت بقشعريرة وأنـــا واقف هناك.

الدكتــــور : حقًّا؟ لقد كانت فيما وجدت دفيئة جدا.

بــيــتــــر : إنى لآسف أنى لم أستطع أن أمنع مظاهر التطــرف التى بدت ليلة أمس.

الدكتــــور : هل عندك شىء آخر ذو أهمية خاصة تتحدث عنــه خلاف ذلك؟

بيتر : **(يخرج خطابًا كبيرًا من جيبه)** عندى لك هذه الوثيقة من لجنة الحمامات.

الدكتور : وثيقة عزلى؟

بيتر : أجل، ابتداء من اليوم. **(يضع الخطاب على المنضد)** يؤلمنا أن نفعل ذلك، ولكن إذا نحن تكلمنا بصراحة لم نجرؤ أن نفعل غير ذلك حذر الرأى العام.

الدكتور : **(باسمًا)** لم تجرأوا – يظهر أنى سمعت هذه الكلمة اليوم مرارًا.

بيتر : لا بد لى أن أرجو منك أن تتبيَّن حالتك بوضوح، لا يصح لك أن تعتمد فى المستقبل على شغلك الحر فى البلدة.

الدكتور : ليذهب الشيطان بالشغل الحر، ولكن كيف تأكدت من ذلك؟

بيتر : إن جماعة أرباب المساكن، كتبوا نشرة بأسماء جميع السكان لتمريرها من بيت لبيت. وقد أهابوا فى النشرة بكل صحيح الوجدان من المواطنين أن لا يستشيرك أو يلجأ إليك، وأؤكد لك ليس بين أصحاب العائلات فرد واحد يرفض التوقيع على النشرة بالإذعان، إنهم لا يجرأون.

الدكتـــــور : فعلاً، فعلاً، لا شك فى ذلك. ثم ماذا؟

بـيـتـــــر : إذا كان لى أن أنصحك فإنى أرى أن تهجر البلدة مدة قليلة.

الدكتـــــور : نعم.، لقد بدا لى صواب ترك البلدة فعلاً.

بـيـتـــــر : حسن، وإذا مضى عليك ستة أشهر تكون فيهـا قـد فكرت فى الأمور مرة أخـرى وتـدبرتها بالعقـل الناضج، فأقنع نفسك بكتابة بضع كلمات أسف، تقـر فيها بخطئك.

الدكتـــــور : وبهذا أسترد وظيفتى، تعنى ذلك؟

بـيـتـــــر : ربما، ليس هذا مستحيلاً، قطعًا.

الدكتـــــور : ولكن ما قولك فى الرأى العام يومئذ؟ حقًّـا إنكـم لا تجرأون يومئذ أن تعيدونى إلى وظيفتى رعيًا للشعور العام.

بـيـتـــــر : الرأى العام شىء قُلَّـبٌ حُـوَّلٌ بدرجـة عظيمـة. وأصارحك القول إنه يهمنا جدا أن يكون لدينا مثـل هذا التصريح منك كتابة.

الدكتـــــور : إذن فهذا ما أنت وراءه. اسمح لى أن أتعبك قليلاً فى تذكر ما سبق لى أن قلته لك منذ عهد قريـب عـن الحيل الثعلبية التى من هذا القبيل.

بيتر : كان مركزك يختلف يومئذ عما أنت فيه اليوم تمام الاختلاف، ولقد كنت يومئذ على حق فى تصور أن البلدة كلها وراء ظهرك.

الدكتور : والآن أجد جميع البلدة فوق ظهرى **(منتفضًا إباءً)** لا أفعل ذلك ولو كان الشيطان وامرأته فوق ظهرى، محال، محال، أؤكد لك.

بيتر : ليس لرجل مثلك ذى عائلة أن يسلك هذا المسلك، ليس لك حق أن تفعل ذلك يا توماس.

الدكتور : ليس لى حق! ليس فى الدنيا من شىء لا حق للإنسان الحر أن يفعله إلا أمر واحد، أتعرف ما هو؟

بيتر : كلا...

الدكتور : بالطبع أنت لا تعرفه ولكنى سأذكره لك، ليس للرجل الشريف أن يلوث نفسه بالقذر، ليس له الحق فى أن يسير فى هذه الحياة سيرًا يلزمه أن يبصق فى وجه نفسه.

بيتر : يطِنُّ هذا النوع من الكلام طنين الاستحسان العظيم. نعم، وإذا لم يكن هناك إلا هذا تعليلاً لعنادك... ولكن الواقع أنه يوجد.

الدكتــــــور : ماذا تعنى؟

بـيـيـتــــــر : أنت مدرك معناى تمام الإدراك، ولكنى كــأخ لــك، وكرجل حصيف، أنصحك أن لا تعول كثيرًا علــى الآمال، أو تركن إلى المطامح؛ فإنهــا قــد تكــذبك وتخيب قصدك.

الدكتــــــور : ليت شعرى فيم كل هذا؟

بـيـتـــــــر : أتريدنى حقًّا على أن أظن أنك تجهل وصــية الــسيد مورتن كيل؟

الدكتــــــور : إنى أعرف أن القَدْر القليل الــذى يملكــه مقــدر أن يُعطى إلى ملجأ العجزة والمعوزين من العمال. وماذا فى هذا مما يهمنى؟

بـيـتـــــــر : أولاً، ليس المال الذى نحن فى صدده قلــيلاً، الــسيد مورتن كيل رجل يعد غنيًّا.

الدكتــــــور : ليس عندى خبر عن ذلك.

بـيـتـــــــر : **(يهمهم)** هم، ألم يكن عندك حقا؟ إذن فلعلك لا تدرى أيضًا أن قسطًا عظيمًا من ثروته مكتــوب لأولادك، وأن لك ولامرأتك ربح رأس المال طول حياتكما. ألم يسبق له ذِكر هذا لك؟

الدكتـــور : لا، وشرفى، الأمر على العكس، إنه لم ينقطع عن أن يُصعد دخان التأفف من أنه مثقل بالضرائب، ولكن أأنت واثق من ذلك يا بيتر تمام الثقة؟

بيتـــر : أعرف الأمر من مصدر لا شك عندى فى صدقه.

الدكتـــور : إذن فالشكر لله، لقد ضمنت معيشة كاترين والأولاد كذلك. لا بد لى أن أطلعها على ذلك من فورى. **(ينادى)** كاترين، كاترين...

بيتـــر : **(يمانعه)** هش، لا تقل لها الآن شيئًا.

كاتـــرين : **(فاتحة الباب)** ما الخبر؟

الدكتـــور : لا شىء، لا شىء، لا بأس، عودى. **(تُقفل كاترين الباب ويمشى الدكتور فى الغرفة فى اضطراب)** ضمان العيش – قدر هذا الحال – عيشنا جميعًا مضمون، وذلك طول الحياة، ما أشد سعادة الإنسان بمعرفة أن عيشه مضمون له!

بيتـــر : أجل، ولكن هذا بالتحقيق ما لستَ فيه، فى إمكان السيد مورتن كيل أن يغيِّر وصيته أى يوم يريد!

الدكتـــور : ولكنه لن يفعل ذلك، يا عزيزى بيتر، إن إليغر مرتاح تمام الارتياح. لحملتى عليك وعلى إخوانك الراشدين.

بيتر : **(يؤخذ وينظر إليه متمعنًا)** آه، هذا يلقى نورا ويكشف لى كثيرًا من الأمور.

الدكتور : أية أمور؟

بيتر : أرى الآن أن المسألة برمَّتها مؤامرة بينك وبينه، هذه الحملات العنيفة الحمقاء التى طالعت بها قادة البلد تحت ستار الحق...

الدكتور : ما لها؟

بيتر : أرى أنها لم تكن إلا العوض المشروط فى مقابل ما تضمنته وصية ذلك الرجل الضغين.

الدكتور : **(وهو يكاد يكون مقطوع الأنفاس)** بيتر، أنت أقبح عامِّى لقيته فى حياتى برمَّتها.

بيتر : لقد انتهى كل شيء بيننا الآن، إن عزلك لا مرد له... فى يدنا اليوم سلاح ضدك. **(يخرج)**.

الدكتور : قبحًا لك! قبحًا لك! **(ينادى)** كاترين، امسحى البلاط وراءه، دعى – ما اسمها؟ خسئت – البنت التى على أنفها هباب دائمًا.

كاترين : **(فى غرفة الاستقبال)** هس، توماس، أمسك.

بتـــــــــرا : (آتية إلى الباب) أبى، جدى هنا، يتساءل هل يستطيع أن يلقاك على انفراد؟

الدكتــــــور : نعم **(ذاهبـــــاً إلى الباب)** ادخل يا سيد كيل **(يـــدخل مورتن كيل، ويقفل الدكتور باب الغرفة وراءه)** ماذا أستطيع فعله لك؟ ألا تجلس؟

كيــــــــــل : لا أريد الجلوس. **(يلتفت حوله)** أراك علـــى راحـــة تامة اليوم هنا يا توماس.

الدكتــــــور : نعم، أليس كذلك؟

كيــــــــــل : تمام الراحة، قدر وافر من الهواء النقى، فيما أعتقد. عندكم اليوم كثير من ذلك الأوكسجين الــذى كنــت تتكلم عنه ليلة أمس. لا بد أن يكون ضميرك اليــوم رائقًا جدًا، ولا مراء.

الدكتــــــور : بلا شك.

كيــــــــــل : هذا ما أعتقد **(يقرع صدره)** أتعرف ما الذى هنا؟

الدكتــــــور : ضمير رائق أيضًا فيما أؤمل.

كيــــــــــل : ها، لا شىء أفضل من هذا. **(يُخرِج من جيب صدره دفترًا سميكًا ويفتحه ويظهر منه ربطة من الورق)**.

الدكتــــــور : **(ناظرًا إليه بدهشة)** سهوم فى الحمامات؟؟

كيــــــل : لم يكن من الصعب الحصول عليها اليوم.

الدكتـــور : وقد كنت تشترى...؟

كيــــــل : أكثر ما كنت أستطيع دفع ثمنه...

الدكتـــور : ولكن، يا عزيزى كيل، فكر فى حالة الحمامات.

كيــــــل : إذا أنت سلكت فى الأمر مسلك رجل رشيد فإن فى استطاعتك ردَّها سيرتها الأولى.

الدكتـــور : لقد رأيت بعينك أننى بذلت كل جهدى ولكن... إنهم جميعًا مجانين فى هذه البلدة.

كيــــــل : قلت أمس إن أكبر الشر فى ذلك التلويث متأتٍ من مدبغتى، فإذا كان الأمر كذلك، فلابد أن جدى وأبى وأنا منذ عهد بعيد كنا نسمم البلدة، كأننا ثلاثة ملائكة موكَّلين بالهلاك، أتظن أنى سأصبر على هذه التهمة؟

الدكتـــور : أشفق لسوء الحظ أن هذا ما لا بد لك منه.

كيــــــل : لا، يا سيدى، شكرًا لك. إنى أغار على اسمى وسمعتى، يقولون إنهم يسموننى «إليغر» وهو نوع من الخنزير، ولكنى لا أريد أن أعطيهم الحق فى تسميتى بذلك، إنى أريد أن أعيش رجلاً نظيف اليد، وأن أموت كذلك.

الدكتـــــور : وكيف تستطيع ذلك؟

كيــــــــل : عليك أن تنظفنى يا توماس.

الدكتـــــور : أنا!؟

كيــــــــل : أتعرف بأى قدر من المال اشـــتريت هذه السهــوم؟ كلا، إنك لا تستطيع بـــالطبع أن تعـــرف، ولكنـــى سأخبرك. إنه المال الذى تـــصيبه كـــاترين وبتـــرا والولدان حين أقضى نحبى، لأنـــى اســـتطعت كمـــا تعرف أن أدخر بعض الشيء.

الدكتـــــور : (ذهابـــــاً) وأنت ذهبت فأخذت مال كـــاترين مـــن أجل هذا؟

كيــــــــل : أجل، جميع المال موظف فى الحمامات. والآن أريد أن أعرف هل أنت أحمق حمقاً صريحًا يا تومـــاس؟ فإذا أصررت على رأيك أن تلك الحيوانات وغيرهـــا من الهنات القذرة التى من هذا القبيل، ناشـــئة مـــن مدبغتى، فكأنما أنت تسلخ من جلد كـــاترين وبتـــرا والولدين سلخة كبيرة، ولا يفعل أحد هذا الفعل إلا إذا كان مجنوناً.

الدكتـــــور : (متمشيـــــًا) حقا، ولكنى مجنون، أنا مجنون.

كيـــــــــل : لا يمكن أن تكون عند هـــذه الدرجـــة البالغـــة مـــن الجنون، وأنت فى صدد أولادك وامرأتك.

الدكتـــــور : **(يقف ساكنـــــاً أمامه)** ولماذا لم تستشرنى فى الأمر قبل أن تذهب وتشترى كل هذه الأوراق الوسخة.

كيـــــــــل : ما أُبرم لا يُنقض.

الدكتـــــور : **(يتمشى وهو ثائر النفس)** لو أننى لم أكن متأكدًا مـــن الأمر! ولكنى مقتنع تمام الاقتناع أنى على صواب.

كيـــــــــل : **(وازنـــــاً الدفتر فى يده)** إذا تمسكت برأيك الأحمق فلن يكون لكل هذا الورق أدنى قيمة، كمـــا تـــدرى. **(يضع الدفتر فى جيبه).**

الدكتـــــور : ولكن – خسئت – قد يكون فى طاقة العلم اســـتنباط دواء واق، أو ترياق من نوع ما...

كيـــــــــل : لقتل تلك الحيوانات تعنى؟

الدكتـــــور : أجل ليجعلها غير مُضرَّة.

كيـــــــــل : ألا يمكن أن تجرب سم الفأر؟

الدكتـــــور : لا تتكلم كلامًا فارغًا. كلهم يقولون إن المسألة كلهـــا أوهام، إذن فلتكن كذلك، وليتـــصرفوا فيهـــا علـــى هواهم. ألم يسمنى أولئك الكـــلاب الجهلـــة الـــضيقة

العقل، عدو الشعب؟ ثم ألم يكونوا على وشك أن يمزقوا ثيابى عن ظهرى أيضًا!؟

كيل : ويكسروا نوافذ بيتك كلها.

الدكتور : وبجوار ذلك يقف واجبى حيال عائلتى. لا بد أن أتكلم فى الأمر مع كاترين، إنها سديدة الرأى فى هذه المسائل.

كيل : هذا فى محله، اهتد دائمًا بنصيحة المرأة الرشيدة.

الدكتور : **(متقدما نحوه)** كلما فكرت فى أنك تُقدِم على هذا العمل الأحمق إذ تخاطر بأموال كاترين بهذه الطريقة، وتضعنى فى هذه الحيرة المؤلمة الشنيعة! عندما أنظر إلى المسألة يُخيِّل إلىَّ أنى أرى الشيطان بعينه.

كيل : إذن فخير لى أن أنصرف، ولكن لا بد أن يصلنى منك رد قبل الساعة الثانية – إما نعم أو لا – فإن كان لا ، ذهبت السهوم إلى جهات الإحسان ويكون ذهابها فى هذا اليوم نفسه.

الدكتور : وماذا تأخذ كاترين؟

كيـــــل : ولا فلسًا واحدًا. **(ينفتح الباب المؤدى إلى البهو ويبدو هوفستاد وأسلاكسن)** انظر إلى هذين الاثنين.

الدكتـــور : **(محملقـًا فيهما)** يا للشيطان! ألكما وجه تجيئان بـه إلى بيتى؟؟؟

هوفستـــاد : نعم.

أسلاكســن : لدينا شيء نقوله لك.

كيـــــل : **(همسًا)** نعم أولا، قبل الساعة الثانية.

أسلاكســن : **(ناظرًا إلى هوفستاد)** آها! **(مورتن كيل يخرج)**.

الدكتـــور : نعم! ماذا تريدان منى؟ أوجزا.

هوفستـــاد : إنى أرى وجه غضبك علينا لموقفنا فى الاجتماع ليلة أمس.

الدكتـــور : موقفكما! تسميانه موقفًا. نعم لقد كان موقفًا سـاخرًا، إنى أسميه موقفا خاسرًا نسويًّا، مزريـًا إلـى حـدٍّ يستوجب اللعنة.

هوفستـــاد : سمِّه ما شئت، لم نكن نستطيع أن نفعل غير ذلك.

الدكتـــور : لم تجرؤا أن تفعلا غير ذلك. أليس هذا هو الواقع؟

هوفستـــاد : إذا أردت أن تعبر عنه بهذا التعبير.

أسلاكسن : ولكن لماذا لم تعطنا خبرًا عن هذا من قبل؟ إشارة تلميح بسيطة إلى السيد هوفستاد أو إلىَّ.

الدكتور : إشارة تلميح إلى ماذا؟

أسلاكسن : إلى ما هو وراء كل هذه المسألة.

الدكتور : لست أفهم ما تعنى بتاتًا.

أسلاكسن : **(يحْنِى رأسه إحناء الواثق)** بل إنك تفهمه يا دكتور ستوكمان.

هوفستاد : لم تعد هناك فائدة من كتمان الأمر.

الدكتور : **(ناظرًا مرة إلى أحدهما وأخرى إلى الآخر!)** يا للشيطان ماذا تعنيان كلاكما؟

أسلاكسن : أتسمح لي أن أسألك أليس حموك مطوِّفًا في البلد يشترى كل سهوم الحمامات؟

الدكتور : بلى. لقد كان يشترى اليوم سهوما من سهوم الحمامات، ولكن...

أسلاكسن : كان أحكم لو أنه كلَّف غيره شراءها، شخصًا قرابته منك أبعد من قرابته.

هوفستاد : وكان يجب أن لا يظهر اسمك في المسألة، ما كانت هناك ضرورة لأن يعرف الناس أنك أنت صاحب

الحملة الموجهة إلى الحمامات، كان يحسن بك أن تستشيرني يا دكتور.

الدكتور : **(ناظرًا أمامه، ثم كأنما أشرق عليه نور فيقول في ذهول)** أمثل هذه الأمور مما يمكن إدراكه؟ أمثل هذه الأمور ممكنة الحدوث؟

أسلاكسن : **(بابتسامة)** يظهر أنها كذلك، ولكن يحسن أن يستعمل الإنسان فيها شيئًا من اللباقة.

هوفستاد : ويحسن جدا أن يكون في مثل هذه الأمور أشخاص متعددون، لأن التبعة التي تقع على عاتق كل واحد منهم تخفُّ عندما يكون معه غيره!

الدكتور : **(وقد استجمع نفسه)** الخلاصة يا سادة، ماذا تريدون؟

أسلاكسن : لعله يحسن أن السيد هوفستاد...

هوفستاد : كلا خبره أنت يا أسلاكسن.

أسلاكسن : نعم، الواقع أننا نرى وقد عرفنا القصد الذي وراء المسألة برمَّتها، أن نجرؤ فنضع جريدة «رسول الشعب» في خدمتك.

الدكتـــــور : أتجرءون أن تفعلوا ذلك الآن؟ وماذا تصنعون بالرأى العـــام؟ ألا تخـــشون أن تـــسقط الـــصواعق علـــى رءوسنا؟

هوفستـــاد : سنحاول أن نردها عنا.

أسلاكســـن : ويجب أن تكون مستعدًّا لأن تولى وجهك شطر ناحية أخرى يا دكتور، فمتى تبينت أن طعنتـــك أصـــابت الكبد...

الدكتـــــور : تعنى أنه عندما أكون أنا وحَمِىَّ قد وضعنا يدنا على سهوم الحمامات بأبخس ثمن...

هوفستـــاد : أفهم أن ما دعاك إلى المطالبة بجعل رقابة الحمامات فى يدك، أسباب فى جوهرها علمية بحتة.

الدكتـــــور : بالطبع؛ لم يكن إلا لأسباب علمية إقنـــاعى الخنزيـــر العجوز أن يقف إلى جانبى فى هذه المسألة، على أن نعود فنجرى شيئًا من أعمال السمكرة فـــى أنابيـــب المياه، ونقوم بشىء من أعمال الحفر فى الـــشاطئ، وينتهى الأمر دون أن نتكلف عند ذلك قرشًا. أترون هذا يكفى؟

هوفستـــاد : أظن ذلك، إذا وقفت الجريدة من ورائك تشد أزرك.

أسلاكسن : الصحافة فى البلد الحر قوة عظيمة يا دكتور.

الدكتور : نعم، فى الواقع، وكذلك الرأى العام، وأنت يا سيد أسلاكسن فيما أرى تتحمل مواجهة جماعة أرباب المساكن؟

أسلاكسن : جماعة أرباب المساكن، وجمعية الاعتدال فى تعاطى المسكر، اعتمد علىَّ فى ذلك.

الدكتور : ولكن يا سادة، فى الواقع أنا خَجِل أن أسأل، أى مقابل ترون أن...؟

هوفستاد : كنا نفضل أن نساعدك بلا مقابل بتاتًا، صدقنى يا دكتور. ولكن جريدة «رسول الشعب» فى حالة متداعية، فهى غير سائرة كما يجب، ولا أطيق أن أقطع الجريدة عن الظهور فى هذه الأيام التى تتطلب فيها الحالة السياسية جهدًا كبيرًا.

الدكتور : نعم. نعم، قطعها يكون فى الواقع مؤلمًا لنفس رجل مثلك، محب للشعب. **(يهبُّ فى وجهه)** أما أنا فعدوٌّ للشعب، تذكر ذلك. **(يتمشى فى الغرفة)** أين وضعت عصاى، أين، للشيطان، عصاى؟

هوفستاد : ما هذا...

أسلاكسن : حقا إنك لا تعنى أن...

الدكتور : (يقف ساكنًا) وإذا أنا لم أعطكم فلسًا واحدًا مما أستفيده من هذه المسألة؟ ليس من السهل الحصول على نقود منا نحن الأغنياء، تذكروا ذلك من فضلكم!

هوفستاد : وأنت من فضلك تذكّر أن مسألة الحمامات ممكن عرضها فى صورتين مختلفتين.

الدكتور : نعم، وأنت عين الرجل الذى يستطيع ذلك. فإذا أنا لم أبادر بإنجاد رسول الشعب فإنك لا شك تلمح وجه السوء من المسألة وتطاردنى، هذا ما أتصوره، وتقتفى أثرى، وتحاول أن تخنقنى كما يخنق الكلب أرنبًا.

هوفستاد : هكذا حال الدنيا وشرِعتها، توجب على كل حيوان أن يجاهد فى سبيل عيشه.

أسلاكسن : ويحصل على طعامه من حيث قدر.

الدكتور : (متمشيًا فى الغرفة) إذن فاذهبوا وابحثوا عن طعامكم فى مجارى المراحيض، لأنى سأريكم أننى الحيوان الأقوى. (يجد مظلته فيرفعها فوق رأسه ويهزها) آه، الآن.

هوفستـــاد : لا تعنى بالطبع أن تستعمل العنف معنا.

أسلاكســـن : احذر ما أنت صانع بهذه المظلة.

الدكتـــــور : اخرج من النافذة، يا سيد هوفستاد.

هوفستـــاد : (عند الباب) أأنت مجنون؟

الدكتـــــور : من النافذة! يا سيد أسلاكسن، اقفز، أقول لك. لا بـــد لك من ذلك عاجلاً أو آجلاً.

أسلاكســـن : (جاريًا وراء منضد الكتابة) الاعتدال يا دكتور، إنـــى رجل ضعيف لا قدرة لى علـــى تحمـــل... النجـــدة! النجدة!

(تدخل كترين وبترا وهورســـتر مـــن غرفـــة الجلوس)

كاتـــرين : يا إلهى! توماس ما هذا!؟

الدكتـــــور : (هازًّا المظلة) اقفز إلى الخارج، هلـــم اقفـــز... إلـــى المجارى.

هوفستـــاد : هذا اعتداء على رجل لم يسئ! أدعوك للـــشهادة يـــا قبطان هورستر. (يخرج مسرعًا من البهو).

أسلاكســـن : (يتردد) لو أننى أعرف الطريق فى هذا البيت؟ (يسترق نفسه ويخرج من غرفة الجلوس).

كاتـــــرين : (مانعة زوجها) اضبط نفسك يا توماس.

الدكتـــــور : (ملقيًا المظلة) أما وحقى لقد فرًّا فى النهاية.

كاتـــــرين : ماذا كانا يريدان منك؟

الدكتـــــور : سأخبرك فيم بعد، عندى شىء آخر أفكر الآن فيــه. **(يذهب إلى منضد الكتابة ويكتب شيئًا على بطاقــة زيارة)** انظرى إلى هذا يا كاترين، ماذا كتبت علـــى البطاقة؟

كاتـــــرين : كتبت «كلا» بالثلُّث ثلاث مرات. ما معنى هذا؟؟

الدكتـــــور : سأخبرك عن ذلك أيضًا فيما بعد. **(يمد يده بالبطاقــة إلى بترا)** إليك يا بترا، قولى لذات الوجــه المهيــب، تجرى بهذا إلى إليغر بأسرع ما يمكنهــا، أســرعى. **(تأخذ بترا البطاقة وتخرج إلى البهو)** نعم، أظن أنـــى حظيت بزيارة من كل فرد من رسل الشيطان اليوم، ولكنى سأرهف قلبى حتى يشعروا بسنه، سأغمســه فى السم والمرارة، وسأقرع رءوسهم بدواتى!

كاتـــــرين : نعم، ولكنا راحلون يا توماس عن هذا البلد. **(تعود بترا)**.

الدكتـــــور : ها...

بتـــــــرا : لقد انطلقت بها.

الدكتـــــور حسن، راحلون؟ هل قلت ذلك؟ كلا، المـــوت ولا أن نرحل!!! سنبقى حيث نحن يا كاترين.

بتـــــــرا : نبقى هنا؟

كاتــــرين : هنا فى هذه البلدة؟

الدكتـــــور : نعم، هنا. هنا ساحة القتال، هذا هو المكـــان الـــذى ستجرى فيه الموقعة. هذا هو المكان الذى ســـأحرز فيه النصر، عندما تخيطى بنطلونى سأخرج لأبحـــث عن بيت آخر، لا بد لنا من سقف فوق رءوسنا يقينا الشتاء.

هورستـــر : هذا ميسور فى بيتى.

الدكتـــــور : حقًّا؟

هورستـــر : نعم، على أحسن حال. المكان متسع جدا وأنـــا قلمـــا نزلت به.

كاتــــرين : ما أكرم نفسك يا قبطان هورستر!!

بتـــــــرا : شكرًا لك.

الدكتـــــور : **(قابضـــًا على يد هورستر)** شكرًا، شكرًا، هذى مَتْعبة تجاوزناها، يمكننى الآن أن أنصرف إلى العمل على

الفور. أمامكِ عمل لا نهاية له هنا يا كاترين، ولكن من حسن الحظ أن الوقت كله ملكى، لأنى عُزِلت من وظيفتى فى الحمامات، كما تعلمين.

كاتـــــرين : (بتنهد) نعم. هذا ما توقعته.

الدكتـــــور : وهم يريدون أن يحوِّلوا مرضاى عنى، ليفعلوا! يبقى لى جماعة الفقراء على كل حال، أولئـك الـذين لا يدفعون شيئًا، وهم مع ذلك فى أشد الاحتيـاج إلـىَّ، ولكنهم سينصتون إلىَّ، وربِّى، سأخطبهم فـى وقتـه وغير وقته كما ورد فى بعض الأسفار.

كاتـــــرين : ولكن يا عزيزى توماس، لقد كـان يُخيَّـل إلـىَّ أن الحوادث عرفتك قدر ما تفئ عليك الخطابة.

الدكتـــــور : أنت عجيبة فى الحقيقة يا كاترين – أتريدين منى أن أترك نفسى مهزومًا مدحورًا مـن الميـدان بـسوط الرأى العام، والغالبية المتراصة وكل تلك الأكاذيـب الشيطانية؟ لا. لا، شكرًا لك، إن ما أريـد أن أفعلـه أمر بسيط وبيِّن، لا عوض فيه. لا أريد إلا أن أفرغ فى رءوس أولئك الكلاب وأثبت أن الـذين يـسمون أنفسهم أحرارًا ليسوا إلا أنكى أعـداء الحريـة. إن

المبادئ الحزبية ليست إلا وسائل خنق لكل حق فطير قوى، وإن ما يسمونه مستلزمات الضرورة تقلب الفضيلة والعدالة على وجهها وإنهم فى نهاية الأمر سيجعلون الحياة هنا لا تطاق. ألا ترى يا قبطان هورستر أن فى إمكانى جعل الناس يفهمون هذا؟

هورستر : محتمل، ولكنى لا أعرف شيئًا كثيرًا عن هذه المسائل.

الدكتور : لا بأس، تنبه، سأشرح لك، رؤساء الأحزاب هم الواجب أن يُبادوا. ليس رئيس الحزب إلا كالذئب، اسمع، كالذئب الضارى، يحتاج إلى عدد ما من الفرائس الصغيرة ليلتهمها كل عام، لكى يستطيع أن يعيش، انظر إلى هوفستاد وأسلاكسن، كم من الفرائس الصغيرة أبادا، أو على الأقل شوَّها وبترا، حتى لم يعودوا يصلحون لشىء إلا ليكونوا من أرباب البيوت الصغيرة أو المشتركين فى جريدة، «رسول الشعب» (يجلس على حافة المكتب) قرِّبى منى يا كاترين، انظرى كيف تشرق الشمس فى هذا اليوم باهية، وانظرى إلى هذا النسيم الجميل، نسيم الربيع الذى أحتسيه.

كاتــــرين : نعم، لو أننا نستطيع أن نعيش على ضــوء الــشمس ونسيم الربيع يا توماس.

الدكتـــور : آه، سيكون عليك أن تدبرى وتقتصدى قليلاً، عندئــذ نستطيع أن نسير بسلام، هذا لا يهمنى إلا قليلاً جدا. إن الذى يحزننى أكثر من سواه هو أننى لا أعــرف أحدًا من سماحة العقل وسمو الحجى بحيث يــستطيع أن يتناول العمل من بعدى.

بتــــــرا : لا تفكر فى ذلك يا أبى، إن أمامك متسعا من الوقت. مرحبا، لقد حضر الصبيان مبكرين. **(يدخل إيليــف ومورتن من غرفة الجلوس).**

كاتــــرين : أعندكما اليوم عطلة؟؟

مــــورتن : كلا، كنا نتشاجر مع الأولاد بين أوقات الدروس.

إيليـــــف : ليس هذا حقيقيًّا، الأولاد هم الذين كانوا يتــشاجرون معنا.

مــــورتن : فقال السيد رولاند عندئذ إنه يحسن بنا أن نبقى فـــى المنزل يومًا أو يومين.

الدكتـــور : **(قاصفـــاً أصابعه بعضها على بعــض وناهــضـــاً)** ألهمتها، ألهمتها وربى، لــن تــضعا قــدميكما فـــى المدرسة بعد اليوم.

الولـــدان : لن نذهب إلى المدرسة!؟

كاتـــرين : ولكن يا توماس...

الدكتـــور : أبدًا – أبدًا، سأعلِّمكما أنا نفسى؛أى أنكما لن تتعلمـا شيئًا مقدسًا.

مـــورتن : مرحى!

الدكتـــور : ولكنى سأصوغ منكما رجلين على سماحة فى العقل وسمو فى الحجى، عليـكِ أن تساعدينـى فى ذلـك يا بترا.

بتـــرا : أجل يا أبى، ثق أننى معك.

الدكتـــور : وستكون مدرستى فى البهـو الـذى أهـانونى فيـه وسمونى عدوًّا للشعب، ولكننا قليلون جدا، يجـب أن يكون عندى فى البداية اثنا عشر صبيًا.

كاتـــرين : محال ولا شك أن تجدهم فى هذه البلدة.

الدكتـــور : سنجدهم (إلى الولـدين) ألا تعرفـان جماعـة مـن عفاريت الشوارع، من كل سافل رثِّ الثوب؟

مـــورتن : بلى، يا أبي، أعرف منهم العديد.

الدكتـــور : شىء عظيم، أحضر لى بعضًا منهم؛ سـأقوم بعمـل تجاريب على الكلاب، ولو مرة. فقـد توجـد فـيهم رءوس ممتازة.

مــــــورتن : وماذا يكون عملنا يوم تكون قد خلقت منا رجالاً ذوى سماحة فى العقول وسمو فى الحجى؟

الدكتـــــور : يومئذ ستزجران جميع الذئاب عن هذه البلاد، يا ولدىَّ. **(ينظر إيليف بشيء من الشك فى ذلك، ومورتن يقفز ويصيح)** مرحى!

كاتـــــرين : عسى أن لا يكون الذئاب هم الذين يزجرونك عن هذه البلاد يا توماس!

الدكتـــــور : أزايلك الصواب يا كاترين؟ يزجروننى الآن وأنا أقوى رجل فى البلد؟

كاتـــــرين : أقوى رجل؟! الآن؟

الدكتـــــور : نعم، وسأذهب إلى مدى القول بأنى أقوى رجل فى الدنيا برمَّتها.

مــــــورتن : أنا أقولها!

الدكتـــــور : (خافضاً صوته) هس، لا يجوز أن تقول عن ذلك شيئًا بعد، ولكنى وُفِّقت إلى استكشاف عظيم.

كاتـــــرين : استكشاف آخر؟

الدكتـــور : أجل. (يجمعهم كلهم حوله ويقول لهم فى السر قولة واثق) هو هذا فثقوا، إن أقوى رجل فى العالم هو الذى يقف فى الدنيا وحيدًا(*).

كاتـــرين : (باسمة وهازَّة رأسها إعجابًا) توماس، توماس!

بتـــرا : (بروح التشجيع حين تقبض على أيدى أبيها) والدى!

«انتهت رواية عدو الشعب»

(*) قال الطغرائى:

وإنما رجل الدنيا وواحدها   من لا يعوِّل فى الدنيا على رجل

عندما نبعث نحن الموتى

ترجمـــــــــــــة: محمود سامى أحمـــد

مراجعـــة وتـــقديم: دريـنــــــى خـــــشبة

مقدمة

إبسن والمذهب الرمزى

يلجأ الناس إلى الرمز فى الدين أو الفلسفة أو السياسة أو الأدب، ولاسيما الشعر، إذا كانوا يخافون من الجهر أو المصارحة بآرائهم، فتراهم يرمزون وأحيانا يغمضون ويلغزون، ومن ثم كان الرمز شيئًا قديمًا فى تاريخ الإنسانية... لجأ إليه المصريون القدماء وهم يلفِّقون أساطيرهم التى تجسم الآلهة للعامة، وحذا حذوهم اليونانيون وهم يحاولون تفسير الظواهر الطبيعية تفسيرًا مجسدًا يفهمه الشعب... بل نحن نجد قدرًا كبيرًا من الرمز فى الكتب المقدسة... ونجده بارزا فى أناشيد سليمان وفى رؤيا يوحنَّا... ونجد أفلاطون يستعين به حينما يقول إنه من الأيسر أن تقول عن الشىء ماذا يشبه، من أن تقول عنه ماذا هو... بل نجد الأفلاطونية الحديثة تغلو فى الأخذ بالرمز غلوًّا شديدًا.... ثم نجد العرب يفتنون به وهم ينهلون من موارد الفلسفة اليونانية... ونجد الهيئات السرية وشبه السرية تستعين به فى التبشير بآرائها، كما يتضح ذلك فى رسائل إخوان الصفا ولاسيما الرسالة الحيوانية، بل نجد المتفلسفين يتخذونه

وسيلتهم المفضلة فى مداعبة غلاة المتدينين من خصومهم الفكريين، كما نلمس هذا فى رسالة الغفران ورسالة الملائكة والفصول والغايات وكثير من شعر اللزوميات لأبى العلاء المعرى، ورسالة حى بن يقظان لابن الطفيل الإشبيلى ورسالة التوابع والزوابع لأبى عامر القرطبى، وفى كثير من قصص ألف ليلة وليلة وقصص كليلة ودمنة... بل نجده ظاهرة عامة فى أشعار المتصوفة المسلمين الذين قد نعجب إذا عرفنا أنهم هم الذين أثروا بفلسفاتهم الغامضة الإلهية فى كثيرين من رواد المسرح الأيرلندى الحديث.

ولعل هذا هو السبب الذى من أجله لجأ هنريك إبسن منذ سنة ١٨٦٤ على وجه التقريب إلى الرمز فى مسرحياته، وإن كان المسرح – وبالأحرى المسرحية – هى أصعب وسيط أدبى من وسائط الرمز الفكرى؛ إذ الوسائط الرمزية المادية فى عالم المسرح كانت شيئًا معروفًا فى عصر إليزابث... وذلك حينما كانوا يكتفون فى الرمز إلى الغاية بإظهار شجرة على المنصة، أو الرمز إلى وجود جيش أو جيشين متحاربين بإظهار خيمتين كلٌّ منهما فى جانب، أو إظهار عرش يجلس عليه الملك ليرمزوا إلى وجود بلاط ملكى وحاشية ملكية وهكذا... وذلك لأنهم لم يكونوا يعرفون المناظر المسرحية المعقدة التى ظهرت فيما بعد... على أن الرمز الأدبى – وبالأحرى المسرحية الرمزية – كانت شيئًا معروفًا قبل عصر

اليزابث... وحسبنا أن نتذكر آخر طور من أطوار تدرُّج المسرحية الدينية، وهو طور المسرحية الأخلاقية morality لندرك أنها كانت لونًا من ألوان المسرحية الرمزية، وإن فضّلوا أن يلحقوها بفن المجاز allegory وليس بفن الرمز symbolizing.

أما الأسباب التى جعلت إبسن يتخذ من المذهب الرمزى وسيلته المفضلة فى التبشير بآرائه وتصوير انتقاداته للمجتمع الذى كان يعيش فيه، فهى نفس الأسباب التى اضطرت المفكرين من قبل إلى سلوك هذه السبيل... لقد كان إبسن - كما بيَّنا ذلك فى مقدمتنا لمسرحيته «أعمدة المجتمع» يعيش منطويًا على نفسه، ينظر إلى نقائص المجتمع الذى يعيش فيه ويتحين الفرص لمهاجمة هذه النقائص والتشهير بها، ولأن هذا المجتمع كان يبادل إبسن العداء فقد آثر إبسن أن يروِّضه بالأسلوب الإيحائى suggessive الذى يلقى فى روع قارئه أو المستمع إليه معانى غير المعانى السطحية التى يسهل على أبسط العقول إدراكها فى غير مشقة أو عسر، وهو ما يقوم به الأسلوب الصريح المعبر expressive الذى يخلو من اللف والدوران.

أما سنة ١٨٦٤ التى سبقت الإشارة إليها فهى السنة التى ظهرت فيها معالم المذهب الرمزى جلية واضحة فى مسرحية إبسن «المطالبون بالعرش» Pretenders، والتى صور فيها نضالاً بين رجلين يدَّعى كل منهما الحق فى اعتلاء عرش النرويج، أما أولهما

هاكون، فذلك الرجل الذى قُدَّت إرادته من حديد، والذى يثق فى نفسه وفى أحقيته بالملك ثقة لا تتسرب إليها إثارة من الشك ولا تعتريها إمارة من التخاذل، وأما الآخر سكول، فرجل خيالى هيَّاب، ومتخاذل شديد التردد، وإن انطوى على مزايا لا يتحلى الأول بشىء منها، وفضائل عليا يفتقر هاكون إلى بعضها. ويستمر الصراع حتى ينتهى بفوز هاكون وهزيمة سكول، والمسرحية تاريخية، ويرجع عهدها إلى القرن الثالث عشر.

وقد كتب إبسن هذه المسرحية فى وقت بدأت فيه المنافسة تشتد بينه وبين مواطنه وصديقه الكاتب المسرحى المشهور بجورنسون Bjornson (١٨٣٢ - ١٩١٠) أيهما تتم له الزعامة فى ميدان الكتابة المسرحية فى النرويج. والإجماع على أن إبسن إنما صور فى هذه المسرحية تلك المعركة بينه وبين مواطنه آنذاك. وقد كاد يرمز بهاكون إلى صديقه، وبسكول إلى نفسه. والعجيب أنه كان صادقًا فى وصف ما يمتاز به كل منهما، وتصوير ما تضطرب به نفسه هو بالذات من تردد وتخاذل وتهيُّب فى إبَّان تلك المعركة المسرحية التى نعلم كلنا، ويشهد العالم كله، بأن الغلبة فيها إنما كانت من نصيب إبسن آخر الأمر، وإن كان بجورنسون هو الغالب وقت المسرحية.

على أن بعض مؤرخى إبسن يرجع عامين إلى الوراء، أى إلى سنة ١٨٦٢، وبالأحرى إلى السنة التى ظهرت فيها مسرحيته

«ملهاة الحب» Love's Comedy التى يُعدُّونها الفجر الصادق فى ظهور الرمز بأقوى مجاليه فى مسرحيات الكاتب الكبير؛ ذلك أن المسرحية تقوم على فكرة كان يبشر بها فى الرابعة والثلاثين من عمره الطويل. وخلاصة الفكرة كما كان ينطق بها إبسن هى «أنك إذا أردت الزواج فلا تقع فى الحب، فإذا وقعت فى الحب فالفراق الفراق!» وهو يوضح الفكرة بتصوير أربعة رجال مختلفى المشارب، قس ومحام وطالب لاهوت وشاعر، ولكل منهم حبيبة يهواها، ثم لا يكاد يتزوج منها حتى تفتر علاقات المحبة التى كانت تربط بين قلبى كل حبيبين؛ ذلك لأن الزواج فى رأى إبسن فى ذلك الوقت كان يؤدى إلى الفتور فى العلاقات الروحية. وقد أثارت المسرحية الرأى العام على إبسن، حتى لقد رفض البرلمان الموافقة على المنحة التى كان صديقه بجورنسون يعمل على منحها إياه لإتاحة السفر له إلى وسط أوروبا، وهو الذى غمر الروابط الدينية التى تقوم عليها عقدة الزواج فى تلك المسرحية، ممثلة فى شخصية قس الكنيسة الذى يظهر فى آخر المسرحية ومن حوله عدد كبير من ذراريه، فى حين يفر الثلاثة الآخرون بسعادتهم من زوجاتهم، بعد أن يتبينوا سخافة الغلطة التى جنوا بها على حبهم بهذا الزواج القائم على الشرائع والتقاليد!

لقد كانت زلة سبَّبت متاعب كثيرة لإبسن، لكن إبسن - الذى كان لا ينسى أنه الشخص الذى وصف نفسه بما وصفها به فى

شخصية سكول لم يفكر فى التوبة أو الإنابة، ولم يزدد إلا نقمة على رجال الدين وإلا عداوة للتقاليد والمجتمع، حتى كانت الأزمة التى اعتدت فيها ألمانيا على جارة النرويج الشقيقة دانمرك، والتى حاول جهده أن يدعو بلاده لكى تخف إلى نصرة الدانمرك بكل ما تملك، ولو انتهت النصرة إلى هزيمة النرويج نفسها. لكن النرويج تخاذلت ولم تلق بالا إلى صراخ إبسن، وانتصرت ألمانيا العسكرية على الدانمرك الوديعة المسالمة، واقتطعت من أرضها الولاية الجنوبية بأكملها. عند ذلك اشتد سخط إبسن على بلاده، وملأ نفسه الغيظ على شبابها بصفة خاصة، ثم انعكس هذا كله فى رمزيته الخالدة «براند» Brand، وهى المسرحية التى قدمنا خلاصة وافية عنها فى كتاب «أشهر المذاهب المسرحية» وقد ظهر فى المسرحية أثر زعيم الوجودية الأول كيركجارد فى تلميذه إبسن. وكيركجارد فى ذلك الوقت هو فيلسوف الدانمرك البلد الشقيق المهزوم الذى طالما ندد بحقارة عصره وضعة المجتمع وتخاذل النفس البشرية أمام المادة، وغلبة روح المساومة عليها، مما ردده إبسن فى رمزيته العظيمة، وأرسله على لسان هذا القس براند بطل المسرحية الذى كان يؤمن بأن الشيطان ليس شيئًا إلا غلبة الأطماع المادية على نفوس الناس، وانثناء إرادة البشر أمام المغريات والشهوات، ومن ثمة رفض منصبًا فى كنيسة كبرى، ورفض الإقامة فى جو أدفأ يتوقف على انتقاله إليه شفاء ابنه الوحيد، وفضل أن يهزم الشيطان الذى ليس شيئًا غير هذه

المغريات والمساومات، وذلك برفضه هذا المنصب وإيثاره البقاء حيث هو فوق الآكام الثلجية الوبيلة المهلكة، وبين أولئك الذين أحبوه حتى يُتِم لهم رسالته، وإن كان هذا الإيثار قد كلّفه حياة ابنه الصغير، ثم حياة زوجته التى كانت تطيعه وتجلُّه وتحبه وتقدسه، وبهذا خسر كل شيء... حتى نفسه... وحتى محبة العامة الذين كانوا يجلُّونه ويقدسونه عندما أغراهم الرؤساء وأولو الأمر بالعودة إلى حقولهم ومصائدهم، وحينما أقنعوهم بأن براند رجل معتوه خيالى لا يقودهم إلا إلى المهالك، تمامًا كما كان إبسن يدعو قومه إلى نجدة الدانمرك، وإن جرَّت عليهم نجدتهم لها الهزيمة التى لم تكن لتصيبهم إلا فى شيء مادى مؤقت، لكنهم كانوا لا يخسرون شرفهم وإنسانيتهم التى كانت تحتم عليهم الانتصار الفعلى لجيرانهم فى موقف محنتهم. إن براند هنا يدعو كل فرد فى هذا المجتمع الجبان الفاسد المتخاذل إلى التحرر من موبقات مجتمعه، وحقارات البيئة المحدقة به، وتفاهاتها، وبالأخص من دناياها الروحية، وهو نفسه ما كان ينادى به كيركجارد. لقد كان براند قسًّا وأبًا روحيًّا للشعب الذى حوله، وكان فى الوقت نفسه يخاصم أمه لأنه اكتشف أنها تزوجت من أبيه لمصلحة مادية فهجرها براند لهذا السبب، وهجرها سنين طويلة عسى أن تتوب وتتخلص من المال الذى آل إليها بعد موت أبيه، ولعلها سرقت هذا المال حتى لا ينتفع أصحاب الحق فيه بشيء منه، ثم مرضت الأم... وأحست بدنو الأجل، فأرسلت إلى ولدها القسيس

ليحضر وفاتها وليباركها. ولكن براند يرسل إليها مشترطًا أن تتنزل عن كل مالها الذى استولت عليه بالطريقة التى تعرفها، وترفض الأم، وتتوسل إلى الابن أن يكون التنازل عن بعض المال، عن نصفه أو ثلاثة أرباعه، ولكن براند يصرُّ على أن تفعل أمه ما أشار هو به... ولكن... من! إنها ترفض... وترفض، وترفض... وتموت دون أن يراها ابنها ودون أن يباركها. ويكون إصراره هنا أشبه بإصراره بعد ذاك وهو يرفض أن ينقذ ابنه الحبيب، حتى لا يفرِّط فى حق ربه الذى عاهده على ألا يضعف فى أداء رسالته، وتكريس حياته كلها من أجلها. وهذا هو الالتزام الذى توجبه الوجودية المتدينة التى لا تفرط فى عهد عاهدت ربها عليه، الوجودية التى تكفر بالجماعة وتؤمن بالفرد، ومن ثمة تتجهم الديمقراطية وتكبِّر من شأن الفردية، مما نراه جليًا واضحًا فى شخصية دكتور ستوكمان بطل مسرحية «عدو الشعب»، وفى براند الذى يكفر برأى الأغلبية والجماهير كما يكفر بها ستوكمان، ويؤمن بالسماء التى فى نفوسنا وليست السماء الزرقاء التى يؤمن بها المهرَّجون.

لقد أراد إبسن أن يضرب المثل لمواطنيه فصور لهم براند الذى لم يجزع ولو مرة واحدة من الموت، ولم يجبن فلم يقدم على الفداء حينما يكون الفداء هو العمل الذى لا مفر منه ولا معدى عنه.

وفى سنة ١٨٦٧ أخرج لهم الصورة العكسية، الصورة المضادة لشخصية براند، وذلك كما صورها فى شخصية «بيرجنت»، ذلك الشاب المراهق الفحل الذى امتلأت رأسه بأحلام السكارى وأمانى المراهقين الكسالى الذين لا يكفون عن التمنى ولا يعملون شيئًا لتحقيق أحلامهم فى دنيا الواقع، أولئك السلبيون الذين يريدون أن يكونوا ملوكًا وهم فى واقع أمرهم أفاقون صعاليك. إنك إذا رجعت إلى خلاصة «بيرجنت» فى الكتاب المذكور آنفًا لم يصعب عليك أن تدرك أن بيرجنت هذا كان يرغب فى أن يكون فردًا، وفردًا عظيمًا له ذاته وشخصيته... لكنه أخفق فى بلوغ تلك الغاية، لأنه كان يطلب المجد من غير طريقه الصحيح؛ لقد كان يواجه الظرف من الظروف فلا يفكر إلا فى مصلحة يحققها أو أمنية كانت تجول بقلبه ولعلها أن تتحقق إذا اهتبل فرصة ذلك الظرف. لقد كان يقول لوالدته إنه سوف يصبح قيصرًا عظيما، فلما هام على وجهه فى صحارى الجليد، غير عابئ بتلك الفتاة سولفيج الفقيرة التى أحبته وشملته بعطفها وحنانها، لأنه كان يجرى وراء مطمح مادى صرف، ثم انتهى إلى مملكة الأقزام، ولقيه ملكها وعرض عليه أن يزوجه ابنته، قبل بيرجنت راضيًا مبتهجًا لأن هذا الزواج يدنيه خطوة من القيصرية التى كان يحلم بها على الرغم من أن عروسه ابنة الأقزام كانت مخلوقًا شائهًا لم يتفتح لها قلبه، وإن تفتحت مطامعه وأحلامه فى العز العريض

والجاه الرخيص، ولم يكد يقضى معها ليلة حتى فرَّ مع الفجر، جاريًا وراء أحلامه التى لا تنتهى.

إن بيرجنت هو الصورة المجسمة، أو الصورة الرمزية لشباب النرويج كما تخيلهم إبسن، الشباب المائع الذى يحلم ويحلم ويسترسل فى الحلم ولا يكف عن التمنى، ثم لا يعمل شيئًا إيجابيًا يحقق به أحلامه، شيئًا شريفا تسنده نفس شريفة، شيئًا جديًا يدل على أن وراءه نفسًا لها إرادتها النقية التى لا تلين ولا تنثنى فى طلب المحامد، الشباب الذى يساوم ويلبس لكل حالة لبوسها من التلون والنفاق.

لقد هجر بيرجنت فتاته سولفيج ليندفع فى سلسلة من المغامرات الحسية المادية الغريبة، ومن أجل غايات مادية رخيصة يحققها بالكذب والخداع وأحيانًا بالقتل، لا يبالى أن يخسر الآخرون مادام أنه يظفر بالربح فى كل مغامرة، حتى تتعب نفسه المريضة آخر الأمر، ويتملكها اليأس، حينما يرى بيرجنت أنه خسر كل شىء... ومتى؟ بعد أن أدركته الشيخوخة وواجهه الموت فى صورة هذا السبَّاك الذى لقيه بعد أن نجا من الغرق؛ فإذا هو قد سئم حياته وإن لم يسأم البقاء... ولو فى الجحيم، بعد أن زايلته إرادة الخير والرغبة فى عمل صالح يفيد منه العالم الذى حوله، ولا تقتصر فائدته عليه هو فحسب. إن بيرجنت فى محنته النفسية هذه يفيق على صوت رقيق حنون، فإذا الصوت صوت سولفيج التى خانها ولم يعبأ بحبها.

وكان ينتظر فى مثل هذه الحال أن تلعنه، فإذا هى تخف لنجدته، وتنقذه من براثن يأسه، وتبعد عنه شبح اليأس، الذى هو الموت، ممثلاً فى صورة السباك، فإذا سألها وهو يدس رأسه فى حجرها من الحياء والخجل أين كانت كل هذه السنين التى غاب فيها عنها، إذا هى تقول: إنك لم تغب عنى قط «لقد كنت ملء إيمانى، ملء آمالى، ملء حبى!».

يا عجبًا، إن هذه هى الصورة العظيمة التى صورها لنا إبسن سنة ولم ينسها قط، لم ينسها أبدا، لم ينسها فى معظم مسرحياته الاجتماعية الخالدة التى كتبها بعد ذلك، والتى ظل يكتبها اثنتين وثلاثين سنة منذ أن كتب «بيرجنت» حتى كتب لنا آخر مسرحياته، هذه الآية العظيمة: «حينما نبعث نحن الموتى» التى كتبها سنة ١٨٩٩، وعاش بعدها سبع سنوات لم يكتب خلالها شيئًا حتى وافاه الموت سنة ١٩٠٦... فلماذا؟ ولماذا نراه بعد «بيرجنت» التى جعلها هى وسابقتها «براند» رمزًا خالصًا، فإذا هو يغلِّب الناحية الاجتماعية على الناحية الرمزية فى إنتاجه مدى ثلاثين عاما ونيِّفًا، وإن لم تخل مسرحية واحدة من قدر كبير من الرمز اللطيف الذى يذكِّرنا بفن الكاتب حينما كان كاتبًا رمزيًّا خالصًا، بل حينما شق الطريق لأول مرة فى تاريخ المسرح الحديث للمذهب الرمزى، كما سنورد قصة المذهب الرمزى فيما بعد.

ونعود فنتساءل عما حدا بإبسن العظيم، وبعد أن بلغ الحادية والسبعين من عمره، إلى العودة إلى المذهب الرمزى الخالص، يكتب منه هذه المسرحية التى تقرب أن تكون سيمفونية يغلب فيها الفن وتغلب فيها الفلسفة على الموضوع؟ هل أراد أن يجعلها لحنه الأخير المفضل الذى يعزفه بين يدى الموت، ويودِّع به الحياة قبل أن يحين منتهاها بسبع سنوات؟ ماذا أراد إبسن؟ ترى ألحَّ به الشوق إلى ألحانه القديمة فأراد أن يرددها؟ أم ماذا؟

لا هذا ولا ذاك، فالخيط متصل فى مسرحيات إبسن كلها ولم ينقطع... ثم الذى حدث فى أواخر القرن التاسع عشر من صحوة المذهب الرمزى، وظهور كتاب رمزيين كثيرين، منهم فاجنر ومنهم ميترلنك، جعل إبسن يجول معهم فى الميدان.

ولكن لهذا موضعه من الحديث، فلننتظر.

*　　*　　*

الأستاذ روبك Rubek رجل فنان وصانع تماثيل عالمى الشهرة، وهو يقضى الصيف الآن مع زوجته الشابة الحسناء، مايا، فى مصيف من تلك المصايف الجميلة المعروفة بحماماتها وسحر مناظرها وفتنة الطبيعة التى تتبرج من حولها، بين شاطئ البحر ومهاوى الجبال النرويجية الشاهقة المجللة بالثلوج والغابات

والأشجار، الحانية على الخلجان الرفيعة الثعبانيــة المعروفــة باســم الفيوردات... وكان الزوجان قد عادا من رحلة فى أنحاء العالم، ثم لم يكد يستقر بهما المقام فى دارهما الخلاوية البديعة التى بناها الفنــان لزوجته الجميلة على ضفاف بحيرة تونتز Taunitz، وفى أبدع ناحية من تلك الضفاف، حتى شعرت الزوجة بالقلق وبــالفراغ فاقترحــت على زوجها الفنان أن ينتقلا إلى هذا المصيف من مصايف الــشمال، فلم يملك إلا أن يلبى رغبتها، لأنه كان مثلها يشعر من حوله بفــراغ رهيب... رهيب... يكاد يجعل كل شىء من حوله ومن حول زوجته الجميلة الحسناء سكونا موحشا، وصمتا يشبه الــبكم. والعجيــب أن نزولهما بحمامات هذا المصيف البديع لم يبدل من أمر هــذا الفــراغ شيئًا، بل لم يخفف من حدة السكون الموحش الــذى يتــسرب إلــ نفسيهما فيجعل كل جلبة وكل ضوضاء من حولهما سكونًا رهيبًا قالت عنه مايا، أو مسز روبك، إنها تسمعه... تسمعه ويملأ أذنيها!

وتشكو مايا إلى زوجها من هذا الشعور بــالفراغ والإحــساس بالسأم، ومن طول هذا الضرب فى الآفاق وبين الغابات، هكــذا بــلا هدف، وأنها منذ أربع سنوات وهى تشعر بالملال الذى يجعلها فــى شبه غربة روحية... وهنا يستدرك روبك فيقول وهو يبتسم: أى منذ أن تزوجنا! ولكن مايا تنظر إليه مشدوهة لتقــول لــه: ومــا لهــذا وزواجنا! وهل تظن أن الذى تغير منا هو... أنا؟

ويقول روبك إنه كان يشعر، إذ هما فى القطار يطــوى بهمــا الرحب إلى أرض الوطن، أن القطار يتلكأ، ويقف فى كل محطة بــلا سبب، وإنه كان يحس فى كل محطة بوجود شخصين مــن العمــال يقطعان الرصيف جيئةً وذهابًا، وأحدهما يحمــل مــصباحًا، وهمــا يتبادلان فى الظلام حديثًا مختلفًا لا معنى له.

وتلتفت مايا إلى زوجها لتقول له بدورها: «هذا صحيح، ثمــة دائمًا اثنان يسيران جيئةً وذهابًا، وهما يتحدثان».

فإذا قال لها إن عليها أن تنتظر الزورق البخارى الذى ســوف يبحر بهما فى الغد لينطلق بهما نحو الشمال حــول الــشاطئ، نحــو البحر القطبى، إذا مايا تقول له: «أجل، ولكنك لن ترى إذ ذاك شــيئًا من الأرض، أو أحدًا من الناس... وهذا هو بالذات ما أنت فى حاجة إليه».

ويقول روبك إنه ليس فى حاجة إلى شىء مطلقًا، فلقد رأى من الدنيا الكثير، ولم يعد ينقصه شىء فى ذلك العالم. لكن مايا تؤكد لــه أن ثمة شيئًا ينقصه، وهذا أمر لا شك فيه، وأن على روبك أن يحدثها صراحة عن هذا الشىء... فلقد لاحظت أن حالاً، بــل أحــوالاً مــن القلق، تستولى عليه، وأنه لا يكاد يستقر على حال. ثم هو ينفر إلــى الخلاء سواء فى الوطن أو بعيدًا عن الــوطن ليــضرب فــى عــالم

المجهول بعيدًا عن الناس. ثم تقول له مايا إن ما أزعجها أكثر من ذاك هو أنه لم يعد يجد لذة فى عمله ولا ميلا إلى مواصلة فنه، وهو الذى كان من عادته الإقبال على هذا العمل من الشروق إلى الغروب. إنه منذ أن فرغ من تمثاله الأعظم الذى سماه «يوم البعث»، ذلك التمثال الذى حفر اسم روبك فى أبرز صفحة فى سجل الخالدين، وأذاع اسمه فى أرجاء الدنيا كلها، وهو لا يعمل شيئًا إلا تلك التماثيل النصفية البشعة التى يوصى بها أصحابها ويدفعون فيها ثقلها ذهبًا، وهى مع ذاك لا تظهرهم إلا حميرًا وثيرانًا وقردة. يقول عنها روبك إنها لقوم غوغاء. وما فائدة أن يظل الإنسان يعمل طول حياته للجماهير والغوغاء؟

«إن ما أعمله يامايا ليس تماثيل نصفية، إنها أشياء ذات معنيين. إن ثمة شيئًا كامنا مختبئا فى هذه التماثيل وخلفها، سرًّا لا يستطيع غيرى أن يراه. إنى أضفى على ظاهرها المشابهة الكاملة، كما يقولون، المشابهة التامة التى يقف أصحاب هذه التماثيل أمامها وقد فغروا أفواههم من الدهشة، ولكن من تحت هذا الظاهر لا تجدين إلا وجوه خيل وحمير وجماجم كلاب مبتورة الآذان وخنازير سمينة بليدة ذات خراطيم قبيحة، إنها الحيوانات المستأنسة التى احتقرها الإنسان ثم إذا هى فى هذه التماثيل تطل إليه وتحقره».

وتغير مايا مجرى الحديث، ثم تذكره بوعد كان وعدها به، هو أن يأخذها إلى قمة جبل عال رفيع الذرى، لكى يريها العالم من فوقه... العالم كله. فإذا روبك يضحك ويقول لها إنها لم تخلق لكى تكون متسلقة جبال. ثم إن هذا الوعد لم يكن إلا حيلة منه، كان يحتال بها على أقرانه من الأطفال ليغريهم بالخروج معه والضرب فى قمم الجبال ومجاهل الغابات. فإذا قالت له إنها كانت يومًا ما تصلح فى نظره لتسلق القمم، زفر زفرة طويلة يائسة، ثم قال لها: كان هذا منذ أربع سنوات أو خمس. يا لها من فترة طويلة... طويلة... يا مايا!

وتحزن مايا لما تشمه فى زفرة زوجها من هذه الحال، وتقول له إن مظهره يدل على أن فى نفسه حاجة يضمرها ويحاول جهده أن يخفيها عنها. وقبل أن يجيب روبك يرى مفتش الحمامات قادمًا، وبعد سلام خاطف يسأله عما إذا كان من عادة أحد هنا أن يستحم فى البحر ليلاً؟ إنه يلاحظ شبحًا يتهادى إلى الشاطئ فى ظلام الليل أو غبشة القمر، يتبعه شبح آخر... فهل من المرضى هنا من يأخذ حمامًا ليليًّا؟

ولا يمضى طويل حتى تبدو من بعيد سيدة نحيفة القد رشيقة القوام متشحة بثوب رقيق من الكشمير الخفيف، وفى أثرها تسير راهبة بكامل بزتها الكهنوتية... ويشير روبك إلى السيدتين ليقول للمفتش إنهما هما اللتان رآهما غير مرة ذاهبتين إلى الشاطئ. فمن هما؟. ويجيبه المفتش إنها ضيفة وصلت إلى الحمامات منذ أسبوع،

وأنها فى الغالب إن لم تكن روسية فهى نرويجية، ونرويجية من أهل الشمال، لأن لهجتها لهجتهم.

ويخفق قلب روبك، وتلاحظ زوجته مايا ذلك فتسأله ساخرة:

لعلها يا روبك كانت إحدى نماذجك فى أيام الشباب! فتش عنها فى ذاكرتك! إن الناس يقولون إن نماذجك كانت شيئًا كثيرًا لا يقع تحت حصر.

ويجيبها روبك والذكريات تجرفه:

كلا أيتها الصغيرة مايا، إننى ما اتخذت فى حياتى الفنية كلها سوى أنموذج واحد، وأنموذج واحد فحسب لكل ما صنعته!

ويستأذن المفتش فى الانصراف لأنه يرى مخلوقًا من الناس لا يحب أن يلقاه. لكن هذا المخلوق يستوقفه من بعيد بلهجة عاتية، أو لهجة آمرة... إنه مستر أولفهايم Ulfheim صائد الدببة، الرياضى الهِرَقلى الخلقة، الذى لا يمر بهذه الجهة إلا مرة فى كل عام، وقد تبعه من قرب خادمه لارز ومعه كلبان كبيران وحشيَّان من كلاب الصيد.

ولا يكاد مستر أولفهايم يرى مستر روبك حتى يسبَّ آباءه إن لم يكن هذا الذى يراه هو الفنان المثَّال العجوز مستر روبك، الكلب

الريفى الضال الذى لم يكن قد أصاب من الشهرة ما يتمتع به اليـــوم، والذى كان يعــرفه حينما لم يكن يأنف من أن يمســـه أى كلب قذر، أو صائد كهذا المخلوق البشع مستر أولفهايم.

ويثير منظر الرجل قدرًا كبيرًا من الفضول فـــى نفـــس مايـــا فتتدخل فى الحديث. ويقول لها مستر أولفهايم إنه صائد دببة، وصائد أى شىء تجود به الفرصة إنـــه يـــصيد النـــسور ويـــصيد الأيائـــل والوعول، ويصيد النساء أيضًا، لكنه يفضل صيد الدببة. «إننـــى أنـــا وزوجك نعمل فى مواد صعبة، إن مستر روبك يعالج الرخام وكتـــل الحجارة، أما أنا فأعالج الدببة ذات العضلات المـــشدودة المكتنـــزة، وكل منا يكسب معركته فى النهاية وينتصر على المادة التى يعالجها مهما قاومت».

وحينما تقول مايا إنها لم تتسلق الجبال قـــط يبـــادر أولفهـــايم فيقترح أن تصحبه هى وزوجها فى رحلته إلى أعلى قمم النـــرويج، حيث الثلوج والغابات. فإذا قال روبك إنه ينتوى القيام برحلة بحريـــة يجوب فيها القنوات والفيوردات سخر منه صائد الدببة، واســـتنكر أن يطوف فنان مثل روبك بهذه القنوات والبالوعات القذرة. «بل خير لك أن تصعد معى إلى العلالى، بعيدًا عن حبائل الناس وقاذوراتهم».

ولكن أولفهايم يسكت فجأة عندما يرى الراهبة خارجة من ظلة في حديقة الفندق، لم لا يلبث أن يقول: «انظر، هل ترى غراب الليل الذى هناك؟ ترى من ذا الذى سوف يدفنونه الليلة!؟»

لقد خلب هذا الرجل المتوحش لبَّ مايا، وهو لا يكاد يقترح عليها الذهاب معها ليريها كلاب صيده حتى تنصرف معه، دون أن تستأذن زوجها روبك، زوجها الذى لا يلبث أن يرى تلك السيدة النحيلة، صاحبة الخيال الليلى الذى كان يتشح بثوبه الغريب وهو ذاهب إلى البحر. يراها تقبل فتجلس إلى إحدى المناضد، فإذا عيناه تعلقان بها، وإذا هى تثير من وراء السنين الطويلة ذكرى عزيزة حزينة، يا للمفاجأة!... ماذا أتى بها إلى هنا لتوقظ فى روع الفنان كل هذه الأحلام النائمة التى حسب أنها أصبحت فى عداد الموتى!؟ إنها أيرين، أيرين نفسها، أيرين نموذجه القديم الذى أوحى إليه بآية آياته... وتمثاله الذى أكسبه المجد ودوام الذكر.

وتكون لحظات خاطفة ثم يعرف كل منهما صاحبه.

إن أيرين تعجب من أن الأستاذ لا يزال حياً يرزق، بل حى يرزق ويجلس إلى تلك المرأة التى كانت معه هنا... تلك اللحظة. فإذا قال لها إنها زوجته، قالت له: «إذن فهى إنسان لا علاقة لى به! إنسان عشت معه بعدى!».

ثم تسأله أيرين عن ابنهما، طفلهما، طفل روبك وأيرين الذى أصاب الشهرة والمجد، تمثاله «يوم البعث» الذى تحدثت عنه الدنيا بأكملها والعالم بأجمعه؟، إنها طالما تمنت لو سحقت هذا الابن، ذاك التمثال... وجعلته جذاذا، قبل أن تترك آرنولد، تعنى الأستاذ روبك، فقد كان هذا هو اسم غرامها حينما كانت تهوى روبك بل تعبده. وحينما كان هو لا يعيش فيها إلا لفنه، ولا يعبد فيها إلا تمثاله وعمله، ولا يعرف فيها إلا أنموذجه. ولذلك كرهت هذا الابن، ولاسيما بعد أن وقف يتلألأ فى أضواء المجد والشهرة، بينما هى واقفة فى ظلام يأسها من حبها الذى لا تجد له استجابة فى قلب حبيبها الغريق فى أمواج فنه. الفنان الذى كانت أيرين تتبرج له وتبدى له من مفاتن جسدها البض، ومحاسنها التى لا نهاية لها، فلا يبدو من ذلك شىء أبدًا فى قلبه، إلا ما ينعكس على صفحة التمثال، وملء قسماته وسماته. ولذلك أيضًا كرهت الأستاذ كما كرهت تمثاله وفنه، بل كرهت مفاتنها ومحاسنها، وكرهت نفسها والدنيا التى من حولها، ثم هامت على وجهها لتفر من تلك اللعنة التى تسميها الحب، ويسمِّيها حبيبها الفن. وطافت ببلدان شتى، واشتركت بجسمها، لا بروحها، فى حفلات الاستعراضات الراقصة... العارية، فكانت أنهار الذهب تنسكب تحت قدميها... الشىء الذى لم تعرفه ولم يكن لها به عهد فى جوار روبك. وراحت جيوش من الرجال يجنُّون بها، يهبونها الحب الذى حرمها منه الأستاذ. لكن قلبها كان مغلقا دونهم

دائما، وإن تكن قد قبلت آخر الأمر الزواج من سياسى مشهور فى أحد بلاد أمريكا الجنوبية، كان رجلاً عظيما، لكنها اتخذت منه ألعوبة تعذبها وتسقيها المرار حتى انتحر. وكان طيبا جدا فى هذا الانتحار، لأنه لم يجشِّمها هى إطلاق الرصاص على جمجمته لتستريح من حبه المجنون الأبله. كما استراحت من زوجها الثانى، ذلك الروسى الأحمق الذى قتلته بخنجر كانت تحتفظ به دائما بين طيات فراشها، وكما قتلت أبناءها العديدين الذين كانت تقضى عليهم واحدًا بعد واحد بمجرد أن يولدوا.

ولا يصدق روبك كلمة واحدة مما تقوله أيرين، إنها تقول إنهم أتوا إليها بعد ذلك وقبضوا عليها، ثم ربطوا يديها خلف ظهرها، ودفنوها حية تحت قبر مسور بقضبان الحديد، حتى لا يسمع من فوق القبر صراخ من تحت القبر. ولكن، ها هى ذى الآن قد بدأت تستيقظ، تستيقظ بصورة ما من بين الموتى.

ويسألها روبك عما إذا كان هذا كله بسببه، فتقول: «نعم، بسببك، لقد خدمتك بكل طيبة ووفاء وإخلاص، لكنك كنت تتصامم، ولا تسمع صراخ الطبيعة فى أطواء جسمى الذى كنت أعرض مفاتنه تحت نظراتك التى لم تلتهب أبدًا، أبدًا، لأنك كنت مشغولاً عن هذا بفنك، بتمثالك، بيوم البعث ممثلا فى صورة امرأة شابة تستيقظ من رقدة الموت!

ويقول لها روبك: «إنما هذا لأننى كنت أنظر إليك نظرة قدسية. كنتِ عندى شيئا علويا مطهرا، يجب ألا يمس إلا فى صلاة وعبادة. كان يخيل لى يا أيرين أننى إذا لمستك أو اشتهيتك دنست روحى، فلا يمكننى إتمام العمل العظيم الذى كنت أتوق إلى إنجازه. ومازال فى هذا بعض الصدق، ولولا هذا لما تم هذا العمل الذى لك الفضل كل الفضل فى إتمامه. لقد أردت تجسيم المرأة الطاهرة كما كنت أتخيلها تستيقظ يوم البعث، لا يثير عجبها أى جديد أو مجهول أو غير مقدس. المرأة التى يملؤها الفرح السماوى حينما تجد نفسها لم تتغير، إنها هى نفسها المرأة الأرضية، ولكن فى عالم أرفع وأسعد وأكثر حرية. تقوم بعد نوم طويل خال من الأحلام، هكذا كنت أرى تلك المرأة فى صورتك يا أيرين!»

وتقول له أيرين: وبعد ذلك انتهيت منى! لم تعد لك حاجة فىَّ! ثم بدأت تبحث عن نموذج ثان وثالث يا آرنولد! يا ترى، أى قصائد نظمتها من الرخام والمرمر بعد أن تركتك؟ ولكن، قل لى، ما شأن تلك المرأة التى تعيش معها؟

ويجيبها روبك: لا، لا تتحدثى الآن عنها، فإن ذلك يملؤنى عارًا، وخزيًا.

وتسأله: سمعتكما تتحدثان عن رحلة، فإلى أين؟

ويقول لها إنها رحلة بحرية حول الشاطئ. فتقول لـــه: «بـــل عليك أن تصعد إلى القمم، إلى. إلىَّ أنا يا آرنولد.

عند ذلك تدخل مايا لتقول له إنها لن تذهب معـــه فـــى تلـــك الرحلة البحرية، وإنها تود أن تتسلق القمم مع هـــذا الرجـــل، صـــائد الدببة الذى حكى لها كل محير ومدهش من مغامراته.

وترى أيرين فتسأله عنها، فيقول إنها صديقة قديمة. ثم يقـــول لها إنها تستطيع أن تصحب صائد الدببة إلى حيث تشاء وإلـــى أبعـــد ماتريد، لأنه ربما ذهب إلى نفس المكان. فتتركـــه فرحـــة وتـــدخل الفندق، بينما تتقدم إليه أيرين لتقول له إنها طالما بحثت عنه، ومنـــذ تلك اللحظة التى تذكرت أنها أعطته شيئًا ثمينًا لا يمكنهـــا الاســـتغناء عنه. فيبتسم روبك ويقول لها: أجل، لقد أعطيتنى من شـــبابك ثـــلاث سنوات أو يزيد، بل كل جمالك العارى لأعبده وأتفرس فيه.

وتبتسم أيرين ابتسامة حزينة وتقول له: بل أعطيتكَ مـــا هـــو أثمن، أعطيتك أنفس هداياى كلها، أعطيتك روحى الفتيَّة الحية، وقـــد جعلنى هذا فارغة خاوية، جثة بلا روح، ولا دفء ولا أمل...!

وهنا تظهر الراهبة على باب الظلة، فتنـــصرف أيـــرين إلـــى الظلة، بينما يقف الفنان البائس يتمتم باسمها: أيرين، أيرين!

ويتغير المنظر، فتكون فى مـصحة مونقـة مـن مـصحات الجبال،قريبة من نهيرات ثلجية بعضها ذو خرير، وأصوات أطفـال تتردد بعيدا وتصل ثرثراتهم موسيقى عذبة، وقد جلس روبك مستغرقًا فى تأملاته. وإذا مايا، زوجته التى بدأت تستيقظ هى أيضًا، تُقبِل من بعيد وهى فى لباس الصيد، صيد الدببة وتسلق الجبال طبعًا، لتقـول لزوجها إنها كانت تبحث عنه، وإنها معتزمة أن تصحب هذا الرجـل الوحشى – مستر أولفهايم – فى رحلة اليوم أيضا لصيد الدببـة فـى الوهاد المنخفضة، وأنها ربما قضت الليلة هناك، إذا سمح لها زوجها بذلك. ويقول لها إنه لم يعد يملك أن يسمح لها أو لا يسمح لها بشىء، وإن كل الذى يطلبه منها هو أن ترعى حدود الاحتشام قلـيلا وهـى مستلقية هكذا فوق الحشائش، ترفع ساقًا وتخفض أخرى!

ويطلب إليها أن تجىء فتجلس بجانبه لكى يحـدثها حـديثا لا ينبغى لأحد أن يسمعه، لكنها تفضّل البقاء حيث هى.

ويسألها روبك عما إذا كانت تعلم السر فى قيامها بتلك الرحلة؟ وإلى هذا المكان بالذات؟ وتجيبه بأن الأمر أهون مما يظن، فلاشـك فى أن هذه السيدة النحيلة هى التى اجتذبته إلى هنا، السيدة التى كانت أنموذجه بلا شك فى يوم من الأيام، حينما كانت تقف أمامه عاريـة كيوم ولدتها أمها.

وينفى ذلك روبك، وإن اعترف أن هذه السيدة، مسز ساتو، أو أيرين، كانت أنموذجه يومًا ما حقًا. ثم يقول إن الذى جعله يقوم بتلك الرحلة هو ميله إلى شىء من التغيير، وهنا تقول له مايا: «لقد تعبت من دوام صحبتى، فمنذ أربع أو خمس سنوات مملة مميتة ونحن نعيش وحيدين وبمفردنا دون أن نفترق ساعة. إنك يا روبك لستَ رجل مجتمعات، إنك تريد أن تظل وحيدًا. لا تكشف نفسك لغير نفسك، ولا تعرض علىَّ أفكارك، وأنا لا أستطيع أن أبادلك الحديث عن فنك الذى لا أعرف ما هو، والذى لا يهمنى فى قليل أو كثير، والزمن يمر هكذا، ويفر منك يا روبك، وقد يكون هذا هو الذى جعلك غير مرتاح البال، وتشعر بالقلق. فلماذا، لماذا لا تكون صريحًا وتقول إنك تريد أن تتخلص منى؟ قل ذلك وأنا أرحل عنك فى الحال، وإلى الأبد، إن مواصلة حياة كهذه من المحال».

ويقول روبك: «أمن الضرورى أن يستدعى ذلك فراقنا؟ فراقًا أبديًّا؟ إن ما أريده هو رفقة شخص يمكن أن يكملنى ويتمم الناقص فىَّ، شخص أكون أنا وهو شيئًا واحدًا فى عملى، وهذا شىء ليس فى طبيعتك يا مايا، لكنه فى مسز ساتو، التى هجرتنى وفرت منى بعد أن أنجزت تمثالى «يوم البعث» وبعد أن عشت فيها وعاشت فىَّ، وعشنا معًا فى التمثال عامًا ونصف عام مستغرقين فى تفكير قدسى عميق. ثم ماذا صنعت بعد أن تزوجنا؟ تلك التماثيل النصفية التى

كنت أخفى تحتها وجوه حيوانات وأمساخا بهيمية! لقد أحسست منذ ذلك الوقت أن كل ما يقال عن دعوى الفنان ورسالته وما إلى هذه الترهات ليس فى حقيقته إلا هراء وشيئًا فارغًا لا معنى له. لقد ضحيت بالحياة فى سبيل هذه الرسالة، نعم، أليست الحياة تحت أشعة الشمس وبين الجبال خيرًا ألف مرة من أن يظل الإنسان طول حياته حتى الموت فى جحر مظلم كئيب، جحر رطب قذر، يصارع باستمرار كتل الرخام وركام الأحجار؟ إن الفنان لم يخلق ليبحث عن السعادة فى ظلال اللهو والكسل، إن الحياة فى رأيى ورأى أمثالى من الفنانين الآخرين ليست كذلك. إنها عمل مستمر، عمل بعد عمل حتى آخر لحظة فيها. إنك تقولين إننى تعبت منك، أجل، لقد تعبت كل التعب، وضجرت، وانحلت قواى من تلك الحياة التى أحياها معك. أقول ذلك وإن كنتِ لا ذنب لك أبدًا فى هذا، إننى أجتاز محنة يا مايا، ولابد لى من العودة إلى حياتى الحقيقية. إننى منذ أن رأيت تلك السيدة الشاحبة لم أستطع أن أكفَّ عن التفكير فيها. إن ههنا (مشيرًا إلى صدره) صندوقًا مقفلاً يا مايا، لم يتضح منذ أن أغلقته مسز ساتو وأخذت معها مفتاحه، ثم انطلقت لا أدرى إلى أين، وقد ظل الكنز دفينا فى هذا الصندوق لا يمكن الانتفاع به، وجعلت السنون تمر، ولا سبيل إلى الوصول إلى الكنز».

وترى مايا ضرتها أيرين وقد جلست عند أحد الينابيع القريبة تداعب الماء هناك، فتتبه روبك إلى وجودها، لكنه يكون ناظرًا نحو أنموذجه الحبيب زائغ العينين شارد اللبِّ، فتذهب هى إليها وتقول لها إن روبك، الأستاذ القديم، ينتظرها هناك، لتفتح له صندوقًا مغلقًا.

وتتصرف مايا، تنصرف إلى ما تحب وما تهوى، وتقبل أيرين على الأستاذ. ويتناجيان من فورهما، لكنه لا يستطيع أن ينظر في عينيها، فإذا سألته قال لها إن ضميره يثقل عليه ويعذبه، فتطرب أيرين وتقولك: أخيرا، هكذا أخذ ضميرك يعنفك، ولكن، لا، دعني أجلس جانبك، فقد عدت إليك إذن، عدت إليك من رحلة لا نهائية، عدت إلى وطنى، إلى سيدى ومولاى، إلى الرجل الفنان الذى أخذ – بلا مبالاة أو اهتمام – جسدًا حار الدماء، حياة إنسانية شابة، وانتزع منها الروح، لأنه كان فى حاجة إلى وضعها فى عمله الفنى، عمله الذى لم أحببه قط، لأنه كان يحول بينى وبين قلبك. لقد كنت أكره الفنان الذى فى داخلك، لأنه هو الذى كان يحرمنى منك ويعذبنى، وإن كنت قد أحببت تمثالك، لأنه كان ابننا سويًا، كان هو الذى يربطنا، طفلى وطفلك «يوم البعث» كما سميته، قل لى: ماذا أضفت على التمثال بعد فراقنا؟».

ويحدثها عما أحدثه فى التمثال وما أضاف إليه من القاعدة، ومن مجموعة أخرى من الناس، رجال ونساء لهم وجوه كوجوه

الحيوانات كما عرفهم فى الحياة على حقيقتهم. وكيف أنه جعل أيرين فى الخلف، وجعل نفسه فى الأمام إلى جانب ينبوع فى صورة رجل مثقل بالذنوب، ولا يعرف تمامًا كيف يتحرر من هذه الأرض، وقد سماه الندم».

وتربّت أيرين على شعره فى حنان وغفران وتسميه شاعرًا، شاعرًا مسكينًا. فإذا سألها عن ذاك قالت له لأن فى اسم الشاعر شيئًا من العذر الذى يوحى بغفران الخطايا والتغاضى عن الخطايا.

ويتناجيان، ويروى لها روبك كيف أنه هدم كوخهما الجميل، كوخ الذكريات، وأنه بنى مكانه دارًا خلاوية مشرفة على بحيرة تونتز، وأنه يعيش فى هذه الدار مع تلك المرأة الأخرى، المرأة الأخرى؟ فما أبعد ما جاءت التوبة متأخرة، متأخرة كثيرًا.

ويقول لها: «فهلاَّ تحبين أن تأتى لتعيشى معنا فى تلك الدار، كما كنا نعيش فى أيام الخلق؟ إنك وحدك تستطيعين إخراج ما هو مغلق فىَّ. أليس كذلك يا أيرين!؟ أرجوك، أتوسل إليك، ساعدينى على أن أحيا حياتى مرة أخرى، ساعدينى!».

ثم يكفّان عن النجوى حين يريان مايا فى لباس الصيد، ومعها هذا الوحش أولفهايم، ومن ورائهما حارس الصيد لارز ومعه كلابه الضارية... وحين تنظر مايا إلى زوجها ساخرة متشفية تقول له:

«إنى ذاهبة لكى أحيا حياتى... كما يحيا الآخرون». وهنا يقول لها روبك: «إذن ستفعلين أنت ذلك أيضًا يا صغيرتى مايا؟». وتجيبه: «أجل، وإنى لأعتقد أننى استيقظت الآن. وأخيرًا، فقر عينا ياروبك، وأتمنى لكما ليلة صيف سعيدة، فوق القمم!». ويقول لها روبك: «شكرًا، وكل الحظ السيِّئ الذى فى الدنيا كلها لك، ولصيدك». ثم ينظر إلى أيرين ليقول: «ليلة صيف فوق القمم، هذه هى الحياة، ألا نقضى تلك الليلة معا فوق المرتفعات يا أيرين؟».

ولكنها تنظر إليه مذعورة، قائلة إن وجه الراهبة يحملق فيها من بين الشجيرات «ابق هنا، وسألقاك بعد قليل لتقضى ليلة صيف سعيدة فوق المرتفعات. يا للسموات! إننا لا نرى الأشياء التى لا يمكن أن تعوض إلا حينما نُبعث نحن الموتى! يخيل إلىَّ أننا لم نعش قبل اليوم قط!».

ثم تنطلق، وترسل غناءها الجميل بين الآكام، ومن ورائها الراهبة تتبعها كظلها.

* * *

ونحن الآن فوق ناصية هاوية مخيفة فوق جبل أشم، والشمس لما تشرق بعد. وقد وقف أولفهايم يناوش صيده الثمين، يناوش مايا التى سئمت محاولاته السمجة طوال الليل، وراحت تهدده بأنها ستلقى

بنفسها إلى الهاوية إن لم يدعها وشأنها لتعود إلـــى الفنـــدق قبـــل أن يستيقظ أهله، ولكن أولفهايم يتحداها أن تفعل، فتجبن... ثم تسأله عما دفعه إلى إبعاد الحارس لارز هو وكلابه؟ أليس ليخلو الجو للـــشيطان كى يفعل ما يريد؟ ويبتسم أولفهايم ويعترف بأن هذه هى وسائله دائمًا كلما شاء أن يقع على صيد ثمين. وتحاول أن تنزل إلى الجرف الذى فى أول الطريق إلى الفندق، لكنها ترى الموت بعينيهـــا إذا فعلـــت، فيطلب إليها أن تدعه يساعدها، يحملها فوق ظهره مثلا، أو يجعلهـــا ملء ذراعيه. فتطلب إليه أن يكف عن هذا الهذيان، وعند ذلك يقص عليها قصة تلك الفتاة التى انتشلها من الأوحال ورفعها حتى جعلهـــا فوق قلبه، وكان يحسب أنها ستظل فوقه طول العمر. ولكـــن، مـــاذا كانت جائزته؟ لا شىء إلا تلك القرون البارزة فى رأسه.

وتسأله مايا عن تلك القلعة التى كان حدثها عنها، والتى قـــال إنه يملكها هنا، والتى فتك فيها رجل وحش مخيف بابنة الملك يومًـــا فيشير إلى كوخ حقير أقذر من حظيرة الخنازير، ويقول لها: «إنهـــا هذا الكوخ، فهل تتفضلين بالدخول؟ إن من الممكـــن أن يكـــون هـــذا الكوخ، أو تلك القلعة، جنة لاثنين ينعمان فيها ليلة صـــيف مباركـــة، أو صيفًا بأكمله أن أرادا!».

ولا ترى مايا بدًّا من محايلة هذا الوحش ومهادنته، فتطلب منه أن يسير بها إلى أسفل الجبل، وتدعه يحملها بين ذراعيه الجبـــارتين،

ثم لا يكادان يتقدمان حتى تنظر مايا فترى زوجها وصاحبته يعترضان الطريق من قريب، فترتد مذعورة، وتسأل الوحش عما إذا كان من الميسور أن يمرا دون أن يراهما روبك؟ لكن الوحش يقول لها إن من المحال أن يحدث هذا، فالطريق ضيقة لا تكاد تتسع لاثنين، فكيف بأربعة؟

ويراها روبك فيهتف بها: «مرحبًا مايا، ها نحن قد التقينا مرة أخرى. هل كنتما فوق الجبل طوال الليل، كما كنا؟».

وتقول له مايا: «أجل، لقد أذنت لى أنت بذلك، كنا نصطاد!».

ويفتخر روبك بأنه قد تسلق الجبل دون مرشد، فيقول له أولفهايم: «لكنك بلغت مرتقى صعبًا لا يمكنك التقدم عليه أو الهبوط منه، وها هى ذى العاصفة توشك أن تهبَّ، وهى أشبه بأكفان الموتى. ولا أستطيع أن أساعد على الهبوط أكثر من شخص واحد، فاحتم بذلك الكوخ حتى أرسل إليكما من يهبط بكما، وسيأخذونكما بالقوة إن أبيتما. هيا يا مايا، ضعى ثقتك فى، وأسلمينى زمام أمرك».

وتنظر أيرين حولها فى جزع وتقول لروبك: «أرأيت ياروبك؟ سيأتون ليعودوا بنا بالقوة، رغما عنا. وستكون معهم تلك الراهبة الملعونة ومعها بذلة المجانين، لقد رأيتها معها بعينى هاتين، وستلبسنى إياها. ولكن، لا عليك، فأنا أعرف كيف أحمى نفسى».

ثم تستل خنجرًا صغيرًا من ثيابها.

ويطلب إليها أن تعطيه الخنجر ولكنها ترفض، وتقول له إنها كانت قد أعدته لتقتله به، ولاسيما عندما أخبرها وهما جالسان على شاطئ بحيرة تونتز أنها لم تكن فى حياته إلا قصة، ثم لم يمنعها من قتله إلا أنها أدركت أنه ميت، ميت مثلها تمامًا، ميت لأنه رجل لا يعرف الحب، على الرغم من التمثال الحى الذى كان يقف أمامه عاريًا ممتلئًا بالجمال والمفاتن».

ويقسم لها روبك أن قلبه عامر بحبها الذى لم يمت قط، فتقول له: «إن الحب المتصل بالحياة الأرضية، الحياة الأرضية الجميلة العجيبة، الغامضة، هذا الحب قد مات فى قلبينا».

ويسألها: «ولكن، أتعرفين أن هذا الحب بالذات لا يزال يحترق ويغلى فى أعشار قلبى كما لم يكن يغلى من قبل؟».

فتقول له: «وأنا؟ أنسيت من أكون أنا؟ المرأة التى وقفت لمئات الفنانين عارية بعدك!».

فيقول لها: «كونى من تكونين، فأنا الذى دفعتك إلى هذا حينما كنت أعمى، أنا الذى رفعت تمثال الطين الميت فوق سعادة الحب، والحياة، وكل ما يحدث بعد ذلك لم ينقص من قدرك فى نظرى مثقال ذرة، ومازالت أمامنا فسحة من العمر لنحيا حياتنا يا أيرين».

أما أيرين فتقول له: «لقد ماتت فىَّ الرغبة فـــى الحيـــاة، يـــا آرنولد، لقد بعثت وبحثت عنك حتى وجدتك، ولكنى حينمـــا وجـــدتك رأيت أنك والحياة... ميتان كلاكما! إن المرأة الشابة فى تمثالك يـــوم البعث تستطيع أن ترى الحياة كلها ترقد على قاعدتها».

ويتوسل إليها روبك أن تسمح لهما بالتمتع بالحيـــاة لحظـــات «قبل أن ننزل إلى قبورنا مرة أخرى... ولكن ليس هنا فى هذا الجو الغائم القاتم، حيث يخفق حولنا هذا الكفن المبتل الكئيب».

ولكن أيرين تأبى، تأبى إلا الصعود إلى القمة، حيـــث النـــور وحيث مجد الأمجاد كلها، إلى أعلى، إلى قمة الموعد. ثـــم يتعانقـــان لأول مرة فى حياتهما! ثم إذا هما فى دنيا غير هـــذه الـــدنيا، الـــدنيا الحقيقية، ويسير الزوجان السعيدان إلى القمة. إلى السحاب والضباب، إلى الثلوج، إلى شفا الهُوَّة، وما الموت فى هذا الموقف!!

وهناك، تكون الراهبة المفزوعة المفغورة الفم واقفـــة، لتـــرى شبحين سعيدين يسقطان. وتنادى الراهبة سيدتها أيرين، ثـــم ترســـم علامة الصليب قائلة: «السلام لكما وعليكما!».

* * *

وبعد، فهذه خلاصة مبتسرة – على طولها – لتلك المـــسرحية الرمزية العجيبة التى كان إبسن ينتـــوى أن يسميهـــا: «نشيد الختام»

أو كما يقول مترجمه الإنجليزى العظيم وليم آرشر: The Dramatic Epliogue فعاد فسماها «عندما نستيقظ نحن الموتى» أو «عندما نبعث نحن الموتى» كما آثر الأستاذ المترجم أن يسميها، والتى كان يود أن يكتبها شعرًا فكتبها نثرًا، وإن لم تخل من الصبغة الشعرية التى لا ينقصها إلا النظم. إنها مسرحية حيَّرت النقاد والذين يعجبون بإبسن، ولا تزال تحيرهم فى أمر الكاتب المسرحى العظيم، والذى هو بالإجماع أبو المسرح الحديث! ماذا أراد بها؟ إنها من غير شك تخالف فى مظهرها كل هذه السلسلة التى أخرجها فى ثلاثين عامًا تقريبا.

هل استيقظ إبسن آخر الأمر، وبعد أن تجاوز السبعين، فتنبه إلى أنه كان يدعو إلى باطل حينما دعا الناس إلى المُثل العليا فى مسرحياته، وإلى تضحية رغائب نفوسهم فى سبيل هذه المثل؟ أكان هذا باطلاً وعبثًا؟ وإلى أن الحياة، الحياة الحقة فى نظره، وبعد أن بلغ السبعين، هى إيثار اللذة وإشباع عواطف النفس وانفعالاتها، ومطالب الحب والقلب، على مطالب الفن، ومطالب الكمال فى كل عمل يقوم به الإنسان؟ وهل هذا حقًّا هو ما تنبه إليه روبك الفنان العجوز، وما تنبه إليه إبسن الفنان العجوز أيضًا، ولكن بعد أن ضاعت الفرصة، وشاخ العمر، وطوَّح روض الحياة، ووقف الموت يدق بيديه الجبارتين المخوفتين باب المثال وباب الكاتب؟

إن وليم آرشر، مترجم إبسن إلى الإنجليزية، يفضل أن نعترف بأن الكاتب ألف نشيد ختامه هذا بعد أن غلبته الشيخوخة، وتسرب إليه وإلى نفسه المرض، ومن ثمة هذا الزمام الذى أفلت منه حينما راح يتكلم بلسان روبك، مبديًا أسفه العميق على الحياة التى ولَّت، والمعين الذى نضب، واللألاء الذى خبا، دون أن ينعم روبك، ودون أن ينعم إبسن، ودون أن تنعم أيرين بالحب الذى أتيحت لهم فرصته، فسمح لها الفنان الواهم بأن تفلت، وبأن تظل مفلتة هكذا حتى يولى العمر، ويشيخ الشباب، ويصبح الإنسان فى كل منهما، أو كل منهم، غير قادر على شىء!

ما هذا! إنَّ هذا هو الذى كان يقوله خصوم إبسن ونقاده فى إبسن، والذى لم ينفكوا يقولونه منذ أن كتب «ملهاة الحب» ومنذ أن ظهرت «براند» و «بيرجنت» وما تلها ذلك كله حتى «السيدة من البحر» و«شيخ البنائين».

إننا نعرف أن إبسن كان بزواجه، وأن زوجته كانت تملأ عليه الدنيا كلها نشاطًا وحيوية، وأنها كانت تلازمه كظله، وتذهب معه إلى آخر الدنيا، وتوفر له الهدوء والسكينة اللذين لا يستغنى عنهما كاتب أو شاعر أو فنان، وأنها كانت أبعد النساء من أن تكون شبيهة بمايا زوجة مستر روبك فى هذه المسرحية. مايا تلك المرأة الشابة الفارغة الرأس – على الرغم من جمالها وحسنها – والتى لم تكن تدرى فيم

تنفق وقتها، ولهذا لم تقو على ملء حياة الفنان كما كانت تملؤها أنموذجه أيرين من قبل. ومن ثمة لم يستطع أن ينتج إلا تلك التماثيل النصفية التى تخفى تحت سطحها أرواح الحيوانات والبهائم، بينما أوحت إليه أيرين بتمثاله وآية آياته: «يوم البعث».

إننا لا نحب أن نجارى وليم آرشر فى هذا التشاؤم والنظرة السوداء إلى نشيد ختام إبسن، ونحن لا نراه قد خالف نفسه أو ناقضها منذ أن كتب ملهاة الحب أو براند أو ما تلى هاتين المسرحيتين من رمزيات أو مسرحيات واقعية فيها قدر من الرمز قل أو كثر. إننا نؤثر أن نقول إن إبسن كان يفضل للفنان روبك ألا يفزع من تقاليد عصره، تلك التقاليد التى كانت تنهاه ظالمة ألا يتزوج من أنموذجه، لأن الأنموذج الذى يتجرد عاريًا للفنان على النحو الذى كانت تقوم به أيرين جدير بأن يفقد احترام المجتمع. لقد ظلم روبك نفسه بتحريمه على نفسه تلك الفاكهة الحلال حين لم يتزوجها، ولا عبرة مطلقا لما ادّعاه لأيرين وهى تجادله فى هذا التحنث الذى كان يبديه نحوها، والذى يتمحل له الأعذار، فيقول لها إنه كان ينظر إليها نظرات مقدسة طهرية، وكان يأنف أن يدنسها بهذا الشيء الذى يسمونه الحب، حتى يأتى تمثاله قدسيًّا مطهرًا مثلها. هذا إسراف فى الخيال والوهم العذرى، إذا صح أن نسمى هذا وهمًا عذريًا. والأفضل أن نعلل هذا الانصراف عن أيرين بما سقناه من خوف

روبك من التقاليد، فحرم نفسه تحت وطأة الخوف منها، من شريكة حياته الأصيلة، والمرأة التى ذاب حسنها فى تمثاله، ثم راح ليتزوج مايا زواجًا تقليديًا لا يزعجه القيل والقال، ناسيًا أن قلبه مع أيرين، فكانت الكارثة. ولم يزل قلب روبك ينبض بحب أيرين، ولم يزل يحنُّ إليها، ولم يزل فى هذا الفراغ الكئيب والوحشة المهلكة التى كان يشعر بها، كلما رافق مايا أو سافر معها أو عاشرها تلك المعاشرة الجسدية الباردة. ولم تغب هذه الوحشة عن مايا، مايا الحلوة الشابة التى لها كل حقوق الزوجة والإنسانة، والتى لم تضع فرصتها حينما أتيحت لها، وحينما اعترف لها روبك بكل مايشعر به من هذا الفراغ المهلك والوحشة الوبيلة، فقررت فى الحال ألا تكون له، بعد أن أضاعت من عمرها معه تلك السنون الأربع أو الخمس، فلم تكد تلقى الوحش أولفهايم حتى رأت فيه فرصة النجاة ومحقق رغائب النفس البشرية. وهكذا ذهبت معه، ثم هبطت معه هذا الهبوط الرمزى الظريف، بينما صعد روبك بعد فوات الأوان مع أيرين، أيرين التى شاخت كما شاخ روبك، إلى أعلى القمم، بعد أن تنبه إلى غلطته الكبرى التى جنى بها على نفسه وعلى منية القلب وحبيبة الروح، ولكنه صعد بها إلى شفا الهاوية، ومهب العاصفة، ليسقطا من علٍ، وليلفهما الموت فى أكفان من ثلوج.

هذا هو التأويل الذى نفضّله، والــذى لا يتعــارض وماضـــى إبسن، ولا يمس حياة الطهر والإعزاز التى كانت تربطـــه بزوجتـــه. ولعل ماقرره فى «ملهاة الحب» من أن الحب، الحب الشاب الملتهب، ينافى روح الزواج الذى لا يرمى إلا إلى بناء الأسرة، وهو ما كـــان يرمى إليه من تلك الملهاة اللطيفة. ومما يؤيد ما ذهبنا إليه ما يلاحظ من وجود أوجه شبه كثيرة فى تضاعيف هذه المسرحية وبين معظـــم مسرحيات إبسن السابقة عليها. ولعل خاتمة براند تذكرنا بخاتمتهـــا، والخلاف بين غاية كل من المسرحيتين حادث من أن إبسن لم يكـــن يكرر نفسه، وناشئ أيضًا من أنه، وإن يكن مهـــدودًا مـــن الكتـــاب الواقعيين، بل إنه هو الذى شق للمسرح الحديث طريق الواقعية، كان يصبغ شخصياته بتلك الصبغة الرمزية التى تجعلها، أو تكاد تجعلها، شخصيات غير واقعية، أعنى شخصيات لا نكاد نجد لها نظيرًا فـــى واقع الحياة. ولعل هذا هو مفتاح مسرح إبسن كله، كاتب واقعى كما يخيل للقارئ أو المتفرج، أما الدارس فلشد ما يجد البون شاسعا بـــين شخصيات إبسن وبين الشخصيات الواقعية، وهذه هى رمزية إبـــسن. ولقد ضحى روبك بحبه فى سبيل التقاليد وفى سبيل غرض مـــادى، هو تمثاله، كما ضحى براند بزوجته وابنه، وهما هنا حبه، فى سبيل مبدئه، وكما ضحى بيرجنت بسولفيج فى سبيل مغامراتـــه الماديـــة، وكما ضحى برنك فى أعمدة المجتمع، وكما ضحى جـــون جبريـــل

بوركمان فى المسرحية الموسومة باسمه، والتى كتبهـا إبـسن قبـل مسرحيتنا هذه بعامين، والذى لا يكاد يتنبه إلى غلطته حتى يمـوت، وكما ضحى هالمر بنورا فى سـبيل ما كان يسميه كرامتـه فـى «بيت دمية». ونعود إلى «براند» لنلاحظ أن الكلمات الختامية التـى قالها براند قبل أن يلقى الموت تكاد تكون هى نفسها التى قالها روبك قبل أن تقذف به العاصفة هو وأيرين فى غيابة الهاوية.

وبهذا يكون إبسن هو هو لم يتغير، ولم يغلبه المرض كما ظن مترجمه أستاذنا آرشر، وإن لم يكرر نفسه أبدًا، صبغة الفنان الأصيل المقتدر.

* * *

والذين يفصلون بين الحركة الرمزية التى تزعمهـا الـشاعر الفرنسى ستيفان ملارميه (١٨٤٢ – ٩٨)، والتى اشتدت ريحها فـى أواخر القرن التاسع عشر، وعلى وجه التحديد بـين عـامى ١٨٧٠ و١٨٨٦، والتى شدت أزرها تلك الجماعة التى عرفت بأنصار الفـن من أجل الفن، ذلك المذهب أو تلك الفكرة التى نادت بها وتحمست لها جماعة الرجوع بالفنون والآداب إلى ما قبل رفائيل، أو كمـا كـانوا يسمون أنفسهم The Pre-Raphaelite Brotherhood (مما تجد تفصيله فى مقدمة لإحدى مسرحيات أوسكار ويلد من تلك المجموعة)، نقول

إن الذين يفصلون بين تلك الحركة الرمزية وبين إبسن يغالون غلـوًّا شديدًا. فالمعروف أن الكتاب المسرحيين بخاصة، والذين ينتمون إلى هذه الحركة المذكورة، هم جميعًا تلاميذ إبسن قبل أن يكونوا تلاميذ أحد سواه. وإن كان إبسن قد تأثر هو الآخر بمعاصره الموسيقار الألمانى العظيم رتشارد فاجنر (١٨١٣ – ١٨٨٣)، ذلك العبقرى الذى كانوا يطلقون على فنه تلك الكلمة المركبة الألمانية Gesammtkunstworke، أو العمل الذى يجمع كل الفنون فى عمل واحد. ونحن نذكر أن والدة إبسن كانت ألمانية الأرومة، وأنها كانت موسيقارة، فضلاً عن غرامها بكل الفنون المتصلة بالموسيقى، وأنها لذلك غرست تلك الحاسة السادسة فى ابنها العظيم، الذى نلاحظ الكثير من الجرس الموسيقى فى جميع مسرحياته، والذى كان كثير التردد على ألمانيا، يغشى مسارحها وأوبراتها، وينهل النمير العذب من موسيقاها. ويكاد يُفتن افتتانًا بفاجنر الذى أخذ عن مسرحياته الموسيقية عنايته الفائقة برسم شخصياتها، ثم استمرار الفعل فيها، ثم المحافظة فيها على الدافع الأصلى، أو ما نسميه اليوم الفكرة الأساسية أو Leitmotive، كما كان يسميه فاجنر. وهذه هى الخصائص الأساسية فى المسرحية الجيدة، التى ارتشف إبسن الشىء الكثير من فنها عن أستاذه الأول سكريب، مما ذكرناه فى مقدمة «أعمدة المجتمع» هذا، عدا عناية فاجنر بألوان الألفة الصوتية والألحان

المتسقة الساحرة، وتحاشيه ما أمكن تلك الفقرات العاليـــة الـــصارخة التى تبدو «نشازًا» وسط إيقاع المسرحية العام، وهذا هو ما تتسم بـــه رمزيات إبسن، وإن لم تكن مسرحيات موسيقية.

وثمة فارق كبير بين رمزيات إبسن ورمزيات الكثرة الكـــاثرة من تلاميذه أو الذين تأثروا به من الكتاب الرمزيين؛ ذلك هو أن إبسن خالف هؤلاء جميعًا فى أنه جعل فنه وكل رمزياتـــه - ولا نـــستثنى منها «عندما نستيقظ نحن الموتى» - فى خدمة الحيـــاة والمجتمـــع. الأمر الذى كان ينفر منه أنصار الفن للفن، وجماعة الرجوع بالفنون والآداب إلى ما قبل رفائيل، نفورًا شديدًا، وهل قامت الحركة الرمزية فى رأيهم إلا لونًا من ألوان رد الفعل ومقاومة المذهب الواقعى الذى كان يتزعمه إبسن، كما كان يتزعم الرمزية فى المسرح فى الوقـــت نفسه!؟

لقد كانت حجة أنصار الفن للفن - ولاسيما فى المسرح - أن المسرحية الواقعية التى تتناول مشكلة أو قضية من قضايا المجتمـــع ومشكلاته لا تلبث أن تصبح مسرحية غير ذات موضوع، أى قديمة، بمجرد أن يقضى المجتمع على تلك المشكلة ويحلها الحل الذى كتبت من أجله المسرحية، ومن ثمة راحوا يبحثون عما يجعل مـــسرحياتهم فنًّا خالصًا لا يتعرض لهذا التقادم، فنًّا أبديًّا يصلح للعرض فـــى كـــل زمان ومكان. ومن هنا نشأت نظريتهم فى الفن من أجل الفن، وهـــم

يؤيدون رأيهم ببعض مسرحيات إبسن نفسه، وبجميع مسرحيات كتاب المذهب الطبيعى. وقد نسى هؤلاء أن إبسن كان فى كثير من مسرحياته بعيد النظر مثل شيكسبير، وذلك حينما وجَّه الكثير من اهتماماته إلى النفس البشرية ذاتها، فكشف طواياها، وجلا لنا خباياها، ثم كان التجاوز إلى المذهب الرمزى، مما يكسب الكثير من تلك المسرحيات جمالاً يضمن لها الخلود، ويبعد عنها آفة التقادم والبلى. لكن هؤلاء الرمزيين الذين يأخذون بفكرة الفن للفن يرفضون هذا أيضًا، إنهم يرفضون أن يكون الفن فى خدمة أى شىء إلا خدمة الفن نفسه. وقد غلا نفر منهم فجعلوا الفن والأدب قاصرًا على كل ما يجلب اللذة ويحقق الرغائب الخسيسة، وهؤلاء هم المنحطون أو Decadents منهم. وقد لغا بعض النقاد ممن لم يفهموا مسرحية «حينما نستيقظ نحن الموتى» ومسرحية «ملهاة الحب»، فجعلوا إبسن منهم فى هاتين المسرحيتين. وكان هؤلاء - أو أكثرهم - يلجأون إلى الغموض والإلغاز وما يشبه التعمية والهلوسات التى لا يكاد قارئهم يفهم منها شيئًا.

ثم ظهر قسم آخر من الكتاب الرمزيين، الكتَّاب المتسامين الذين يعطونك فنًّا رفيعًا نظيفًا، ولكن لا شأن له بقضايا المجتمع ومشكلاته. وكان سيد هؤلاء الكتاب غير مدافع الكاتب البلجيكى موريس ميترلنك (١٨٦٢ - ١٩٤٩) الذى لا شك فى تأثره بإبسن،

وإن كان تأثره بفاجنر أقوى وأوضح. ومن هؤلاء أيضا أنطون تشيخوف (١٨٦٠- ١٩٤٠)، ثم ليوند آندرييف L. Andreyev (١٨٧٠ - ١٩١٩) الكاتب المسرحى والقصاص الروسى الملغز، ثم مواطنه نيقولا آفرينوف صاحب مسرح الروح ومبتكر مسرحية Monodrama أو المسرحية التى يقوم بتمثيلها ممثل واحد.

ثم كان قسم ثالث بالطبع يضم أولئك الكُتَّاب الذين تلمذوا تلمذة كاملة على إبسن، أولئك الذين كانوا يكثرون من الرمز لكنهم يهدفون إلى غايات اجتماعية ونفسية للارتقاء بالقطيع البشرى. ومن هؤلاء برنارد شو، وإن كان يُصرُّ على غير ذلك فى كثير جدا من مسرحياته، ثم أوجين أونيل، وكثيرون من كُتَّاب وسط أوروبا وسكانديناوة.

أَلا ما أعظم الدَّيْن الذى يدين به المسرح الحديث وكتابه الرمزيون، بل كتاب من جميع المذاهب المسرحية، لإبسن العظيم الخالد، الذى لا يكاد ينتهى عنه الحديث مهما طال، ومهما تشعب، وهل إبسن إلاَّ حديث طويل متشعب؟ ولا يمكن أن ينتهى أبدًا! وهل يمكن أن ننتهى منه إذا مضينا فى المقارنة بينه وبين تلاميذه هؤلاء؟

درينى خشبة

شخصيّات المسرحية

* الأستاذ أرنولد روبك Arnold Rubek: مثّال.
* السيدة مايا روبك Maia Rubek: زوجة مفتش الحمامات.
* أولفهايم Ulfhaim: أحد ملاك الأراضي.
* سيدة غريبة A Stranger Lady.
* راهبة A Sister of Mercy.
* خدم - زوار للحمامات - أطفال.

تقع حوادث الفصل الأول في بناء للحمامات قرب الشاطئ.

وتقع حوادث الفصلين الثاني والثالث بالقرب من مصحة عالية وسط الجبال.

الفصل الأول

المنظر:

ساحة خارج فندق الحمامات وقد بدا جزء منه إلى اليمين، والمكان فسيح، أشبه بمنتزه فيه نبع، ومجموعة من الأشجار العتيقة، ودغل من الشجيرات، وإلى اليسار ظلة صغيرة، تكاد تغطيها أشجار اللبلاب وغيرها من الأشجار المتسلقة الفرجينية. أمام الظلة منضدة وكرسى، ويبدو وراء الساحة منظر للفيورد (أى الخليج المستطيل) والبحر بما فيه من جزائر صغيرة ورءوس بحرية تبدو من بعيد.

الوقت: صباح يوم مشمس من أيام الصيف، هادئ ودافئ.

فى الساحة الخارجية أمام الفندق يجلس الأستاذ روبك والسيدة مايا روبك على كرسيين مريحين من القش، وإلى جانبهما منضدة عليها مفرش، وقد انتهيا منذ لحظة من تناول طعام الإفطار، على المنضدة زجاجات شمبانيا ومياه معدنية، ومع كل منهما صحيفة.

الأستاذ روبك كهل، له وجه متميز، يلبس سترة من القطيفة السوداء وملابس صيفية خفيفة. والسيدة مايا شابة صغيرة ذات وجه مرح وعيون جميلة ساحرة، ولكنها شبه متعبة، وهى تلبس ثياب سفر أنيقة.

مايا : (تجلس مدة صامتة وكأنها تنتظر من الأستاذ أن يتكلم، ثم تترك صحيفتها تسقط من يدها وهى تتنهد فى عمق) يا للعجب، يا للعجب!

الأستاذ روبك : (ينظر من فوق صحيفته) ماذا يا مايا، ماذا جرى؟

مايا : ما عليك إلا أن تنصت لتسمع كيف يكون السكون هنا.

الأستاذ روبك : (يبتسم فى تدليل) أو يمكنك سماعه؟

مايا : سماع ماذا؟

الأستاذ روبك : السكون؟

مايا : نعم، أستطيع ولا ريب.

الأستاذ روبك : شىء لطيف، لعلك على حق يا طفلتى، فمن الممكن حقًا أن يسمع الإنسان السكون.

مـــــــايــا : يعلم الله أنك تستطيع.. حينما يكون السكون شاملا عميقًا كما هو هنا.

الأستاذ روبك : أتقصدين هنا فى الحمامات؟

مـــــــايــا : يخيل إلىَّ أن السكون يخيم على كل مكان نـذهب إليه هنا فى أرض الوطن. لا شك أن فى المدينـة جلبةً وضجيجا، ولكنى لا أدرى كيف أنـه حتـى الجلبة والضجيج فيهما شىء من الموت.

الأستاذ روبك : **(بنظرة فاحصة)** إنك لا يبدو عليك السرور لعودتك إلى الوطن يا مايا؟

مـــــــايــا : **(تنظر إليه)** وأنت، هل أنت مسرور؟

الأستاذ روبك : **(فى مواربة)** أنا!؟

مـــــــايــا : نعم أنت، أنت الذى سافرت إلى أبعد، أبعد كثيـرًا مما سافرت أنا، أسعيد أنت سعادة شاملة بعودتـك الآن إلى الوطن؟

الأستاذ روبك : كلا، وإن أردت الصراحة التامة فربما لـم تبلـغ سعادتى أقصاها.

مـــــــايــا : **(فى نشاط وحيوية)** أرأيـت الآن! ألـم أدرك أنـا ذلك؟!

الأستاذ روبك : ربما طال بى البعاد عن الـــوطن زمنـــًا مديـــدًا. وانسلخت تمامًا عن كل هذه الـــ... هذه الحياة فى أرض الوطن.

مــــــــايــــا : **(بلهفة وهـــى تقرب كرسيـــها منه)** أتـــرى الآن يا روبك!؟ خير لنا أن نرحل ثانية وفـــى أقـــرب وقت!

الأستاذ روبك : **(بقليـــل من الضيـــق)** لا بـــأس، لا بـــأس، وهذا ما قررناه يا عزيزتى مايا، وأنت تعرفين ذلك.

مــــــــايــــا : ولكن لم لا يكون ذلك الآن، وفى الحال؟ تـــصور الراحة والنعيم اللذين كنا ننعم بهما هناك فى دارنا الجديدة الجميلة.

الأستاذ روبك : **(يبتسم فى تدليل)** إن من حقنـــا أن نقـــول منزلنـــا الجديد الجميل.

مــــــــايــــا : **(بعد قليل)** أفضل أن أسميها دارًا؛ فـــدعنا نـــسمها كذلك.

الأستاذ روبك : **(يثبت أنظاره عليها)** إنك لمخلوقة صغيرة غريبـــة حقًّا.

مــــــــايــــا : أنا على قدر كبير من الغرابة؟

الأستاذ روبك : نعم، أظن ذلك.

مـــــــايــــا : أرجـــوك أن تخبرنـــى عن الســبب، ألأنى ربمـــا لا يشغفنى التجول كثيرًا فى هذه المرتفعـــات دون هدف؟

الأستاذ روبك : من منا الذى أصر كل الإصرار على أن نمـــضى هذا الصيف فى الشمال؟

مـــــــايــــا : أقر أننى أنا التى أصررت.

الأستاذ روبك : على أى حال، ليست الفكرة فكرتى بدون شك.

مـــــــايــــا : ولكن يا لله! كيف كان يمكن أن يجول بفكر إنسان أن الوطن سيتغير كل هذا التغير؟ وفى خلال هـــذا الوقت القصير؟ العجيب أنه لم تمـــر إلا ســـنوات أربع منذ رحيلى.

الأستاذ روبك : منذ أن تزوجتِ، نعم.

مـــــــايــــا : تزوجت؟ وما دخل ذلك فى الأمر؟

الأستاذ روبك : (مستمرًّا)... منذ أن أصـــبحتِ عـــروس الأســـتاذ ووجدت نفسك سيدة المنزل الجميل، عفوا، يجـــب أن أقول الدار الجميلة، وأيضا سيدة فـــيللا علـــى بحيرة تونتز وفى المنطقة الراقية منها. إنهـــا فـــى

الحق يا مايا جميلة ممتازة ولا يمكن نكران ذلك، وهى أيضًا متسعة فسيحة، وستغنينا سعتها عن الاصطدام باستمرار.

مـــايـــا : (بخفة) لا، لا، لا. إنها فسيحة وواسعة، ولن نفتقر فيها إلى الرحابة والسعة، وما إلى الرحابة والسعة من أمور أخرى.

الأستاذ روبك : وتذكرى أيضا أنك عشت دائمًا فى وسط ممتاز غير مقيد، بين جماعة أرقى من تلك التى عشت بينها هنا.

مـــايـــا : (تنظر إليه) آه، أنت إذن تظن أن الذى تغير هو أنا؟

الأستاذ روبك : طبعًا يا مايا.

مـــايـــا : أنا وحدى؟ وليس الناس الذين يعيشون هنا؟

الأستاذ روبك : أوه، نعم، إنهم تغيروا هم أيضا. وربما تغيروا تغيرًا طفيفًا، ولكنى أقر بأنه تغير لم يكن فى طريق ألطف.

مـــايـــا : حقًا، أظن أن الواجب يقضى بأن تقر بذلك.

الأستاذ روبك : (يغير الموضوع) أتدرين مقدار تأثرى عندما ألقـــى نظرة على حياة هؤلاء الذين يعيشون حولنا؟

مـــــــــايـــا : كلا، خبرنى.

الأستاذ روبك : إن ذلك يذكرنى بالليلة التى قضيناها فـــى القطـــار ونحن فى طريقنا إلى هنا.

مـــــــــايـــا : عجبًا، إنك كنت نائمًا نومًا عميقًا طوال الوقت.

الأستاذ روبك : ليس تمامًا، لقد لاحظت كيف يخيم الصمت علـــى جميع المحطات الصغيرة التى مر بها القطار، وقد سمعت الصمت... مثلك يا مايا.

مـــــــــايـــا : هم، نعم، مثلى.

الأستاذ روبك : وهذا أكد لى أننا اجتزنا الحدود.. وأننا وصلنا حقًّا إلى أرض الوطن، وكان القطار يقف عنـــد كـــل محطة صغيرة، وإن كان وقوفه بلا داع.

مـــــــــايـــا : ولماذا كان يقف إذن، إن لم يكن هناك داع؟

الأستاذ روبك : لست أدرى، فلم يكن أحد يركب القطار أو ينـــزل منه، ومع ذلك كان يقف مدة تطول حتى لا تكـــاد تنتهى، وكنت أحس فى كل محطة بوجود اثنين من عمال السكك الحديدية يقطعـــان الرصـــيف جيئـــة

وذهابًا، وقد حمل أحدهما مصباحًا، وهما يتبادلان في الظلام، وبصوت غير معبر، حديثًا خافتًا لا معنى له.

مـــايــا : نعم، هذا صحيح، يوجد دائمًا اثنان يسيران جيئة وذهابًا وهما يتحادثان...

الأستاذ روبك : فى لا شىء. **(تزداد حيوية صوته)** ولكن انتظرى حتى الغد، حين يرسو فى الميناء القارب البخارى الكبير الفخم، الذى سيبحر بنا حول الشاطئ نحو الشمال قدمًا! نحو البحر القطبى رأسا.

مـــايــا : نعم، ولكنك لن ترى إذ ذاك شيئًا من الأرض... ولا أحدًا من الناس، وهذا بالذات هو ما أنت فى حاجة إليه.

الأستاذ روبك : **(فى فجاءة وشراسة)** لقد رأيت ما فوق الكفاية.

مـــايــا : أتظن أن حالتك تتحسن إذا قمت برحلة بحرية؟

الأستاذ روبك : الرحلة تغيير على أى حال.

مـــايــا : حسن، حسن، ولكن لو أن الرحلة هى فقط ما أنت فى حاجة إليه.

الأستاذ روبك : لى أنا؟ ما أنا فى حاجة إليه؟ أنا لا ينقصنى شىء فى هذا العالم.

مـــــــايــا : **(تنهض وتذهب إليه)** لا، بل ينقصك شيء يا روبك، وأنا واثقة من أنك أنت نفسك تدرك ذلك ولا بد.

الأستاذ روبك : كيف يا عزيزتى مايا؟ أى شىء يمكن أن ينقصنى؟

مـــــــايــا : **(تقف خلفه منحنية على كرسيه)** هذا ما يجب أن تخبرنى به، فقد بدأت تتجول هنا وهناك دون أن ترتاح لحظة، ولم يعد فى إمكانك البقاء فى مكان واحد، لا فى الوطن ولا فى الخارج، وأصبحت فى الأيام الأخيرة ميالاً إلى اعتزال الناس.

الأستاذ روبك : **(بقليل من السخرية)** يا إلهى، هل لاحظت ذلك؟

مـــــــايــا : كل من يعرفك يستطيع ملاحظة ذلك، وقد لاحظت أيضًا، وهذا ما أحزننى كثيرًا، أنك فقدت كل لذة فى عملك.

الأستاذ روبك : وهذا أيضًا؟ يا عجبًا!

مـــــــايــا : أنت يا من تعودت العمل دون تعب أو كلال، طوال اليوم من الصباح إلى المساء!

الأستاذ روبك : **(فى كآبة)** تعودت هذا، نعم...

مـــــــايــا : ولكنك منذ أن انتهيت من قطعتك الكبيرة الخالدة...

الأستاذ روبك : **(يحنى رأسه فى تفكير)** «يوم البعث»...

مـــــايـــا : ... القطعة الخالدة التى اشتهر أمرها فى جميع أنحاء العالم وجعلتك مشهورًا كل هذه الشهرة...

الأستاذ روبك : ربما كان هذا هو سوء الحظ يا مايا.

مـــــايـــا : كيف؟

الأستاذ روبك : عندما انتهيت من قطعتى الخالدة هذه. **(يحرك يده فى انفعال)** لأن يوم البعث قطعة خالدة! أو لعلها كانت كذلك فى أول الأمر. لا، إنها ما زالت كذلك، ويجب، يجب أن تكون قطعة خالدة!

مـــــايـــا : **(تنظر إليه فى دهشة)** ماذا يا روبك؟ العالم كله يعرف ذلك.

الأستاذ روبك : **(منكسا فى نفور)** العالم كله لا يعرف شيئًا! ولا يفهم شيئًا!

مـــــايـــا : ليكن، لكنه يستطيع على كل حال أن يقدس شيئًا ما.

الأستاذ روبك : نعم، شيئًا غير موجود، شيئًا لم يخطر لى ببال قط، آه، نعم، هذا ما يمكنهم أن يشغفوا به. **(يتمتم فى تذمر)** وما فائدة أن يظل الإنسان طوال حياته يعمل للغوغاء والجماهير، «للعالم كله»!

مـــــــايــا : أتظن إذن أنه خير لك؟ أتظن أنه يخلــق بــك ألا تفعل شيئًا سوى أن تصنع تماثيل نــصفية لــبعض الأشخاص بين حين وآخر؟

الأستاذ روبك : **(بابتسامة ماكرة)** إن ما أفعله يا مايا ليس بالضبط تماثيل نصفية.

مـــــــايــا : نعم، إن هذا هو الواقع ولاريب... طوال الــسنتين أو السنوات الثلاث الماضية، منذ أن انتهيت مــن مجموعتك العظيمة وأخرجتها إلى العالم.

الأستاذ روبك : ولكنى أؤكد لك مع ذلك أنها ليست مجرد تماثيــل نصفية.

مـــــــايــا : ماذا تكون إذن؟

الأستاذ روبك : إنها شيء ذو معنيين، شيء كامن مختبئ فى هــذه التماثيل النصفية وخلفها... سر لا يــستطيع أحــد رؤيته.

مـــــــايــا : حقًا؟

الأستاذ روبك : (مؤكدا) أنا وحدى الذى يــستطيع رؤيتــه، وكــم يسرنى ذلك سرورًا لا يوصف، أنى أضفى علــى سطح هذه التماثيــل «المــشابهة المذهلــة» كمــا

يقولون، تلك المشابهة التى يقفون جميعًا أمامها وقد فغروا أفواههم من الدهشة. (**يخفض صوته**) لكنها مما يلى هذا السطح ليست إلا وجوه جياد ذات هيبة وأبهة، أو وجوه حمير عنيدة مكممة، أو جماجم كلاب مبتورة الآذان منبعجة الجبهة، أو خنازير سمينة ذات خراطيم طويلة، وفى أحيان تبدو ثيرانًا غبية متوحشة.

مـايـا : (**بعدم اكتراث**) تقصد جميع الحيوانات المستأنسة العزيزة؟

الأستاذ روبك : ليست إلا الحيوانات المستأنسة العزيزة يا مايا، تلك الحيوانات التى احتقرها الإنسان وحيرته فى قرارة نفسه، والتى احتقرته وحيرته بدورها هى الأخرى. (**يفرغ كأس الشمبانيا ويضحك**) وهذه التماثيل ذات الوجهين هى التى يأتى إلىّ فى طلبها أغنياؤنا المحترمون، والتى يدفعون فيها عن طيب خاطر مبالغ طائلة، قدر وزنهم ذهبًا كما يقولون.

مـايـا : (**تملأ كأسه**) هيا يا روبك! اشرب وكن سعيدًا!

الأستاذ روبك : (**يمر بيده على جبهته عدة مرات وقد استند إلى خلف كرسيه**) إنى سعيد يا مايا، سعيد حقًا، سعيد

إلى حد ما. **(صمت قصير)** فلاشك أن الإنسان يشعر بالسعادة لأنه حر مستقل فى كل أمره، لأنه يستطيع الحصول على كل ما يمكن أن يرغب فيه، أعنى الأشياء الخارجية المادية، ألا توافقيننى يا مايا؟

مـــايـــا : أوه، نعم، إنى أوافقك، كل ما يمكن أن يكون جميلاً بطريقته الخاصة. **(تنظر إليه)** ولكن أتذكر ما وعدتنى عندما اتفقنا على... على هذه النقطة المتعبة.

الأستاذ روبك : **(يحنى رأسه مرارا)**. تقصدين مسألة زواجنا؟ نعم، فلم يكن الأمر سهلاً عليك يا مايا.

مـــايـــا : **(تتم فى اطمئنان)**. ووافقت على أن أذهب معك إلى الخارج، لنعيش هناك دائما، لأمتع نفسى أتذكر ما وعدتنى به إذ ذاك؟

الأستاذ روبك : **(يهز رأسه)** كلا، لا أستطيع القول بأنى أذكر ذلك، ولكن ماذا وعدتك؟

مـــايـــا : قلت إنك ستصعد بى إلى قمة جبل عال وترينى كل ما فى العالم من عظمة وبهاء.

الأستاذ روبك : (يجفل قليلا) أو عدتك أنت أيضا بذلك؟

مـــــايــا : أنا أيضا؟ ومن وعدته غيرى؟ قل لى أرجوك.

الأستاذ روبك : (بلا اكتراث) لا، لا، أعنى هل وعدتك بأن أريك...

مـــــايــا : كل ما فى العالم من عظمة وبهاء؟ نعم، وعدت، وقلت إنه سيكون لى كل هذا البهاء.

الأستاذ روبك : إن هو إلا أسلوب من الكلام كنت أستعمله يوما ما.

مـــــايــا : لم يكن إلا أسلوبًا من الكلام؟

الأستاذ روبك : نعم، كلام تلميذ صغير. كنت أستعمل ما يشبه ذلك لإغراء جيرانى من الأطفال على الخروج معى إلى الجبال والغابات لنلعب هناك.

مـــــايــا : (تنظر إليه بشدة) لعلك لم تقصد إلا إغرائى أنا أيضا للخروج معك للعب؟

الأستاذ روبك : (يعتبرها مزحة) حسن، ألم تكن لعبة محتملة مسلية يا مايا؟

مـــــايــا : (ببرود) لم يكن ذهابى معك للعب فقط.

الأستاذ روبك : لا، لا، ليس لذلك.

مـــــايــا : ولم تأخذنى معك قط إلى قمة أى جبل، ولم ترنى...

الأستاذ روبك : **(فى هياج قليل)** كل ما فى العالم من عظمة وبهاء؟ لا، لم أرك هذا، ودعينى أخبرك أن ذلك لم يحدث، لأنك لم تخلقى يا صغيرتى مايا لتكونى متسلقة جبال.

مايا : **(تحاول ضبط نفسها)** ولكنك ظننت يوما أننى أصلح لذلك.

الأستاذ روبك : منذ أربع أو خمس سنوات، نعم. **(يتمدد على الكرسى)** أربع أو خمس سنوات. يا لها من زمن طويل، طويل يا مايا.

مايا : **(تنظر إليه وعلى وجهها أمارات من الحزن والمرارة)** أيبدو الزمن فى عينيك على هذا الطول المديد يا روبك؟

الأستاذ روبك : بدأت الآن أشعر به طويلاً بعض الطول. **(يتثاءب)** بين وقت وآخر كما تعلمين.

مايا : **(تعود إلى مكانها)** لن أضايقك أكثر من ذلك **(تجلس على مقعدها وتبدأ فى تقليب صفحات جريدتها، يعمهما الصمت)**.

الأستاذ روبك : (يستند على المنضدة بمرفقيه وينظر إليها فى مكايدة) هل استاءت زوجة الأستاذ؟

مـــــــايـــا : (فى برود دون أن ترفع نظرها عن الــصحيفة) لا، مطلقًا.

(يبدأ زوار الحمامات فى المرور من الناحيــة اليمنى قاصدين الناحية اليــسرى، وأغلبــهم مــن النساء، والجميع يمرون فرادى وجماعات.

الخدم يحملون المرطبات من الفندق ويذهبون بها إلى ما وراء الكوخ.

يعود مفتش الحمامــات مــن جولاتــه فى الحديقة، وهو ينحنى فى أدب لكل مــن يقابلــه فى طريقه من الزوار، ويتبادل بــضع كلمــات مــع بعضهم، المفتش يلبس قفازات ويحمل عصا).

المفتـــــش : (يتقدم من منضدة الأستاذ روبك ويخلع قبعتــه فى أدب) يشرفنى أن أتمنى لك صباحًا طيبًا يا ســيدة روبك، صباح الخير يا أستاذ روبك.

الأستاذ روبك : صباح الخير، صباح الخير يا حضرة المفتش.

المفتـــــــش : **(يحادث السيدة روبك)** هل لى أن أسأل إن كنت قد نمتِ نومًا طيبًا؟

مـــــــايـــا : نعم، وشكرا لك، نومًا طيبا. من جهتى أنا، فـإنى دائما أنام نومًا عميقًا.

المفتـــــــش : يسرنى أن أسمع ذلك، فالليلة الأولى فـى المكـان الغريب متعبة دائما. والأستاذ؟

الأستاذ روبك : إن طيب المنام ليس مما يمكن أن أتباهى به مطلقًا، وبخاصة فى الأيام الأخيرة.

المفتـــــــش : **(يتظاهر بالعطف)** أوه، إن هذا ممـا يؤسـف لـه، ولكنك بعد أن تمضى فى الحمامات عدة أسابيع... ستشفى من ذلك تمامًا.

الأستاذ روبك : **(ينظر إليه)** خبرنى يا حضرة المفتش، أمن عـادة أى مريض من مرضاكم أخذ حمام ليلى؟

المفتـــــــش : **(فى دهشة)** حمام ليلى؟ كلا، مطلقًا، لم أسمع بشىء كهذا.

الأستاذ روبك : ألم تسمع به؟

المفتـــــــش : كلا، لم أعرف من بلغ به المرض حدًّا يدعو إلـى مثل هذا العلاج.

الأستاذ روبك : هناك، على أى حال، من اعتاد التجول لـيلاً فـى الحديقة.

المفتـــــش : **(يبتسم ويهز رأسه)** لا يا أستاذ، إن القـوانين لا تسمح بذلك.

مـــــايـا : **(فى ضيق)** يا إلهى، يا روبك، لقد أخبرتك بذلك هذا الصباح، لا بد أن ما رأيته كان حلمًا.

الأستاذ روبك : **(بجفاء)** حقًا؟ أيجب أن يكون كذلك؟ شكرا لـك! **(يلتفت إلى المفتش)** الحقيقة أننى استيقظت ليلة أمس.، فقد جفانى النوم، وأردت أن أعرف أى نوع من الليل هنا.

المفتـــــش : **(بانتباه)** طبعًا. وبعد؟

الأستاذ روبك : ونظرت من النافذة، فلمحت خيالاً أبيض بين الأشجار.

مـــــايـا : **(تبتسم للمفتش)** ويذكر الأستاذ أن هذا الخيال كان يلبس ثوب استحمام...

الأستاذ روبك : أو شيئًا يشبه ذلك، إذ لم أستطع تمييز الثوب تمامًا، ولكنى واثق من أنه ثوب أبيض.

المفتـــــش : هذا أمر جدير بالاعتبار، أرجلاً كان أم امرأة؟

الأستاذ روبك : كان من الممكن أن أقسم على أنه امرأة، ولكن ظهر خلفها خيال آخر، وكان خيالا أسود تمامًا، كأنه الظل.

المفتش : **(يجفل)** خيالاً أسود؟ ربما كان حالك السواد؟

الأستاذ روبك : نعم، هذا ما كان يجب قوله.

المفتش : **(وقد كاد الغموض ينجلى)** وخلف الخيال الأبيض؟ يتبعه تمامًا؟

الأستاذ روبك : نعم، على بعد قليل.

المفتش : آها، أظننى إذن أستطيع حل اللغز يا أستاذ.

الأستاذ روبك : حسن، إذن خبِّرنا.

مايا : **(فى الحال)** ألم يكن الأستاذ نائمًا حقًا؟

المفتش : **(يهمس فجأة وهو يوجه انتباههما إلى الجزء الخلفى من الناحية اليمنى)** هش! من فضلك! انظرا هنالك، لا ترفعا صوتكما لحظة.

(تتقدم سيدة نحيفة من خلف الفندق متجهة نحو الظلة المقامة فى الجزء الأمامى من الناحية اليسرى، لابسة ثوبًا بين الأبيض والأصفر من الكشمير الخفيف، تتبعها راهبة فى ثوب أسود، على

صدرها سلسلة معلق فيها صليب فضى. وجه السيدة شاحب، ذو خطوط جامدة، وجفوها نصف مغلقة، حتى ليبدو أنها لا ترى شيئًا، وثوبها ضاف وذو طيات عمودية كثيرة، ويغطى رأسها ورقبتها وصدرها وكتفيها وذراعيها شال أبيض من الكريشة. تسير السيدة فى خطوات جامدة قصيرة دون أن تحرك جسدها، وقد طوت ذراعيها فوق صدرها. تتبعها الراهبة فى خطوات قصيرة أيضا، ويبدو عليها هيئة الخدم، ولا تصرف عينيها الرماديتين الحادتين عن السيدة أبدا. ينظر الخدم الحاملون مناشفهم على أيديهم وهم فى طريقهم إلى الفندق إلى السيدتين نظرات غريبة. ولكنهما لا تعيران أى شيء انتباها، وتدخلان الظلة دون أن تلتفتا إلى أى الشىء)

الأستاذ روبك : (ينهض فى بطء وعلى غير إرادته، ويظل محملقا فى باب الظلة المغلق) من تكون هذه السيدة؟

المفتش : امرأة غريبة استأجرت الظلة الصغيرة التى هناك.

الأستاذ روبك : أجنبية؟

المفتـــــش : ربما، وقد جاءتا على كل حال من الخارج، منــذ أسبوع، وهى المرة الأولى التى تزوران فيها هــذا المكان.

الأستاذ روبك : **(ينظر إليه ويقول فى جزم)** إنها هى التى رأيتها فى الحديقة مساء أمس.

المفتـــــش : لا شك فى ذلك، وهو ما جال بفكرى منذ اللحظــة الأولى.

الأستاذ روبك : ما اسم هذه السيدة يا حضرة المفتش؟

المفتـــــش : ما كتبته فى الفندق هــو أنهــا «مــدام دى ســانو وتابعتها»، وهذا كل ما نعرفه عنها.

الأستاذ روبك : **(يفكر)** ساتو؟ ساتو؟

مــــايــا : **(تضحك فى سخرية)** أتعرف أحــدًا بهــذا الاسم يا روبك؟ آه؟

الأستاذ روبك : **(يهز رأسه)** كلا، لا أحد. ساتو؟ يبدو أنها روسية، أو على أى حــال ســلوفاكية. **(للمفتـــــش)** أى لغــة تتكلمها؟

المفتـــــش : لم أستطع معرفة اللغة التى تتحدثان بهــا ســويًّا، ولكنها تتكلم فى أوقات أخــرى بالنرويجيــة كمــا

يتكلمها أهلها.

الأستاذ روبك : **(يجفل ويقول فى عجب)** النرويجية؟ أواثق أنت من أنك لم تخطئ فى ذلك؟

المفتـــــش : كلا، إذ كيف أخطئ فى أمر كهذا؟

الأستاذ روبك : **(ينظر إليه بلهفة وسرور)** أسمعتها بنفسك؟

المفتـــــش : نعم، فقد حادثتها أنا نفسى، عدة مرات، لا أكثر من كلمات قليلة، فهى أبعد ما تكـــون عـــن الثرثـــرة، ولكن...

الأستاذ روبك : ولكنها تتكلم النرويجية؟

المفتـــــش : النرويجية الصحيحة، ولكن ربما كانت لهجتها أميل إلى لهجة أهل الشمال.

الأستاذ روبك : **(يحملق أمامه فى دهشة وهمس)** وهذا أيضًا!

مــــــايـــا : **(وكأنما آذاها وضايقها قليلاً)** ربمـــا كانـــت هـــذه السيدة إحدى نماذجك يا روبك؟ فتش فى ذاكرتك.

الأستاذ روبك : **(ينظر إليها بحدة)** نماذجى؟

مــــــايـــا : **(تبتسم فى تحرش)** أعنى أيام شبابك، فإنه يروى أن نماذجك كن كثيرات لا عدد لهن، بالطبع منذ أمـــد طويل.

الأستاذ روبك : **(بنفس اللهجة)** أوه، كلا أيتها الزوجة الصغيرة مايا، فلم يكن لى فى الحق من النماذج إلا واحدة، واحدة، وواحدة فقط لكل الشيء صنعته.

المفتش : **(الذى ابتعد قليلا وهو ينظر إلى الناحية اليسرى)** إذا سمحتما، أظننى سأنصرف، فإنى أرى شخصا – من لا أحب أن ألتقى بهم وبخاصة فى حضرة النساء – آتيا من هناك.

الأستاذ روبك : **(ينظر فى نفس الاتجاه)** هذا الرجل الرياضى هناك، من هو؟

المفتش : إنه يدعى مستر أولفهايم، من...

الأستاذ روبك : أوه، مستر أولفهايم؟

المفتش : قاتل الدببة كما يسمونه.

الأستاذ روبك : إنى أعرفه.

المفتش : ومن ذا الذى لا يعرفه؟

الأستاذ روبك : قليلون ولا ريب، أهو أحد مرضاك... أخيرًا؟

المفتش : كلا، ما أغرب أن يكون مريضًا. أليس كذلك؟ إنه يمر هنا مرة واحدة كل عام... فى طريقه إلى أرضه التى يصيد فيها... عن إذنكما الآن.

(يتحرك متجهًا نحو الفندق)

أولفهايم : (يسمع من الخارج) قف لحظة يا رجل! عليك اللعنة، ألا تقف؟ لماذا تتهرب منى دائمًا؟

المفتش : (يقف) إنى لا أتهرب أبدا يا مستر أولفهايم.

(يدخل أولفهايم من ناحية اليسار يتبعه خادم يجر كلبين من كلاب صيد فى سلسلة، وهو فى ثياب الصيد وحذاء الميدان العالى وقبعة فيها ريشة، وهو طويل نحيف متين العضلات ملبد الشعر واللحية عالى الصوت. لا يستطيع من يراه أن يقدر سنه ولكنه لم يعد صغير السن).

أولفهايم : **(ينقض على المفتش)** أهذه هى الطريقة التى تقابل بها الأغراب؟ تفر وذيلك بين رجليك كأنما الشيطان يتبعك؟

المفتش : **(فى هدوء دون أن يجيبه)** هل وصل مستر أولفهايم إلى الباخرة؟

أولفهايم : **(يهمهم)** لم أتشرف برؤية أى بواخر. **(يضع يديه فى وسطه)** ألا تعلم أن لى يختى الخاص؟ **(للخادم)** لارز، اعتن بزميليك جيدًّا، ولاحظ أن يظلا كاسرين دائمًا، قدم لهما عظامًا طازجة ليس عليها

من اللحم إلا القليل، أتسمع ذلك؟ تأكد من أن تكون العظام نيئة رائحتها قوية ومازال الدم يعلوها، واملأ معدتك أنت أيضًا بالشيء فى نفس الوقت. **(يضرب الهواء بقدمه فى اتجاه الخادم)** والآن، اذهب إلى الجحيم!

(يخرج الخادم مع الكلبين من ركن الفندق إلى الخلف)

المفتش : ألا يريد المستر أولفهايم أن يذهب إلى غرفة الطعام فى نفس الوقت؟

أولفهايم : بين أنصاف الموتى من الناس والذباب؟ كلا، وألف شكر لك يا حضرة المفتش.

المفتش : حسن، حسن، كما تريد.

أولفهايم : ولكن قل لمديرة المنزل أن تعد لى الطعام كالعادة، ولاحظ أن يكون الخبز كثيرًا، وكمية الخمر وفيرة! وتستطيع أن تبلغها أنها إذا لم تصنع ذلك فسأذهب أنا أو لا رز وكأننا الشياطين.

المفتش : **(يقاطعه)** إننا نعرف عاداتك القديمة **(يلتفت)** هل من أوامر للساقى يا أستاذ؟ هل من شيء تريد السيدة روبك أن أرسله إليها؟

الأستاذ روبك : لا، وشكرا لك، لا شيء لى.

مـــــايـــا : ولا شيء لى أنا أيضا.

(يدخل المفتش إلى الفندق)

أولــــفهايم : **(يحملق فيهما لحظة ثم يرفع قبعته)** عجبًا، ملعون أنا إن لم يكن هنا كلب ريفى ضل طريقه بين المجتمعات الراقية.

الأستاذ روبك : **(ينظر إليه)** ماذا تقصد بذلك يا مستر أولفهايم؟

أولــــفهايم : **(أكثر هدوءا وأدبا)** أظن أن من أشرف بخطابه ليس شخصًا أقل من المثال العظيم روبك.

الأستاذ روبك : **(يحنى رأسه مرارا)** أذكر أننى قابلتك مرة أو مرتين، فى آخر خريف عدت فيه إلى الوطن.

أولــــفهايم : مع أن ذلك كان منذ أعوام عديدة، ولم تكن إذ ذاك قد بلغت قمة الشهرة التى أسمع أنك بلغتها الآن، وكان يمكن فى هذا الوقت أن يقترب منك أى إنسان حتى لو كان صائد دببة قذر.

الأستاذ روبك : **(يبتسم)** ما زلت حتى الآن لا أعض أحدا.

مـــــايـــا : **(تنظر إلى أولفهايم فى سرور)** أأنت حقا وصدقا صائد دببة؟

أولفهايم : **(يجلس إلى المائدة المجاورة من ناحية الفندق)** إني صائد إذا سنحت الفرصة يا سيدتي، ولكني أنتهز فرصة أي صيد يعترض طريقي، فأصيد النسور والذئاب والنساء والأيائل والوعول، على شرط أن تكون طازجة غضة تتدفق الدماء في عروقها. **(يشرب من زجاجة في جيبه).**

مايا : **(تثبت أنظارها عليه)** ولكن، أتفضل صيد الدببة؟

أولفهايم : نعم أفضلها، لأني إذ ذاك أستعمل سكيني في التضييق والقبض عليها. **(يبتسم ابتسامة خفيفة)** إننا يا سيدتي نعمل في مواد صعبة نحن الاثنين، زوجك وأنا، فهو يجاهد ولا ريب مع كل الرخام، وأنا أجاهد مع عضلات الدببة المشدودة المرتجفة، وكلانا يكسب المعركة في النهاية... فنخضع موادنا ونحكمها، ولن يرتاح أحدنا حتى ينتصر على مواده التي تقاوم إذ ذاك أشد مقاومة.

الأستاذ روبك : **(في تفكير عميق)** إن فيما تقوله كثيرًا من الصدق.

أولفهايم : نعم، فإني أظن أن في الحجر أيضًا شيئًا يجاهد الإنسان من أجله، فهو ميت وقد صمم على ألا

يطرقه أحد ليخرج منه شيئًا حيًّا، تمامًـــا، كالـــدب عندما تأتين إلى وجاره وتنخسينه.

مـــــــايـــا : أأنت صاعد إلى الغابات الآن للقنص؟

أولـــــــفهايم : سأذهب فى الحال إلى الجبال العالية. أظنـــك لـــم تتسلقى الجبال العالية أبدا يا سيدتى؟

مـــــــايـــا : كلا، لم أتسلقها أبدًا.

أولـــــــفهايم : هذا الشىء مخجل إذن، يجب أن تصعدى الجبـــل هذا الصيف، هذا أمر لا يقبـــل الجـــدل. ســـآخذك معى، أنت والأستاذ، وهذا مما يسرنى.

مـــــــايـــا : شكرًا، ولكن روبك يفكر فى القيام برحلة بحريـــة هذا الصيف.

الأستاذ روبك : حول الشاطئ، خلال قنوات الجزائر.

أولـــــــفهايم : أوه! ماذا بحق الشيطان تفعل فى هذه البالوعـــات القذرة الملعونة؟ تتقلب فى ماء القنـــوات الأجـــاج هذا؟ بل أفضل أن أسميه ماء غسيل الأوانى.

مـــــــايـــا : ها، أتسمع يا روبك؟

أولـــــــفهايم : كلا، خير لك أن تصعد معى إلى الجبال، بعيـــدًا، بعيدًا كل البعد عن حبائل الناس وأقذارهم، إنـــك لا

تستطيع أن تدرك أثر ذلك فى نفسى، ولكن مثل هذه السيدة الصغيرة. **(يتوقف).**

(تخرج الراهبة من الكوخ وتذهب إلى الفندق فيتبعها أولفهايم بنظراته)

لكن، انظر إليها، انظر! غراب الليل التى هناك! من الذى سيدفن يا ترى؟

الأستاذ روبك : لم أسمع أن أحدًا...

أولفهايم : إذن فهناك شخص على وشك أن تفيض روحه، فى أحد الأركان هنا أو هناك. ولا شك أنه مما يسر أولئك المرضى المشلولين أن يروا بأنفسهم أيان يدفنون... وكلما كان ذلك أسرع. كان أفضل.

مايا : ألم تمرض قط يا مستر أولفهايم؟

أولفهايم : أبدًا، إذ لو كنت قد مرضت يومًا لما كنت هنا الآن. ولكن صفوة أصدقائى المقربين كانوا مرضى، يا للمساكين!

مايا : وماذا كنت تفعل لصفوة أصدقائك المقربين؟

أولفهايم : أطلق عليهم الرصاص بالطبع.

الأستاذ روبك : (ينظر إليه) تطلق عليهم الرصاص؟

مـايـا : (تدفع كرسيها إلى الخلف) تقتلهم بإطلاق الرصاص عليهم؟

أولفهايم : (يحنى رأسه موافقة) إنى لا أخطئ الهدف مطلقاً يا سيدتى.

مـايـا : ولكن كيف يمكنك إطلاق الرصاص على الناس؟

أولفهايم : لم أتحدث عن الناس.

مـايـا : قلت أصدقاءك المقربين؟

أولفهايم : ومن يكون هؤلاء إذن سوى كلابى؟

مـايـا : أكلابك هم صفوة أصدقائك المقربين؟

أولفهايم : ليس لى من الأصدقاء من هو أقرب إلىَّ منهم، فهم رفقائى المخلصون الأمناء الذين يمكن الاعتماد عليهم، فإذا ما انتاب أحدهم المرض وأصبح فى حالة من البؤس فليس إلا إطلاق الرصاص. وهكذا يرسل صاحبى فى طرد إلى العالم الآخر.

(تأتى الراهبة من ناحية الفندق حاملة صينية عليها خبز ولبن فتضعها على المنضدة القريبة من الظلة ثم تدخل)

أولفهايم : **(يضحك فى احتقار)** هذه النفاية هناك، أهى تلك التى يسمونها طعامًا للآدميين؟ لبن وماء وخبز طرى لزج؟ آه، يجب أن تريا أصدقائى وهم يأكلون، أتودان رؤيتهم؟

مايا : **(تبتسم للأستاذ ثم تقف)** نعم، من كل قلبى.

أولفهايم : **(ينهض)** إن حديثك يا سيدتى حديث امرأة لها روح! تعالى معى إذن! إنهم يبتلعون العظام الكبيرة الضخمة دفعة واحدة، يبتلعونها كلها ثم ينزلونها مرة أخرى. أوه، إن رؤيتهم تسلية جميلة، تعالى معى وسأريك ذلك، وفى نفس الوقت نتحدث عن الرحلة إلى الجبل.

(يخرج حول ركن الفندق تتبعه مايا، فى نفس الوقت تخرج السيدة الغريبة من الظلة وتجلس إلى المنضدة. ترفع السيدة كوب اللبن وتكون على وشك ضربه ولكنها تتوقف وتنظر إلى روبك بعينين غير معبرتين)

الأستاذ روبك : **(يظل جالسًا مكانه وهو ينظر إليها نظرات ثابتة متلهفة، وأخيرًا ينهض ويسير نحوها بضع خطوات،**

ثم يقف ويقول فى صوت خافت) إنى أعرفك تمام المعرفة يا أيرين.

السيدة : (فى صوت غير معبر وهى تضع الكوب) هل استطعت أن تحذر من أنا يا أرنولد؟

الأستاذ روبك : (لا يجيبها) وأرى أنكِ تعرفت علىَّ أنا أيضًا.

السيدة : الأمر يختلف من جهتك.

الأستاذ روبك : من جهتى؟ كيف؟

السيدة : أوه، إنك مازلت حيًّا.

الأستاذ روبك : (لا يفهم شيئًا) حيًّا؟

السيدة : (بعد صمت قصير) من كانت الأخرى؟ تلك المرأة التى كانت معك؟ هناك على المائدة؟

الأستاذ روبك : (فى قليل من التردد) تلك، إنها كانت، كانت زوجتى.

السيدة : (تحنى رأسها فى بطء) حقًا؟ حسن يا أرنولد، هى إذن إنسان لا علاقة له بى.

الأستاذ روبك : (يحنى رأسه) لا، بالطبع لا.

السيدة : إنسان عشت معه بعد حياتى الطويلة التى قضيتها

معك.

الأستاذ روبك : **(يتفرس فيها فجأة)** بعد؟ ماذا تعنين بذلك يا أيرين؟

أيــــــرين : **(دون أن توافق)** والطفل؟ سمعت أنه نجح أيــضًا، لقد عاش طفلنا بعدى، ونال المجد والشرف.

الأستاذ روبك : **(يبتسم كأنما يبتسم لذكرى قديمة جدًّا)** طفلنا؟ نعم كنا نسميه كذلك، إذ ذاك.

أيــــــرين : فى أثناء حياتى المذكورة، نعم.

الأستاذ روبك : **(يحاول أن يتكلم بلهجة أكثر مرحًا)** نعم يا أيرين، أؤكد لك أن «طفلنا» قد اشتهر فى كل أركان هــذه الدنيا الواسعة، أظنك قرأت عن ذلك.

أيــــــرين : **(تحنى رأسها)** وقد جلب الشهرة لأبيه أيضًا، كــان هذا حلمك.

الأستاذ روبك : **(بأسلوب أكثر نعومة وانفعالاً)** إنى مدين لك أنــت بكل الشىء، بكل الــشىء يــا أيــرين... وإنــى لأشكرك.

أيــــــرين : **(تتوه فى أفكارها لحظة)** لو كنت فعلت إذ ذاك مــا كان لى الحق فى فعله يا أرنولد.

الأستاذ روبك : حسن؟ ماذا إذن؟

أيـــــــرين : لكنت قتلت ذلك الطفل.

الأستاذ روبك : تقولين قتلته؟

أيـــــــرين : **(همس)** لكنت قتلته، قبل أن أتركك وأذهب بعيـــدًا، كنت سحقته، سحقته حتى يصير ترابًا.

الأستاذ روبك : **(يهز رأسه فى تأنيب)** ما كنت تستطيعين ذلك أبدًا يا أيرين، ما كان قلبك يسمح بذلك.

أيـــــــرين : بلى، فلم يكن لى فى تلك الأيام ذلك القلب.

الأستاذ روبك : ولكن منذ ذلك الوقت؟ بعد ذلك؟

أيـــــــرين : منذ ذلك الوقت قتلته مرات لا عداد لها، قتلته فـــى وضح النهار وتحت ستار الظلام، قتلته بـــبغض... وانتقام... وألم.

الأستاذ روبك : **(يقترب من المنضدة ويسأل فى صوت ناعم)** أيرين، أخيرًا... وبعد كل هذه الأعوام، خبرينى عن سبب فرارك منى، لقد اختفيت فجأة، ولم تتركى وراءك أثرًا ما.

أيـــــــرين : **(تهز رأسها فى بطء)** أوه، يا أرنولد. ماذا يجبرنـــى على إخبارك الآن؟ التحدث إليك من عالم القبور؟

الأستاذ روبك : أأحببت أحدًا غيرى؟

أيـــــــرين : كان هناك واحد، لم يعد له أى نفع فى حبى، ولــم تعد له أى فائدة فى حياتى.

الأستاذ روبك : (يغير الموضوع) هم، لنترك الماضى فــلا تتحــدث عنه.

أيـــــــرين : لا، لا، لا تدعنا بأى حال نتحدث عما تحت القبور، عما هو تحت القبور الآن بالنسبة لى.

الأستاذ روبك : أين كنت يا أيرين؟ لم تثمــر كــل أبحــاثى فــى الوصول إليك، كان يخيل إلى أنك اختفيت تمامًا.

أيـــــــرين : ذهبت إلى الظلمات، عندما وقف الطفــل متلألئــا تحت الأنوار.

الأستاذ روبك : هل طفت كثيرًا حول العالم؟

أيـــــــرين : نعم، زرت بلدانًا كثيرة.

الأستاذ روبك : (ينظر إليها فى إشفاق) وماذا كنــت تــصنعين يــا أيرين؟

أيـــــــرين : (تحول أنظارها نحوه) انتظر لحظة، دعنى أتذكر... نعم، لقد تذكرت، كنت أقــف علــى منـصة فــى الاستعراضات الراقصة، وكنت أقف فى اللوحــات الحية كتمثال عار، وكنت أجرف من أكوام الذهب،

وهذا ما لم أستطع فعله معك، لأنه لم يكن عندك منه شيء. ثم أخذت أغرى كل أنواع الرجال، وهذا أيضًا لم أستطع فعله معك، لأنك استطعت أن تتمالك نفسك بقوة إرادتك.

الأستاذ روبك : **(يسرع ليغير الموضوع)** ثم تزوجت أيضًا؟

أيـــــرين : نعم، تزوجت أحدهم.

الأستاذ روبك : ومن هو زوجك؟

أيـــــرين : كان رجلاً من أمريكا الجنوبية، سياسى معروف. **(تنظر أمامها وعلى فمها ابتسامة جامدة)** كنت أسوسه لأخرجه عن عقله، لأصيبه بالجنون. الجنون الذى لا يشفى منه، الجنون الذى لا يتغير. أؤكد لك أنها كانت رياضة عظيمة، وعندما كنت أقوم بها، كنت طوال الوقت أضحك بينى وبين نفسى... إن كانت لى نفس.

الأستاذ روبك : وأين هو الآن؟

أيـــــرين : أوه، فى مقبرة إحدى الكنائس فى مكان ما، وقد وضِع فوقه تمثال جميل متقن، واستقرت فى جمجمته رصاصة.

الأستاذ روبك : قتل نفسه؟

أيـــــــرين : نعم، بلغ من الطيبة حدًّا جعله يحمل هــذا العــبء عنى.

الأستاذ روبك : ألم تحزنى لفقدانه يا أيرين؟

أيـــــــرين : (غير فاهمة) أحزن؟ وأى فقدان؟

الأستاذ روبك : فقدان الهر ساتو بالطبع.

أيـــــــرين : لم يكن اسمه ساتو.

الأستاذ روبك : ألم يكن هذا اسمه؟

أيـــــــرين : من يدعى ساتو هو زوجى الثانى، وهو روسى...

الأستاذ روبك : وأين هو؟

أيـــــــرين : بعيد جدا، فى جبال الأورال، بــين كــل مناجمــه الذهبية.

الأستاذ روبك : إذن فهو يعيش هناك؟

أيـــــــرين : (تهز كتفيها) يعيش! الحق أننى قتلتُه.

الأستاذ روبك : (يجفل) قتلته.؟

أيـــــــرين : قتلتُه بخنجر حاد بديع أحتفظ به دائمًا فى فراشى.

الأستاذ روبك : (فى عنف) أنا لا أصدقك يا أيرين!

أيـــــــرين : (بابتسامة لطيفة) يجب أن تصدق ذلك يا أرنولد.

الأستاذ روبك : (ينظر إليها مشفقا) ألم تنجبى أولادًا قط؟

أيـــــرين : بلى، كثيرين.

الأستاذ روبك : وأين هم الآن؟

أيـــــرين : قتلتهم.

الأستاذ روبك : (بشدة) ها أنت تكذبين مرة أخرى!

أيـــــرين : لقد قتلتهم قلت لك... قتلتهم دون شفقة، فى اللحظة التى كانوا يرون فيها نور الحياة. أوه، منذ زمن طويل، طويل، الواحد تلو الآخر.

الأستاذ روبك : (بحزن وجد) إنك تخفين شيئًا وراء كل ما تقولين.

أيـــــرين : وكيف لى التخلص من ذلك، وأنا أسمع كل كلمة مما قلته همسًا فى أذنى؟

الأستاذ روبك : أعتقد أننى الوحيد الذى يستطيع تقديس ما تعنيه.

أيـــــرين : بكل تأكيد يجب أن تكون هذا الشخص الوحيد.

الأستاذ روبك : (يضع يديه على المنضدة ويسلط عليها نظراته) خيط من خيوط طبيعتك الإنسانية قد انقطع.

أيـــــرين : (بلطف) ألا يحدث ذلك دائمًا عندما تموت امرأة شابة حارة الدماء؟

الأستاذ روبك : أوه، يا أيرين، ألا تكفين عن هذه الأفكار الشاذة.! إنك تعيشين! تعيشين... تعيشين!

أيـــــــرين : **(تنهض من مقعدها ببطء وتقول بصوت مرتجـــف)** لقد متُّ منذ سنين طويلة، جاءوا إليّ وقيـــدوني... قيدوا يدى خلف ظهرى، وأنزلـــونى إلـــى القبـــر، ووضعوا فوق فوهته قضبانا من الحديد، وبطنـــوا حوائطه... حتى لا يسمع أحد ممن فـــوق القبـــر صرخات من فى القبر. ولكنى الآن بدأت أســـتيقظ بصورة ما من بين الموتى. **(تجلس ثانية).**

الأستاذ روبك : **(بعد فترة صمت)** أتظنين أننى سبب ذلك كله؟

أيـــــــرين : نعم.

الأستاذ روبك : سبب... سبب موتك كما تسميه؟

أيـــــــرين : السبب فى أننى عرفت أن من الواجب أن أموت. **(تغير نبرات صوتها إلى لهجة عدم الاكتـــراث)** لماذا لا تجلس يا أرنولد؟

الأستاذ روبك : وهل أستطيع؟

أيـــــــرين : نعم... إنه ليس ثمة ما يدعوك إلى الخوف من أن أتجمد، وأنا لا أظن أننى قد تحولت تحولاً تامًا إلى كتلة من الجليد.

الأستاذ روبك : **(يحرك كرسيًا ويجلس إلى مائدتها)** ها أنذا يا أيرين، ها نحن نجلس كما اعتدنا فى أيامنا الخالية.

أيـــــــرين : متباعدين قليلا، كما اعتدنا أيضا فى أيامنا الخالية.

الأستاذ روبك : **(يقترب منها)** كان يجب علينـــا إذ ذاك أن نكـــون كذلك.

أيـــــــرين : أكان هذا واجبا؟

الأستاذ روبك : **(جازما)** كان يجب أن يكون بيننا فاصل.

أيـــــــرين : أكان ذلك أمرًا محتومًا ولابد منه يا أرنولد؟

الأستاذ روبك : **(مستمرا)** أتذكرين ما أجبتنى به عندما سألتك عما إذا كنت تستطيعين أن تنطلقى معـــى إلـــى الـــدنيا الواسعة؟

أيـــــــرين : لقد رفعت حينئذ أصابع ثلاثة وأقسمت أن أتبعـــك إلى نهاية الدنيا حتى الموت، وأن أخدمك فى كـــل شىء...

الأستاذ روبك : كنموذج لفنى.

أيـــــــرين : وفى عرى تام كامل.

الأستاذ روبك : **(بانفعال)** وقد خدمتنى يا أيرين، بكل شجاعة، وكل سرور وحرية.

أيـــــــرين : نعم، بكل دماء شبابى النابضة خدمتك!

الأستاذ روبك : **(يحنى رأسه وفى عينيه نظرة شكر)** لك الحـــق كـــل الحق فى قولك هذا.

أيـــــــرين : لقد ارتميت على قدميك وخدمتك يا أرنولد!

(ترفع يديها المتشابكتين نحوه) ولكنك أنت، أنت... أنت!

الأستاذ روبك : **(مدافعـــاً عن نفسه)** إننى لم أخطئ فى حقك أبدًا! أبدا يا أيرين!

أيـــــــرين : لا، بل أخطأت! أخطأت فى حق طبيعتى الداخليـــة فى صميم طبيعتى الفطرية الغريزية.

الأستاذ روبك : **(يتراجع)** أنا!

أيـــــــرين : نعم أنت! فى إخـــلاص عرضـــت جـــسدى كلـــه لنظراتك. **(بأكثر نعومة)** ولكنك لم تلمـــسنى مـــرة واحدة.

الأستاذ روبك : ألم تفهمى يا أيرين أننى كثيرًا ما جاهـــدت نفـــسى لأنجو من سحر جمالك؟

أيـــــــرين : **(تستمر فى حديثها وكأنها لم تقاطع)** ومع ذلك، لـــو أنك لمستنى، أظننى كنت قتلتك فى الحـــال، فأنـــا

دائما أحمل معى إبرة حادة، أخفيها فـــى شـــعرى. **(تمسح جبهتها فى تفكير)** ولكـــنك مع ذلـــك، مـــع ذلك، كنت تستطيع...

الأستاذ روبك : **(ينظر إليها فى تأثر)** لقد كنت فنانًا يا أيرين.

أيــــــــرين : **(بغموض)** هذا كل ما فى الأمر، كل ما فى الأمر.

الأستاذ روبك : كنت فنانًا قبل كل شىء، وكانت تلح علـــىَّ فكـــرة الانتهاء من عمل حياتى العظيم. **(ينسى نفـــسه فى التفكير)** كان يجب أن أسميه «يوم البعث»، ممثلاً فى هيئة امرأة شابة تستيقظ من رقدة الموت...

أيــــــــرين : طفلنا؟ نعم...

الأستاذ روبك : **(مستمرًا)** كان من الواجب أن يكون استيقاظ أنبـــل وأطهر وأمثل امرأة شهدها العالم، ثـــم وجـــدتك، وكنت كما طلبت تمامًا، وقد قبلـــت عـــن طيبـــة خاطر، فنبذت البيت والأهل فى سرور، وذهبـــت معى.

أيــــــــرين : كان الذهاب معك يعنى فى مخيلتى بعث طفولتى.

الأستاذ روبك : ولهذا السبب وحده وجدت فيك كل ما أطلبه، فيـــك أنت لا فى أخرى سواك، وكنت أنظر إليك كشىء

مقدس يجب ألا يمس إلا فى أفكار العبادة. كنت حدثًا إذ ذاك يا أيرين، وتملكتنى خرافة أننى إن لمستك أو اشتهيتك تدنست روحى، فلا أستطيع إكمال العمل الذى أكدُّ فيه، ومازلت أرى فى ذلك بعض الصدق.

أيـــــرين : **(تحنى رأسها وفى صوتها قليل من الاحتقار)** العمل الفنى أولاً، ثم يأتى الإنسان.

الأستاذ روبك : احكمى علىَّ كما تريدين، ولكنى كنت فى ذلك الحين تحت سيطرة عملى العظيم الكاملة، وكنت مبتهجًا سعيدًا لذلك.

أيـــــرين : وقد أنهيت عملك العظيم يا أرنولد.

الأستاذ روبك : الشكر والفضل فى انتهائى من عملى العظيم لك، كنت أريد أن أجسم المرأة الطاهرة، كما رأيتها تستيقظ يوم البعث، لا يثير عجبها أى شىء جديد أو مجهول أو غير مقدس، ولكن يملؤها الفرح السماوى إذ وجدت نفسها لم تتغير. هى نفسها المرأة الأرضية، فى عالم أرفع وأسعد وأكثر حرية، بعد نوم الموت الطويل الخالى من الأحلام.

(بنعومة أكثر) هكذا تصورتها، وقد رأيتها في صورتك يا أيرين.

أيرين : (تمد يديها على المنضدة وتضطجع بجسمها على كرسيها) وبعد ذلك انتهيت مني.

الأستاذ روبك : (مؤنبًا) أيرين!

أيرين : لم يعد لك حاجة فيَّ...

الأستاذ روبك : كيف يمكن أن تقولي هذا!؟

أيرين : وبدأت تنظر حواليك تبحث عن نماذج أخرى.

الأستاذ روبك : لم أجد أنثى بعدك، لم أجد من تشغل مكانك يا أيرين.

أيرين : أليس لك نماذج أخرى يا أرنولد؟

الأستاذ روبك : لم تكوني نموذجًا لي، كنت ينبوع فني.

أيرين : (تصمت لحظة) أي قصائد نظمتها بعد ذلك، أقصد بالرخام، منذ تركتك؟

الأستاذ روبك : لم أنظم بعد ذلك قصائد... ولكني أبعثر أيام حياتي في عمل تماثيل شخصية.

أيرين : وتلك المرأة، التي تعيش معها الآن؟

الأستاذ روبك : **(يقاطعها فى عنف)** لا تتحدثى الآن عنها! فإن ذلك يجعلنى أتألم من العار.

أيــــــــرين : إلى أين تفكر فى الذهاب معها؟

الأستاذ روبك : **(فى استرخاء وتعب)** أوه، أظـــن حـــول الـــشاطئ الشمالى فى رحلة بحرية متعبة.

أيــــــــرين : **(تنظر إليه وتبتسم ابتسامة خفيفة وهمس)** بل عليك أن تصعد إلى قمم الجبال، إلى أعلى مكان تستطيع الوصول إليه، إلى أعلى، إلى أعلى... دائمًا إلـــى أعلى يا أرنولد.

الأستاذ روبك : **(فى لهفة وترقب)** أتصعدين أنت أيضًا؟

أيــــــــرين : ألديك من الشجاعة ما يجعلك تلقانى مرة أخرى؟

الأستاذ روبك : **(يناضل نفسه فى غير ثقة)** لو استطعنا، أوه، فقط لو استطعنا!

أيــــــــرين : لم لا نستطيع فعل ما نريد؟ **(تنظر إليــه وهمــس متوسلة وقد عقدت يديها على صدرها)** هلم، هلم يا أرنولد! أوه، اصعد إلىَّ!

(تدخل مايا من خلف الفندق وقد امتلأ قلبها بالفرح فتذهب بسرعة إلى المنضدة التى كانا يجلسان إليها)

مـــــــايــا : (مازالت عند ركن الفندق تتحدث دون النظــر فى المكان) أوه، قل ما تــشاء يــا روبــك، ولكــن... (تصمت عندما ترى أيــرين) أوه، معــذرة، أراك أنشأت صداقة جديدة.

الأستاذ روبك : (بخشونة) بل جددت صداقة قديمة. (ينهض) مــاذا كنت تريدين منى؟

مـــــــايــا : لا شىء، إلا أننى أردت إخبارك بأن فى وسعك أن تفعل ما تريد، ولكنى أنا لن أذهب معك فوق ذلــك اليخت الكريه.

الأستاذ روبك : ولم لا؟

مـــــــايــا : لأنى أريد تسلق الجبل والتجول فى الغابات... هذا ما أريده (تتملق) أوه، يجب أن تدعنى أذهــب يــا روبك، وسأطيعك طاعة تامة، طاعة تامــة بعــد ذلك!

الأستاذ روبك : من ذا الذى أدخل فى رأسك هذه الأفكار؟

مـــــــايــا : إنه هو، قاتل الدببة المخيف. أوه، إنك لا تتــصور كل ما حكاه من الروائع عن الجبال والحيــاة فــى هذه المرتفعات! لله كم هى كئيبة مخيفة باعثة على

التقزز هذه القصص التى اخترعها، إذ إنى أعتقد أنه كاذب فيما رواه، ولكنها مع ذلك حكايات رائعة مغرية، أوه، ألا تدعنى أذهب معه لا لشىء إلا للتحقق من صدق كلامه؟ إنك تفهم موقفى، فهل أذهب يا روبك؟

الأستاذ روبك : نعم، لا اعتراض لى على ذلك، فلتذهبى إذن إلى الجبال، إلى أبعد ما تريدين، ولتتأخرى إلى أى وقت تشائين، فلربما ذهبت أنا أيضًا إلى نفس المكان.

مايا : (بسرعة) لا، لا، لا، لا حاجة بك إلى ذلك! ليس من أجلى!

الأستاذ روبك : بل إنى أريد الذهاب إلى الجبال، وهذا ما صممت عليه.

مايا : أوه، شكرًا، شكرًا! هل لى أن أخبر قاتل الدببة الآن!

الأستاذ روبك : قولى لقاتل الدببة ما تريدين.

مايا : أوه، شكرًا، شكرًا، شكرًا! **(على وشك الإمساك بيده ولكنه يمنعها)** أوه، ما أطيبك وأعزك اليوم يا روبك!

(تجرى إلى الفندق وتدخله. فى نفس الوقت يفتح باب الظلة بخفة دون أن يصدر عنه أى صوت، وتقف الراهبة بالباب ملاحظة أيرين بعناية دون أن يراها أحد)

الأستاذ روبك : **(يلتفت إلى أيرين ويقول فى عزم)** هل نلتقى فى الجبل إذن؟

أيـــــــرين : **(تنهض فى بطء)** نعم، لا شك أننا سنلتقى، فقد بحثت عنك طويلاً.

الأستاذ روبك : متى بدأت تبحثين عنى يا أيرين؟

أيـــــــرين : **(فى صوت مازح حزين)** منذ اللحظة التى تذكرت فيها أننى أعطيتك يا أرنولد شيئًا لازمًا لى كل اللزوم، شيئًا لا يجمل بالإنسان أن يفترق عنه.

الأستاذ روبك : **(يحنى رأسه)** نعم، إنه الحقيقة المرة، فقد أعطيتنى ثلاث أو أربع سنوات من شبابك.

أيـــــــرين : بل أعطيتك أكثر، أكثر من ذلك، فقد كنت مسرفة إذ ذاك.

الأستاذ روبك : نعم، كنت مسرفة يا أيرين، فقد قدمت لى كل جمالك العارى.

أيـــــرين : لتتفرس فيه...

الأستاذ روبك : وأمجده...

أيـــــرين : نعم، لمجدك الخاص... ومجد الطفل.

الأستاذ روبك : ومجدك أنت أيضا يا أيرين.

أيـــــرين : ولكنك نسيت أنفس هداياى.

الأستاذ روبك : أنفس هداياك؟ وأى هدية هذه؟

أيـــــرين : أعطيتك روحى الفنية الحية، فجعلنى هذا الإهـــداء فارغة، لا روح فىَّ. **(تحدد نحوه نظرها)** وهذا مـــا سبب موتى يا أرنولد.

(تفتح الراهبة الباب على مصراعيه وتتـــرك مكانا لتدخل منه أيرين، فتدخل إلى الظلة)

الأستاذ روبك : **(يقف ناظرًا إليها، ثم يهمس)** أيرين!

«ســـــتار»

الفصل الثانى

المنظر:

بالقرب من مصحة جبلية، صقع خلوى يمتد فى صورة مرتفع عظيم خالٍ من الأشجار نحو بحيرة جبلية طويلة. وراء البحيرة سلسلة من القمم الجبلية، يملأ شقوقها الثلج الأبيض المائل إلى الزرقة، وفى الجزء الأمامى إلى اليسار جدول ذو خرير يصبُّ بعدد من المجارى الصغيرة من فوق جدار صخرى منحدر، ثم ينساب وئيدًا فوق المرتفع حتى يغيب فى الناحية اليمنى. وحول مجرى الجدول شجيرات ونباتات وأحجار، فى الجزء الأمامى من الناحية اليمنى أكَمَة يعلوها مقعد من الصخر.

الوقت أصيل يوم من أيام الصيف.

على مسافة من الجانب الآخر للجدول جماعة من الأطفال يغنُّون ويرقصون ويلعبون، وقد لبس بعضهم ملابس الفلاحين، والبعض الآخر ملابس أهل المدن، تسمع ضحكاتهم السعيدة خلال الحوادث القادمة، وإن تكن خافتة بعض الشىء لبعد المسافة.

على المقعد يجلس الأستاذ روبك وهو ينظر إلى الأطفال فى أثناء لعبهم، وقد وضع على كتفيه جاكتة يلبسها أهل المرتفعات الإسكتلنديون.

تتقدم مايا من خلف أحد الأدغال التى فى الناحية اليسرى، وتتفرَّس فى المكان واضعة يدها فوق عينيها اتقاءً لأشعة الشمس. تضع مايا على رأسها قبعة عريضة الحافة مما يلبسه السيُّاح. وتلبس بنطلونًا قصيرًا يتزل تحت ركبتيها حتى منتصف الساق، وحذاءً عاليًا ضخمًا، وتمسك فى يدها عصا طويلة للتسلق.

مايا : (ترى روبك أخيرًا فتصيح) هالو! (تتقدم فوق المرتفع وتقفز عبر الجدول بمساعدة العصا ثم تتسلق الأكمة وهى تلهث) أوه، كم فتَّشت هذه الأماكن بحثًا عنك يا روبك.

الأستاذ روبك : (يحنى رأسه دون اهتمام ويسأل) هل جئتِ توًّا من الفندق؟

مايا : نعم، هذا آخر مكان بحثتُ عنك فيه، هذا المكان الذى يشبه مصيدة الذباب.

الأستاذ روبك : (ينظر إليها لحظة) لاحظت أنك لم تكونى على مائدة الطعام.

مايا : كلا، فقد تناولنا طعامنا فى الهواء الطلق، نحن الاثنين.

الأستاذ روبك : «نحن الاثنين» أى اثنين؟

مايا : عجبًا، أنا وقاتل الدببة المخيف بالطبع.

الأستاذ روبك : أوه، هو؟

مايا : نعم، وسيكون أول عمل لنا صباح الغد صعود الجبل مرة أخرى.

الأستاذ روبك : فى أثر الدببة؟

مايا : نعم، سنصعد لنقتل دبًّا رماديًّا صغيرًا.

الأستاذ روبك : هل وجدتما آثار أى دبٍّ من تلك الدببة؟

مايا : (بتعاظم) لا أخالك تحسب أن الدببة توجد فى الجبال الجرداء، أتظن ذلك؟

الأستاذ روبك : وأين توجد إذن؟

مايا : بعيدًا، فى الأماكن المنخفضة، فى السفوح السفلى، وفى الغابات المتشابكة، فى أماكن لا يستطيع أحد من أهل المدن اختراقها..

الأستاذ روبك : وستهبطان كلاكما إليها غدًا؟

مـــــــايـــا : **(ترتمى على الأرض بين الحشائش)** نعم، هــذا مـــا رتبناه. ولكن ربما رحلنا الليلة، أعنى إذا ما لم يكن عندك مانع.

الأستاذ روبك : أنا؟ لم يعد من اختصاصى أن...

مـــــــايـــا : **(بسرعة)** بالطبع سيذهب لا رز معنا، يقود الكلاب.

الأستاذ روبك : ليس هناك ما يدفعنى إلى تتبع حركات مستر لارز وكلابه.

(يغيرِّ الموضوع) أليس الأفضل أن تجلـــسى جلـــسة معتدلة على المقعد؟

مـــــــايـــا : **(تكاد تنعس)** لا، وشكرًا لك، فإنى أرقد فى راحـــة تامة هنا بين الحشائش الناعمة.

الأستاذ روبك : أراك متعبة.

مـــــــايـــا : **(تتثاءب)** أظننى بدأت أشعر بالتعب.

الأستاذ روبك : إنك لا تلاحظين ذلك إلا أخيـــرًا، عنـــدما تـــزول الإثارة.

مـــــــايـــا : **(فى صوتٍ ناعس)** تمامًا، سأرقد وأغمض عينى.

(لحظة صمت قصيرة)

مــتـــــايـــا : **(فى ضيق مفاجئ)** أوه، يا روبــك، كيــف تحتمــل الجلوس هكذا لسماع صرخات هــؤلاء الأطفــال؟ والنظر إليهم وهم يقفزون!؟

الأستاذ روبك : إن فى حركاتهم، بين وقت وآخر، انسجامًا يــشبه الموسيقى، على الرغم من كل هــذه الــضوضاء، وإنه ليسرنى كثيرًا أن أجلس مترقبًا تلك اللحظات الفريدة... حينما يأتون.

مــــــايـــا : **(تضحك فى شىء من الاحتقار)** نعم، أنــت فنــان دائمًا، دائمًا.

الأستاذ روبك : ومن رأيى أن أظل فنانًا دائمًا.

مــــــايـــا : **(ترقد على جنبها بحيث تجعل إليه ظهرها)** ليس فيه من الفنان شىء.

الأستاذ روبك : **(بانتباه)** من هو هذا الذى ليس فنانًا؟

مــــــايـــا : **(بصوت ناعس مرة ثانية)** ولماذا؟ إنــه الــشخص الآخر طبعًا.

الأستاذ روبك : تعنين صائد الدببة؟

مــــــايـــا : نعم، ليس فيه أثارة من الفنان... أية أثارة ومهمــا صغرت.

الأستاذ روبك : (يبتسم) نعم، لا شك فى ذلك مطلقاً.

مـــــــايـــا : (بحماسة ودون أن تتحرك) وإنه لكئيب كذلك (تنزع قبضة من الحشيش وترميها بعيدا) كئيب جداء جدا! أف!

الأستاذ روبك : أهذا ما جعلك على استعداد للذهاب معــه... إلــى البرية!؟

مـــــــايـــا : (بجفاف) لست أدرى. (تلتفت إليه) وإنــك أيــضًا لكئيب يا روبك.

الأستاذ روبك : ألم تكتشفى ذلك إلا الآن؟

مـــــــايـــا : بل اكتشفته منذ زمن طويل.

الأستاذ روبك : (يهزُّ كتفيه) إن الإنسان لا يصغر أبدًا، أبدًا، أيتهــا العروس مايا.

مـــــــايـــا : ليس هذا النوع من الكآبة هو الذى أعنيه، ولكنــى لاحظت فى عينيك نوعًا من التعب، من المــلال، عندما تتكرم وتلقى علىَّ نظرة بين حين وآخر.

الأستاذ روبك : هل لاحظت ذلك؟

مـــــــايـــا : (تومئ برأسها) لقد ظهرت هذه النظرة فى عينيــك شيئًا فشيئًا، وكان يبدو أنك تدبر مكيدة ضدى.

الأستاذ روبك : حقًّا؟ **(فى عطف ولكن بجد)** تعالى واجلسى إلى جانبى يا مايا، ودعينا نتحدث قليلاً.

مـايـا : **(فى نصف قومة)** هل تسمح لى إذن بالجلوس على ركبتيك، كما اعتدتُ فى أيامنا الأولى؟

الأستاذ روبك : لا، لن تفعلى ذلك، فالناس قد يروننا من الفندق. **(يتحرك قليلاً)** ولكنك تستطيعين الجلوس هنا على المقعد، بجانبى.

مـايـا : لا، شكرًا، أُفضّل فى هذه الحالة أن أظل مستلقية مكانى، وفى وسعى أن أسمعك بوضوح من موضعى هذا. **(تنظر إليه فى تساؤل)** حسن، ماذا تريد أن تقول لى؟

الأستاذ روبك : **(يبدأ فى بطء)** ماذا تظنين السبب الحقيقى الذى حدا بى للقيام بهذه الرحلة؟

مـايـا : أ... أذكر أنك قلت بين أسباب أخرى إنها ستكون ذات نتيجة طيبة لى، ولكن... ولكن...

الأستاذ روبك : ولكن...؟

مـايـا : ولكنى الآن لا أصدق بأى حال أن هذا هو السبب...

الأستاذ روبك : ماذا تظنين إذن؟

مـــــــايـــا : أظن الآن أن السبب هو هذه المرأة الشاحبة.

الأستاذ روبك : السيدة فون ساتو؟!

مـــــــايـــا : نعم، تلك التى تتعقبنا دائما، فقد جاءت هنا أيضًا مساء أمس.

الأستاذ روبك : ولكن أى شىء يعنى!

مـــــــايـــا : أوه، أنا أعرف أنك عرفتها معرفة وثيقة... قبل أن تعرفنى بزمن طويل.

الأستاذ روبك : ونسيتها أيضًا.. قبل أن أعرفك بزمن طويل.

مـــــــايـــا : **(تجلس)** أمِنَ الممكن أن تنسى هكذا بسهولة يا روبك؟

الأستاذ روبك : **(بجفاف)** نعم، بكل سهولة. **(يضيف بصوت خشن)** عندما أريد النسيان.

مـــــــايـــا : حتى المرأة التى كانت نموذجًا لك؟

الأستاذ روبك : عندما لا أكون فى حاجة إليها...

مـــــــايـــا : تلك التى وقفت أمامك عارية؟

الأستاذ روبك : ليس فى ذلك شىء... أى شىء؛ عندنا نحن الفنانين **(يُغيِّر نغمة صوته)** والآن... هل لى أن

أجسر وأتساءل، كيف كان يمكن أن أعرف أنهـــا في هذا المكان؟

مـــــــايـــا : أوه، ربما رأيت اسمها فى إحدى قوائم الــزوار... فى صحيفة ما.

الأستاذ روبك : ولكنى لم أكن أعلم شيئًا عن الاسم الذى جاءت به، ولم أسمع قط بالهر ڤون ساتو.

مـــــــايـــا : **(تتظاهر بالتعب)** أوه، إذن فربما دعاك سبب آخـــر إلى القيام بهذه الرحلة.

الأستاذ روبك : **(فى جد)** نعم، يا مايا. كانت لسبب آخـــر، ســـبب مختلف تمامًا، وهذا ما يجب أن نجلـــوه إن آجـــلاً وإن عاجلاً.

مـــــــايـــا : **(فى نوبة من الضحك المكتوم)** يا إلهى، ما أعظم ما يبدو عليك من الرزانة والجلال!

الأستاذ روبك : **(ينظر إليها فى شك)** نعم، وربما كان قَـــدْرًا مـــن الرزانة أكثر مما ينبغى.

مـــــــايـــا : وكيف...؟

الأستاذ روبك : إن هذا أمر مفيد لنا، كلينا.

مـــــــايـــا : بدأت تجعل منّى فضولية ومحبة لاستطلاع أمـــور الغير يا روبك!

الأستاذ روبك : فضولية فقط؟ ألم تحسى ولو بقليل من القلق؟

مـــــايـــا : (**تهزُّ رأسها**) مطلقًا.

الأستاذ روبك : حسن، اسمعى إذن... قلتِ يوم أن كنا فى الحمامات إنه يبدو أننى أصبحت عصبيًّا فى الأيام الأخيرة...

مـــــايـــا : نعم، كنت عصبيًّا حقًّا.

الأستاذ روبك : وماذا تظنين سبب ذلك؟

مـــــايـــا : أنَّ لى بالإجابة؟ (**بسرعة**) لعلك تعبت من دوام صحبتى.

الأستاذ روبك : دوام صحبتك؟ لماذا لا تقولين صحبتك «الأبدية»؟

مـــــايـــا : فلتكن صحبتنا اليومية، فمنذ أربع أو خمس سنوات مميتة ونحن نعيش وحيدين، بمفردنا، دون أن نفترق ساعة واحدة. نحن الاثنين، ولا أحد معنا.

الأستاذ روبك : (**بسرور**) حسن... وبعد؟

مـــــايـــا : (**وكأنها مظلومة بعض الشىء**) إنك يا روبك لست رجل مجتمعات، إنك تريد أن تظل وحيدًا، لا تكشف نفسك لغير نفسك، ولا تعرض على أحد أفكارك، وأنا لا أستطيع بالطبع أن أتحدث معك

عن عملك حديثًا صحيحا، فإنى لا أعرف شيئا عن الفن وماهو أشبه بالفن. **(بحركة ضيق)** ولا أهتم بهذا الأمر إلا قليلاً!

الأستاذ روبك : حسن، وهذا ما دعانا فى أغلب الأحيان إلى الجلوس حول المدفئة والتحدث عن أعمالك أنت.

مايا : أوه، يا إلهى، ليس لى من الأعمال ما تتحدث عنه.

الأستاذ روبك : لا بأس، ربما كانت أعمالاً تافهة، ولكن الزمن على كل حال كان يمر علينا فى مثل هذه الأشياء يا مايا.

مايا : نعم، أنت على حق، الزمن يمر، إنه يفرُّ منك يا روبك... وأظن أن هذا هو السبب الحقيقى الذى جعلك غير مرتاح البال...

الأستاذ روبك : **(يومئ برأسه موافقًا فى حماس)** وقلقًا إلى هذا الحد! **(يتلوى فى جلسته)** لا، سيأتى سريعًا ذلك الوقت الذى لا أستطيع فيه احتمال تلك الحياة الفظيعة.

مايا : **(تنهض وتظل لحظة فى وقفتها ناظرة إليه)** إذا أردت أن تتخلص منِّى فما عليك إلا أن تقول ذلك.

الأستاذ روبك : لماذا تستعملين مثل هذه الألفاظ؟ أتخلص منك؟

مايا : نعم، إذا أردت أن تتخلص منِّى نهائيًّا فقلْ ذلك بصراحة أرجوك، وسأرحل فى الحال.

الأستاذ روبك : **(بابتسامة لا تكاد ترى)** أتقصدين التهديد بهذا القول يا مايا؟

مـــــــايـــا : لا تهديد فيما قلته.

الأستاذ روبك : **(يقف)** نعم، أظنك على حق فى ذلك. **(بعد فتـــرة صمت)** ليس فى الإمكان أن نستمر أنا وأنت فـــى حياة كهذه...

مـــــــايـــا : حسن... وبعد؟

الأستاذ روبك : لا «بعد» فى هذا الأمر. **(يضغط على الكلمـــات)** فليس معنى أننا لا نستطيع الحياة منفردين، أن يتبع ذلك الافتراق.

مـــــــايـــا : **(تبتسم فى احتقار)** أتعنى أن نتباعد قليلاً؟

الأستاذ روبك : **(يهزَّ رأسه)** حتى هذا ليس ضروريًّا.

مـــــــايـــا : حسن... قل إذن ما تريد فعله معى.

الأستاذ روبك : **(يتردد قليلاً)** إن ما أحسه الآن إحـــساسا عميقـــا.. مؤلمًا أشد الألم، هو أننى فى حاجة إلـــى شـــخص يقف إلى جانبى، شخص يشدُّ أزرى فـــى صـــدق وإخلاص.

مـــــــايـــا : **(تقاطعه فى اهتمام)** ألا أفعل أنا ذلك يا روبك؟

الأستاذ روبك : **(يشير بيده وكأنه يُبعِد شيئًا)** ليس بـــالمعنى الـــذى أريده، إن ما أريده هو مرافقة شخص آخر يمكنـــه أن يكملنى... أن يتمم الناقص فىَّ... أكون أنا وهو فى عملى شخصًا واحدًا.

مـــــــايـــا : **(فى بطء)** من الصعب حقًّا أن أكون لك ذلك.

الأستاذ روبك : أوه، لا، ليس ذلك فى طبيعتك أبدًا يا مايا.

مـــــــايـــا : **(فى غضب مفاجئ)** ويعلم الله أنى لا أريد أيضًا!

الأستاذ روبك : أعرف ذلك معرفة تامة... ولم يخطر لى عنـــدما تزوجتك أن تبذلى لى هذه المساعدة.

مـــــــايـــا : **(تنظر إليه متفحصة)** أرى فـــى وجهـــك أمـــارات التفكير فى شخص آخر.

الأستاذ روبك : حقًّا؟ لم ألاحظ من قبل أنك قارئة أفكـــار، ولكنـــك استطعت رؤية ذلك، ألا تستطيعين؟

مـــــــايـــا : نعم أستطيع، أوه، إنى أعرفك جيدًا، أعرفك جيـــدًا يا روبك.

الأستاذ روبك : ربما استطعت إذن معرفة من التى أفكر فيها؟

مـــــــايـــا : نعم، أستطيع ولا ريب.

الأستاذ روبك : حسن... أتسمحين بـــ...؟

مـــــــايــا : إنك تفكر فى هذه الــ... هذه النموذج التى عملت معها مرة... (**ترخى العنان لأفكارها فجأة**) أتعلـم أن نزلاء الفندق يظنونها مجنونة؟

الأستاذ روبك : حقًّا؟ أرجوك إذن أن تخبرينى عـن رأى نـزلاء الفندق فيكِ وفى قاتل الدببة.

مـــــــايــا : لا علاقة لذلك بموضوعنا. (**تستمر فى إرخاء العنان لأفكارها**) ولكنك كنت تفكـر فـى هـذه المـرأة الشاحبة...

الأستاذ روبك : (**بهدوء**) بالضبط، كنت أفكر فيها، فإنها عندما لـم أعد فى حاجة إليها... وعندما فرَّت منِّى أيـضًا.. اختفت دون أن تترك كلمة...

مـــــــايــا : أظنك قبلِتنى إذن على أنى نوع من البدل؟

الأستاذ روبك : (**يقل إحساسه**) إن أردتِ الصدق يا صغيرتى مايا، فإنه شيء من هذا القبيل؛ فقد عشت هناك وحيـدًا مستغرقًا فى التفكير قرابة عام أو عـام ونـصف، وفى هذا الوقت أتممت عملـى... وأضـفت إليـه اللمسة الأخيرة النهائية، وطـاف «يـوم البعـث» بالعالم كله ثم عاد إلىَّ جالبًا لى الشهرة... وكل ما

يمكن أن يتمناه القلب. **(تزداد حماسته)** ولكنى لم أعد أحب عملى، وقد سئمت ما يقوله الناس عن النبوغ، وضقت بإطرائهم لى، وكدت أندفع فى يأس لأخفى نفسى فى أعماق الغابات. **(ينظر إليها)** وأنت، يا قارئة الأفكار... أيمكنك إخبارى بما حدث إذ ذاك؟

مايا : **(بخفة)** نعم، حدث أنك أخذت فى نحت تماثيل نصفية للرجال والسيدات.

الأستاذ روبك : **(بخفة)** نعم، حدث أنى أخذت فى نحت تماثيل، وكنت أضع لهم خلف القناع وجوه حيوانات، كنت أضعها دون مقابل، وذلك فى أثناء المساومة كما تعرفين. **(يبتسم)** ولكنى ما كنت أفكر فى هذا بالضبط.

مايا : وفيم كنت تفكر إذن؟

الأستاذ روبك : **(فى جد مرة أخرى)** هذا ما حدث، أحسست أن كل ما يقال عن دعوى الفنان ورسالته وما أشبه ليس فى حقيقته إلا شيئًا فارغًا تافهًا لا معنى له.

مايا : وماذا وضعت مكان الرسالة إذن؟

الأستاذ روبك : الحياة يا مايا.

مـــــايـــا : الحياة؟

الأستاذ روبك : نعم، أليست الحياة تحت أشعة الشمس وبين الجمال خيرًا ألف مرة من أن يظل الإنسان طول حياته حتى الموت فى جحر مظلم رطب قذر، يصارع دائمًا كتل الصلصال وقطع الأحجار؟

مـــــايـــا : **(تتنهد بخفة)** نعم، هذا بالضبط ما كنت أفكر فيه دائما.

الأستاذ روبك : ثم أصبحت غنيًّا بالقدر الذى أستطيع معه أن أعيش فى رفاهية، وأن أتمتع فى كسل بأشعة الشمس المرتعشة، وأصبح فى مقدورى أن أشيد المنزل الخلوى على بحيرة تونتز والقصر الذى فى العاصمة... إلى آخر ذلك كله.

مـــــايـــا : **(باللهجة التى يتكلم بها)** وأخيرًا، وليس آخرًا، كان فى إمكانك أن تتقدم لخطبتى، وأعطيتنى الحق فى اقتسام كنوزك معك.

الأستاذ روبك : **(يمزح وكأنما يريد تغيير الحديث)** ألم أعدك بأن أصعد معك إلى قمة جبل عال وأريك كل ما فى العالم من عظمة وبهاء؟

مـــــــايـــا : **(بتعبير لطيف)** ربما استطعت أن تأخذنى إلى قمة جبل على ارتفاع معقول يا روبك... ولكنك لم ترنى كل ما فى العالم من عظمة وبهاء.

الأستاذ روبك : **(يضحك فى ضيق)** ما أكثر نهمك يا مايا! أبدًا لا تشبعين! **(فى غضب وعنف)** ولكن أتعرفين أكثر ما يضايق الإنسان يا مايا؟ أتستطيعين معرفته؟

مـــــــايـــا : **(فى تحدٍّ هادئ)** نعم، أظنه رَبْطُ نفسك بى... مدى الحياة.

الأستاذ روبك : لست أستطيع التصريح بذلك فى قسوة هكذا.

مـــــــايـــا : ولكنك تعنيه بنفس القسوة.

الأستاذ روبك : ليس لديك أى فكرة واضحة عن طبيعة الفنان الداخلية.

مـــــــايـــا : **(تبتسم وتهزُّ رأسها)** يا إلهى، وكيف يمكننى ذلك وليس لدى فكرة واضحة عن طبيعتى الداخلية، طبيعتى أنا نفسى.

الأستاذ روبك : **(مستمرًّا وكأنه لم يُقاطَع)** إن حياتى تمضى بسرعة هائلة يا مايا، وهكذا تمر حياة الفنانين جميعًا، فأنا من ناحيتى عشت حياة كاملة فى تلك

السنوات القلائل التى تعارفنا فيها، مما أكد لى أننى لم أُخلق لأبحث عن السعادة فى اللهو والكسل، إن الحياة فى رأيى ورأى أمثالى ليست كذلك، إنما هى عمل مستمر... يجب أن أعمل عملاً بعد آخر... حتى يوم مماتى. **(يجبر نفسه على الاستمرار)** وهذا هو السبب الذى يمنعنى من أن أعيش معك بعد الآن يا مايا، أن أعيش معك وحدك.

مايا : **(بهدوء)** أتعنى بعبارة صريحة، أنك تعبت منى؟

الأستاذ روبك : **(منفجرًا)** نعم، هذا ما أعنيه! لقد تعبت... تعبت كل التعب وضجرت وانحلّت قواى... من هذه الحياة التى أحياها معك! ها قد عرفت الآن. **(يضبط زمام نفسه)** إن هذه الكلمات التى أستعملها كلمات قاسية جافية، أعلم ذلك جيدًا، وأعلم أن لا ذنب لك فى الأمر... وإنى لأعترف بذلك عن طيب خاطر، كل ما فى الأمر أننى أنا وحدى الذى أمرُّ مرة أخرى بثورة... **(وكأنه يحادث نفسه)**.. هى العودة إلى حياتى الحقيقية.

مـــــــــايـــا : **(تضع يديها على صدرها دون اختيار)** أى شـــىء إذن فى هذا العالم يمنعنا من أن نفترق؟

الأستاذ روبك : **(ينظر إليها فى دهشة)** أتقبلين ذلك؟

مـــــــــايـــا : **(تهزُّ كتفيها)** أوه، نعم... إذا لم يكـــن هنـــاك حـــل آخر، فإذن...

الأستاذ روبك : **(بشوق)** ولكن هناك حل آخر، أحد أمرين...

مـــــــــايـــا : **(ترفع سبابتها فى وجهه)** ها أنت تفكر مرة أخـــرى فى السيدة الشاحبة!

الأستاذ روبك : نعم، إن أردتِ الصدق، فإنى منذ أن رأيتها ثانية لم أستطع منع نفسى من التفكير فيها. **(يقترب منـــها)** يجب أن أكشف لك الآن سرًا يا مايا.

مـــــــــايـــا : ماذا؟

الأستاذ روبك : **(يلمس صدره)** هنا، أترين... هنا صندوق مقفـــل، مخزون فيه كل خيالات المثَّـــال، ولكنهـــا عنـــدما اختفت ولم تتـــرك وراءهـــا أثـــرًا، أُغلِـــق قفـــل الصندوق، وكان المفتاح معها... فرحلـــت وهـــو معها... وأنت يا صغيرتى مايا لا مفتـــاح معـــك، وهكذا تظل محتويات الصندوق فـــى مكانهـــا دون

الانتفاع بها، والسنون تمر! ولا سبيل إلى الوصول إلى الكنز.

مـــــايـــا : **(تحاول أن تخفى بسمة ماكرة)** اطلب منها إذن أن تدير لك المفتاح مرة أخرى.

الأستاذ روبك : **(غير فاهم)** مايا...؟

مـــــايـــا : لأنها قد أتت الآن، أفهمت؟ ولا ريب أن ما جاء بها هو هذا الصندوق.

الأستاذ روبك : إنى لم أقل لها قط كلمة واحدة عن هذا الموضوع!

مـــــايـــا : **(تنظر إليه ببراءة)** يا عزيزى روبك... أتستحق هذه المسألة البسيطة كل ما أثرته من الضجيج والاضطراب؟

الأستاذ روبك : أتظنينها مسألة بسيطة هذه البساطة المطلقة يا مايا؟

مـــــايـــا : نعم، هذا ما أظنه بالتأكيد، فلتتصل بمن ترى أنك فى حاجة إليهم **(تومئ برأسها موافقة)** وسأحاول دائمًا أن أجد لنفسى مكانًا.

الأستاذ روبك : أين تعنين؟

مـــــايـــا : **(فى مواربة وعدم اكتراث)** حسن... لن أحتاج إلى أكثر من الذهاب إلى منزلنا الخلوى إن لزم الأمر.

ولكنا لن نحتاج إلى ذلك، ففى المدينة... فى منزلنا الكبير هناك... سنجد مكانا لثلاثتنا عن طِيب خاطر.

الأستاذ روبك : **(فى شك)** أتظنين ذلك يصلح مدى الحياة؟

مايا : **(فى خفة)** حسن إذن... إذا لم يكن يصلح، فلسوف يتبين ذلك... وليس من الخير الكلام فى ذلك الآن.

الأستاذ روبك : وماذا نفعل إذن يا مايا إذا تبين أن دوام هذه الحال من المحال؟

مايا : **(بغير اهتمام)** إذ ذاك يتنحى كلٌّ منا عن طريق الآخر... وننفصل نهائيًّا، وسأجد دائمًا شيئًا جديدًا لى، فى أى مكان فى هذه الدنيا، شيئًا طليقًا! حرًّا! حرًا! لا حاجة بك إلى التفكير فى ذلك أيها الأستاذ روبك! **(تشير فجأة إلى اليمين)** انظر! ها هى ذى قد أتت!

الأستاذ روبك : **(يلتفت)** أين؟؟

مايا : هناك فى السهل، تسير فى خطوات واسعة... وكأنها تمثال من الرخام، إنها قادمة من هذا الطريق.

الأستاذ روبك : **(يحدد نظره وقد وضع يده فوق عينيــه)** ألا تبــدو وكأنها البعث مجسمًا؟ **(لنفسه)** وهى التى أحللــت غيرها محلها، وأرسلت بها إلى عــالم الظــلال!؟ صغتها من جديد... كم كنت مجنونًا!

مــــــــايــا : ماذا تعنى؟

الأستاذ روبك : **(لا يجيب)** لا شيء، لا شيء مما يمكن أن تفهميه.

(تتقدم أيرين من الجهة الــيمنى، وفى نفــس اللحظة يراها الأطفال فيجرون إليها، هاهم الآن قد أحاطوا بها وقد بدت على بعضهم الثقة والراحــة بينما تملَّك البعض الآخر الخوف والجبن، تحادثهم فى خفوت، وتشير إليهم بأن يترلوا إلى الفندق بينمــا تستريح هى قليلاً إلى جانب الينبوع، يجرى الأطفال على المنحدر نحو الشمال منحرفين قليلاً إلى الخلف، تذهب أيرين إلى الجدار الصخرى وتضع يديها تحت الماء المتساقط لتبريدهما)

مــــــــايــا : **(فى صوت خافت)** انــزل وحــادثها علــى انفراد يا روبك.

الأستاذ روبك : وأين تذهبين أنت إذن!؟

مـــــــــايـــا : (تنظر إليه نظرة ذات معنى) منذ الآن سأذهب حيث أريد. (تنزل من فوق الأكمة وتقفز عـــبر الينبـــوع مستعينة بالعصا، ثم تقف بجانب أيـــرين) الأســـتاذ روبك ينتظرك هناك فوق الأكمة يا سيدتى.

أيـــــــــرين : ماذا يريد؟

مـــــــــايـــا : يطلب منك أن تساعديه فى فتح صندوق مغلق.

أيـــــــــرين : وهل أستطيع مساعدته فى ذلك؟

مـــــــــايـــا : قال إنك أنت الوحيدة التى تستطيع.

أيـــــــــرين : إذن علىَّ أن أحاول.

مـــــــــايـــا : نعم، يجب عليك يا سيدتى.

(تنزل نحو الفندق بعد لحظة قصيرة يتزل الأســـتاذ روبك إلى أيرين، ولكنه يقف عند الجانب الآخـــر للينبوع)

أيـــــــــرين : (بعد فترة صمت قصيرة) لقـــد قالـــت... المـــرأة الأخرى... إنك كنت تنتظرنى.

الأستاذ روبك : قد انتظرتكِ عامًا بعد عام... دون أن أعرف فـــى قرارة نفسى.

أيـــــرين : ما كنت أستطيع المجىء إليك يا أرنولد، إذ كنـت راقدة هناك فى القبر نائمة نومًا عميقًا طويلاً مليئا بالأحلام.

الأستاذ روبك : ولكنكِ استيقظت الآن يا أيرين!

أيـــــرين : (هزُّ رأسها) مازلتُ أحس بـالنوم الثقيـل العميـق يغمض عينى.

الأستاذ روبك : سترين أن اليوم سيبزغ فجره ويضىء لنا كلينا.

أيـــــرين : لا تصدق ذلك.

الأستاذ روبك : (فى إلحاح) بل إنى واثق به! وأدركـه! الآن وقـد وجدْتك ثانية...

أيـــــرين : وقد قمت من القبر.

الأستاذ روبك : فى صورة أخرى!

أيـــــرين : قمت فقط يا أرنولد، ولكنى لم أتغير.

(يعبر الينبوع إليها معتمدًا على قطـع مـن الأحجار تحت مسقط المياه)

الأستاذ روبك : أين كنت طوال اليوم يا أيرين؟

أيـــــرين : (مشيرة) بعيدًا، بعيدًا فوق المرتفعات، فى البريـة الشاسعة الصامتة.

الأستاذ روبك : (يغيِّر الحديث) ليس معك... صديقتك اليوم كما أرى.

أيـــــرين : (تبتسم) إن صديقتى تراقبنى دائمًا بعين يقظة ولا تغفل لحظة.

الأستاذ روبك : وهل تستطيع؟

أيـــــرين : (تنظر حواليها خفية) تأكد أنها تستطيع... فى أى مكان أذهب إليه، إننى لم أغب عن نظرها قط.. (همس) حتى يجىء يوم صيف شمس جميل، فأقتلها.

الأستاذ روبك : أَوَ تفعلين؟

أيـــــرين : بأقصى ما تتصور من لذة... قط... لو أننى أستطيع.

الأستاذ روبك : ولماذا تقتلينها؟

أيـــــرين : لأنها تشتغل بالسحر. (بغموض) يكفى أن تتصور يا أرنولد... أنها حوَّلت نفسها إلى خيالى.

الأستاذ روبك : (يحاول تهدئتها) حسن، حسن، لا بأس... يجب أن يكون لكل منا خيال.

أيـــــرين : ولكنى خيال نفسى. (فى هياج) ألا تفهم ذلك؟

الأستاذ روبك : (**بحزن**) نعم، نعم يا أيرين، أفهم.

(**يجلس على حجر إلى جانب الينبوع وتقف هى وراءه مستندة إلى الجدار الصخرى**)

أيـــــــرين : (**بعد فترة صمت**) لماذا تجلس هناك صارفًا نظرك عنى؟

الأستاذ روبك : (**بنعومة وهو يهزُّ رأسه**) لست أجسر... لا أجـــسر على النظر إليك.

أيـــــــرين : لماذا لم تعد تجسر على النظر إلىَّ؟

الأستاذ روبك : لأن لك خيالاً يعذبنى ولأن لى ضميرًا يُثقِل علـــىَّ حتى ليهلكنى.

أيـــــــرين : (**تصيح فى فرح وحرية**) أخيرًا!

الأستاذ روبك : (**يقفز**) أيرين... ما هذا؟

أيـــــــرين : (**تشير إليه**) لا تتحرك، ظل هادئًا، هادئا! (**تتـــنفس نفسًا عميقًا وتقول وكأنها خففت عن نفسها حملا**) والآن! الآن وقد تركونى أذهب فى هذه المـــرة... يمكننا الآن أن نجلس ونتحدث كما اعتدنا... عندما كنت حية.

الأستاذ روبك : أوه، لو نستطيع فقط التحدث كما اعتدنا.

أيـــــــــرين : اجلس هناك كما كنت تجلس، وسأجلس إلى جانبك هنا.

(يجلس ثانية وتجلس هى على حجـــر آخـــر قريب منه. بعد فترة صمت قصيرة)

أيـــــــــرين : ها قد عدت إليك مرة أخرى من أبعـــد المناطـــق يا أرنولد.

الأستاذ روبك : نعم، حقًّا، من رحلة لا نهائية.

أيـــــــــرين : عدت ثانية إلى وطنى، إلى سيدى ومولاى...

الأستاذ روبك : إلى وطننا... موطننا الخاص يا أيرين.

أيـــــــــرين : هل كنت تنتظر عودتى كل يوم؟

الأستاذ روبك : هل كنت أجرؤ على البحث عنك؟

أيـــــــــرين : **(تنظر إليه نظرة جانبية)** كلا، أظنك لم تكن تجـــرؤ، لأنك لا تفهم شيئًا.

الأستاذ روبك : أمن الحق أن اختفاءك الفجائى بهذه الطريقة كـــان من أجل إنسان آخر؟

أيـــــــــرين : ألا يمكن كذلك أن يكون من أجلك أنت يا أرنولد؟

الأستاذ روبك : **(ينظر إليها فى شك)** أنا لا أفهمك!

أيـــــــرين : عندما خدمتك بروحى وجسدى... وعندما انتهـــى التمثال... ابننا كما كنت تسميه... عندئذ طرحـــت على قدميك أثمن التضحيات جميعًـــا... وهـــى أن أمحو نفسى من دنياك إلى الأبد.

الأستاذ روبك : **(يحنى رأسه)** وتتركين حياتى فارغة ضائعة.

أيـــــــرين : **(فى انفعال مفاجئ)** هذا بالضبط ما أردته! أبدًا، أبدًا لن تستطيع خلق شىء آخر... بعد خلقـــك طفلنـــا الوحيد.

الأستاذ روبك : أكان ما يقودك إذ ذاك هو الحسد؟

أيـــــــرين : أظنها عاطفة أميل إلى الكراهية.

الأستاذ روبك : الكراهية؟ كراهيتى؟

أيـــــــرين : **(فى حماسة مرة أخرى)** نعم أنت، الفنان الذى أخـــذ دون مبالاة ولا اهتمام جسدًا حار الـــدماء، حيـــاةً إنسانية شابة، وانتزع منها الروح... لأنك كنت فى حاجة إليها فى عملك الفنى.

الأستاذ روبك : وتستطيعين قول ذلك... أنت التى انغمست فى عملى بعاطفة مقدسة وفرح جارف؟ ذلك العمل الـــذى كنـــا نجتمع من أجله كل صباح وحدنا وكأننا نتعبد.

أيـــــــــرين : **(ببرود كما كانت قبلاً)** سأخبرك بشىء واحد يـــا أرنولد.

الأستاذ روبك : ماذا؟

أيـــــــــرين : إننى لم أحب فنك قط، لا قبل مقابلتك ولا بعدها.

الأستاذ روبك : ولكن الفنان يا أيرين؟

أيـــــــــرين : الفنان؟ إنى أكرهه.

الأستاذ روبك : والفنان الذى فى داخلى أيضًا؟

أيـــــــــرين : والذى فى داخلك أكثر من أى إنسان آخر، عنـــدما تعريت ووقفت أمامك، إذ ذاك كرهتك يا أرنولد...

الأستاذ روبك : **(بحرارة)** هذا ما لم يكن قط يا أيرين! لست صادقة فى ذلك!

أيـــــــــرين : كرهتك لأنك استطعت الوقوف هناك رابط الجأش.

الأستاذ روبك : **(يضحك)** رابط الجأش؟ أتظنين ذلك؟

أيـــــــــرين : دون أن تفقد زمام نفسك مطلقًا علـــى أى حـــال، ولأنك كنت فنانًا، وفنانًا فقط، ولـــم تكـــن رجـــلاً! **(بصوت مملوء بالحرارة والعاطفة)** ولكن ذلك التمثال الساكن المصنوع من الصلصال الرطـــب... هـــذا التمثال هو الذى أحببته، أحببته وهو يتكامل علـــى هيئة مخلوق إنسانى حى من بين تلك الكتل التى لا

شكل لها ولا هيئة... ذلك لأنه كان من خلقنا، كان طفلنا، كان طفلى وطفلك.

الأستاذ روبك : **(فى حزن)** كان كذلك عن صدق وطيب قلب.

أيـــــــرين : دعنى أخبرك يا أرنولد، أننى ما قمت بهذه الرحلة الطويلة إلا من أجل طفلنا هذا.

الأستاذ روبك : **(يقف فجأة)** من أجل التمثال؟

أيـــــــرين : سمِّه ما شئت، ولكننى أسميه طفلنا.

الأستاذ روبك : وتريدين الآن رؤيته، وقد انتهـى، منحوتًا فـى الرخام الذى كنت ترين دائمًا أنـه بـارد شـديد البرودة؟ **(بشوق)** لعلك لا تعرفين أنه مُقام فى أحد متاحف العالم العظيمة، بعيدًا جدًا عن هنا؟

أيـــــــرين : سمعت عنه بعض القصص.

الأستاذ روبك : وكانت المتاحف دائمًا شيئًا مخيفًا لكِ، كنتِ تسمينها أقبية القبور.

أيـــــــرين : سأقوم برحلة إلى حيـث روحـى وروح طفلـى مدفونتان.

الأستاذ روبك : **(فى ضيق وخوف)** يجب ألا تَرَىْ هذا التمثال مـرة أخرى! أتسمعين يا أيرين؟ أتوسل إليك... ألاَّ ترَيْه أبدًا، أبدًا!

أيـــــــرين : لعلك تظن فى ذلك موتًا آخر لى؟

الأستاذ روبك : **(يعصر يديه)** أوه، لا أدرى ماذا أظن... ولكن كيف كان يمكننى أن أتصور أن كل أفكاركِ ستتعلق بهذا التمثال دون أن تتحول عنه؟ أنت يا من تركتنى... قبل أن يتم.

أيـــــــرين : كان قد تم، وهذا ما دعانى إلى أن أبتعد عنـــك... وأتركك وحيدًا.

الأستاذ روبك : **(يجلس واضعًا مرفقيه على ركبتيه ويديه على عينيه وهو يهز رأسه يمنة ويسرة)** لم يكن إذ ذاك ما صار إليه بعد ذلك.

أيـــــــرين : **(بهدوء ولكن بسرعة كالبرق تُخرِج من صـــدرها خنجرًا حادًا حتى منتصفه وتسأل هامسة فى صوت خشن)** أرنولد... أأحدثتَ أى ضرر بطفلنا؟

الأستاذ روبك : **(فى مواربة)** ضرر؟ كيف لى بمعرفة ما ســتطلقينه على ما فعلته؟

أيـــــــرين : **(مبهورة الأنفاس)** خبِّرنى فى الحال، مـــاذا فعلـــت بالطفل؟

الأستاذ روبك : سأخبرك إن جلست واستمعت فى هدوء إلـــى مـــا أقول.

أيـــــرين : **(تخفى الخنجر)** سأسمع فى هدوء قدر ما تستطيع الأم عندما...

الأستاذ روبك : **(مقاطعًا)** وعليكِ ألا تنظرى إلىَّ وأنا أنبئكِ بذلك.

أيـــــرين : **(تتحرك نحو حجر خلف ظهره)** سأجلس هنا خلفك. الآن، خبِّرنى.

الأستاذ روبك : **(يرفع يديه من فوق عينيه ويحملق فى الفضاء أمامه)** عندما وجدتكِ عرفت فورًا كيف أستغلك فى عمل حياتى.

أيـــــرين : عمل حياتك الذى سميته «يوم البعث» والذى أسمِّيه أنا «طفلنا».

الأستاذ روبك : كنت حدثًا إذ ذاك.. لا تجارب لى فى الحياة، وكنت أظن أن أجمل وأصدق تمثيل للبعث أن أظهره فى صورة امرأة شابة جميلة... لا تجارب لها فى الحياة... تستيقظ للنور والمجد دون حاجة إلى انتزاع أى قبيح دنس منها.

أيـــــرين : **(بسرعة)** نعم، وهل أقف كذلك الآن فى عملنا؟

الأستاذ روبك : **(بتردد)** ليس تمامًا يا أيرين.

أيـــــرين : **(فى انفعال متزايد)** ليس تمامًا؟ ألا أقف كما اعتدت الوقوف أمامك؟

الأستاذ روبك : **(دون أن يجيب)** فى السنوات التى تلت ذلك يا أيرين تعلَّمت حكمة الحياة، فرأيت بفكرى أن «يوم البعث» شىء أكثر من ذلك، شىء أكثر تعقيدًا، ولم تعد القاعدة المستديرة الصغيرة التى كان تِمْثالك يقوم عليها وحده... لم تعد تكفى بعد ذلك كل القطع التى أردت أن أضيفها.

أيـــــرين : **(تتحسس خنجرها ولكنها ترفع يدها دون إخراجه)** أى قطع أضفتها بعد ذلك؟ خبِّرنى!

الأستاذ روبك : صوَّرت كل ما رأته عيناى حولى فى هذا العالم، لقد كان علىَّ أن أضيف هذا كله، ولم أكن أستطيع الامتناع عن ذلك يا أيرين، فزدت القاعدة، جعلتها متسعة رحبة، ووضعت عليها قطاعًا من الأرض الملتوية المتصدِّعة، وقد خرجت متراكمة من هذا الصدع جماعة من الرجال والنساء لها وجوه حيوانات مبهمة، الرجال والنساء... كما عرفت حقيقتهم فى الحياة.

أيـــــرين : **(فى شكٍّ مكتوم)** ولكن المرأة الشابة تقف وسط هذا الحشد متألقة فرحة بالنور؟.. ألا أقف كذلك يا أرنولد؟

الأستاذ روبك : (فى مواربة) ليس فى الوسط تمامًا، إذ كان علىّ لسوء الحظ أن أرجع هذا التمثال إلى الخلف قليلا، تحريا للأثر العام كما تعرفين، وإلاَّ طغى على الجميع أكثر مما ينبغى.

أيـــرين : ولكن الفرح بالنور ما زال يشعُّ من وجهى؟

الأستاذ روبك : نعم، يشعُّ يا أيرين... من ناحية، ربما كان أخف قليلاً.. كما تتطلب فكرتى الجديدة.

أيـــرين : (تنهض فى هدوء) هذه الصورة تعبِّر عن الحياة كما تراها الآن يا أرنولد.

الأستاذ روبك : نعم، أظنها كذلك.

أيـــرين : وكنت مضطرا فى هذه الصورة إلى إرجاعى إلى الخلف وإلى تخفيف الإضاءة عنى قليلاً... كى أصبح قطعة خلفية... أو ظهارة فى مجموعة. (تخرج سكينها).

الأستاذ روبك : ليست قطعة خلفية، غاية ما يمكن قوله إنها ليست فى المقدمة تمامًا، أو شيئًا من هذا القبيل.

أيـــرين : (تهمس فى خشونة) ها قد حكمت بالهلاك على نفسك. (ترفع يدها لتضربه)

الأستاذ روبك : **(يلتفت ناظرًا إليها)** الهلاك؟

أيـــــــرين : **(تخفى الخنجر بسرعة وتقول كأنما داهمها الألم)** لقـد كانت روحى بأكملها... وأنت وأنا... نحن، نحن، نحن وطفلك، كنا فى هذا التمثال الفريد.

الأستاذ روبك : **(فى شوق وهو يرفع قبعته ويجفف نقط العـرق إلى تجمعت على جبهته)** نعم، ولكـن دعينـى كـذلك أخبرك كيف مثلت نفسى فى هذه المجموعة، فـى الجزء الأمامى، إلى جانب ينبـوع.. مثـل هـذا الينبوع.. يجلس رجل مثقل بالـذنوب، لا يعـرف كيف يتحرر تمامًا من هذه الأرض، وقـد سـميته الندم على حياة الإفراط، وكان يغمس أصابعه فـى الماء الجارى.. لينظفها. ولكنه يتألم ويتعذب بفكرة أنه، لن ينجح أبدا، أبدا فى ذلك، وأنه لن ينال أبدا، مهما امتد به الأمد، الحرية والحياة الجديدة، وأنـه سيظل إلى الأبد سجين جحيمه.

أيـــــــرين : **(بشدة وبرود)** شاعر!

الأستاذ روبك : شاعر؟ لماذا؟

أيـــــــرين : لأنك بليد الأعصاب، مؤلك الغفران لكل ما ارتكبت من الخطايا بالنية أو بالفعل، لقد قتلت روحـــى... ولذا صورت نفسك نادمًا مقــرًا بــذنوبك كارهًــا للخطيئة.. **(تبتسم)**.. وتعتقد أنك بذلك قد تطهرت.

الأستاذ روبك : **(متحديا)** إنى فنان يا أيرين، ولن يخجلنى أن تبدو نفسى فى مظهر من ضعف الإرادة، لأنى ولــدت لكى أكون فنانًا، أتفهمين؟ ولن أكون شــيئًا آخــر مهما فعلت.

أيـــــــرين : (تنظر إليه وعلى فمها ابتسامة خبيثة خفية، وتقول فى لطف ونعومة) إنك شاعر يا أرنولــد **(توبــت على شعره بلطف)** أيها العزيز العظيم، أيها الرجل الطفل.. أمن الممكن أنك لم تستطع إدراك ذلك؟

الأستاذ روبك : **(فى غضب)** لماذا تكثرين من نعتى بالشاعر؟

أيـــــــرين : **(وقد بدا الشر فى عينيها)** لأن فى هذه الكلمة شيئً من العذر لك يا صديقى. شــيئًا يــوحى بغفــران الخطايا.. والتغاضى عن ضعف الإرادة **(تغير نغمة صوتها فجأة)** ولكنى أنا – إذ ذاك – كنــت كائنًــا إنسانيًا! وكانت لى أيضا حياة لأحياها.. وغــرض

إنسانى لأتمه، وكل هذا تركتـــه، ولـــتعلم ذلـــك... قذفت به كله بعيدًا، لأكون أَمَةً لك. أوه، كان ذلـــك قتلاً لنفسى... خطيئة مميتة ضد نفسى! **(فى شـــبه همس)** ولن أغفر لنفسى هـــذه الخطيئـــة **(تجلـــس بالقرب منه على حافة الينبوع وهى ترقبه مراقبـــة دقيقة غير منظورة، ثم تنزع من الأشجار التى حولها بعض الأزهار فى شبه شرود، ثم تـــضبط عواطفهـــا ضبطًا ظاهرًا)** كان واجبًا علىَّ أن أخرِج لهذا العالم أطفالاً.. أطفالاً عديدين، أطفالاً حقيقيـــين.، ليـــسوا كهؤلاء الأطفال الموضوعين فى أقبية القبور. هذه كانت وظيفتى، وما كان لى أن أخدمك أيها الـــ... شاعر.

الأستاذ روبك : **(يهيم فى التفكير)** ولكنها كانت أيامًـــا جميلـــة يـــا أيرين، أيامًا جميلة رائعة، كما أسترجعها الآن.

أيـــــــرين : **(تنظر إليه وعلى وجهها تعبير لطيف)** أتـــذكر تلـــك الكلمة الصغيرة التى قلتها... عنـــدما انتهيـــت... انتهيت منِّى ومن طفلنا؟ **(تومئ إليه برأسها)** أتذْكُر هذه الكلمة الصغيرة يا أرنولد؟

الأستاذ روبك : (ينظر إليها فى تساؤل) أقلتُ وقتذاك كلمة صغيرة لا زلت تذكرينها؟

أيـــــرين : نعم، هذا ما حدث، ألا تستطيع أن تذكرها؟

الأستاذ روبك : (يهزُّ رأسه) لا، لا أستطيع أن أتذكرها، ليس فى هذه اللحظة على أى حال.

أيـــــرين : أخذت يدىَّ الاثنتين وضغطتهما فى حرارة، بينما وقفت أنا منتظرة وقد حبست أنفاسى، ثم قلت لى «والآن يا أيرين، إنى أشكرك من كل قلبى، فقد كانت هذه الفترة قصة استطرادية هامة لا تقدَّر بثمن».

الأستاذ روبك : (ينظر إليها فى شك) أقلتُ «قصة استطرادية»؟ فإنى لم أعتد استعمال هذه الكلمة.

أيـــــرين : نعم، قلتَ ذلك.

الأستاذ روبك : (متظاهرًا بالفرح) حسن، حسن. إنها كانت على أية حال قصة استطرادية حقًّا.

أيـــــرين : (بجفاف) عندما سمعت هذه الكلمة تركتك.

الأستاذ روبك : إنكِ دائمًا يا أيرين تنظرين إلى الأشياء من ناحيتها المؤلمة.

أيـــــــرين : **(تمسح جبهتها بيدها)** ربما كنت محقا، دعنـــا إذن نبعد عنّا كل هذه الأمور التى تؤلم القلـــب **(تنـــزع أوراق زهرة جبلية وترميها فى الينبوع)** انظـــر يـــا أرنولد، ها هى ذى طيورنا تسبح.

الأستاذ روبك : أى نوع من الطيور هى؟

أيـــــــرين : ألا ترى؟ إنها طيور البشاروش بـــالطبع، أليـــست وردية اللون؟

الأستاذ روبك : ولكن البشاروش لا يعوم، إنما يخوض الماء فقط.

أيـــــــرين : ليست إذن طيور البشاروش، بل طيور النورس.

الأستاذ روبك : نعم، ربما كانت طيـــور النـــورس ذات المنـــاقير الحمراء **(ينزع أوراقًا خضراء عريضة، ويرميهـــا فى الينبوع)** ها قد أرسلت الآن سفنى وراءها.

أيـــــــرين : ولكن حذار أن يكون على ظهرها صيادون.

الأستاذ روبك : لا، لن يكون عليها صيادون **(يبتسم لها)** ألا تذكرين ذلك الصيف الذى اعتدنا أن نجلس فيه جلستنا هذه خارج كوخ الفلاح الصغير علـــى حافـــة بحيـــرة تونتز؟

أيـــــــرين : **(تحنى رأسها)** فى أمسيات السبت، نعم. عندما كنّـــا ننتهى من عملنا الأسبوعى.

الأستاذ روبك : ثم نستقل القطار فى طريقنا إلى البحيرة؛ لنظل هناك طوال يوم الأحد.

أيرين : **(تبدو فى عينيها نظرة بغضٍ شريرة)** لقد كانت قصة استطرادية يا أرنولد.

الأستاذ روبك : **(وكأنه لم يسمع)** وكنتِ إذ ذاك أيضًا ترسلين طيورًا لتعوم فى الماء، كانت زنابق مائية تلك التى...

أيرين : كانت بجعات بيضاء.

الأستاذ روبك : أذكر، بجعات، نعم، وإنى لأذكر أننى ربطت مرة ورقة شجر متغضنة بإحدى البجعات قيَّدت كأنها أوراق شجر رأس الحمام الشائك...

أيرين : ثم تحولت إلى قارب من زهر اللونجرين... قد ربطت فيه البجعة.

الأستاذ روبك : كم كنتِ شغوفة بهذه اللعبة يا أيرين.

أيرين : لقد لعبناها مرارًا كثيرة بعد ذلك.

الأستاذ روبك : كل سبت، كما أتذكر... طوال الصيف.

أيرين : كنت تقول إنى البجعة التى تقود قاربك.

الأستاذ روبك : هل كنت أقول ذلك؟ نعم، ربما كنت قلته. **(منغمسًا فى اللعبة)** انظرى الآن كيف تعوم طيور النـــورس مع التيار!

أيــــــــرين : **(تضحك)** وقد جنحت كل قواربك نحو الشاطئ.

الأستاذ روبك : **(يرمى أوراقًا أخرى فى الينبوع)** عندى كثيــر مــن القوارب الاحتياطية. **(يتبع الأوراق بنظراته وهــو يُلقى غيرها فى الجدول ثم يقول بعد فترة صـــمت)** أيرين... لقد اشتريت كوخ الفلاح الصغير المجاور لبحيرة تونتز.

أيــــــــرين : هل اشتريته؟ لقد كنت تُكثِر من القول إنك ستشتريه إذا استطعت دفع ثمنه.

الأستاذ روبك : وقد جاء اليوم الذى استطعت أن أدفع فيــه ثمنــه بسهولة، فاشتريته.

أيــــــــرين : **(تنظر إليه نظرة جانبية)** وهل تعيش الآن إذن فـــى منزلنا القديم؟

الأستاذ روبك : لا، فقد هدمته منذ زمن طويل وبنيت مكانــه دارًا خلوية كبيرة جميلة مريحـــة، تحيطهـــا الحـــدائق، وهناك نـــ... **(يتوقف ويصحح ما يقول)** أعيش فى الصيف عادة.

أيـــــــرين : (تتمالك نفسها) إذن فأنت و... والمرأة الأخــرى تعيشان فيها الآن؟

الأستاذ روبك : (فى شبه تحدٍّ)، نعم، عندما لا نسافر أنا وزوجتى... كما فعلنا هذا العام.

أيـــــــرين : (تنظر أمامها إلى الأفق البعيد) كانت الحياة جميلــة، جميلة على ضفاف بحيرة تونتز.

الأستاذ روبك : (وكأنما يرى أشباح الماضى) ومع ذلك يا أيرين...

أيـــــــرين : (تتمم ما يفكر فيه) ومع ذلك تركنا هذه الحياة تفرُّ منَّا بكل ما فيها من جمال.

الأستاذ روبك : (بنعومة وسرعة) هل جاءت التوبة متأخرة الآن؟

أيـــــــرين : (لا تجيب وتجلــس صــامتة لحظــة ثم تــشير إلى المرتفعات) انظر هناك يا أرنولد... هــا هــى ذى الشمس تغرب فوق القمم، انظــر كيــف تتــوهج الأشعة الحمراء فوق التلال المعشوشبة هناك.

الأستاذ روبك : (ينظر حيث تشير) منذ زمن طويل لم أر غــروب الشمس فوق الجبال.

أيـــــــرين : وشروقها؟

الأستاذ روبك : أظننى لم أر قط شروق الشمس.

أيـــــرين : **(تبتسم وكأنما تاهت فى الذكريات)** رأيت أنا مـــرة شروقًا جميلاً رائعًا.

الأستاذ روبك : حقا؟ وأين كان ذلك؟

أيـــــرين : فى أعلى، فى أعلى نقطة من قمة جبل عال... لقد غررتَ بى حتى صعدت هناك حيث وعـــدتنى أن ترينى كل ما فى العالم من عظمة وبهاء، إذا أنا... **(تسكت فجأة).**

الأستاذ روبك : إذا أنت... ماذا؟

أيـــــرين : فعلت ما قلته لى... فذهبت معك إلى المرتفعـــات حيث ركعت على ركبتـــى وعبـــدتك وخـــدمتك. **(تصمت لحظة ثم تقول فى نعومـــة)** إذ ذاك رأيـــت الشروق.

الأستاذ روبك : **(يغيِّر مجرى الحديث)** ألا تحبين أن تـــأتى لتعيـــشى معنا فى تلك الدار الخلوية هناك؟

أيـــــرين : **(تنظر إليه فى احتقار)** معك... ومع المرأة الأخرى؟

الأستاذ روبك : **(فى إلحاح)** معى... كما كنا فى أيام الخلق، فإنـــك تستطيعين إخراج كل ما هو مغلق فىَّ، ألا تحسِّين بذلك فى أعماق قلبك يا أيرين؟

أيـــــــرين : (تهزُّ رأسها) لم يعد المفتاح الذى تحتاجه معى يــا أرنولد.

الأستاذ روبك : بل لديك المفتاح! أنت، وأنت وحدك التى تملكينــه! (متوسلاً) ساعدينى، ساعدينى على أن أحيا حياتى مرة أخرى!

أيـــــــرين : (لا تتحرك كما كانت قبلاً) أحلام فارغة! أحــلام فجة... ميتة. فلا بعث للحياة التى عــشناها أنــت وأنا.

الأستاذ روبك : (يُسكتها بجفاف) إذن دعينا نستمر فى اللعب.

أيـــــــرين : نعم، اللعب، اللعب... ولا شىء غير اللعب!

(يأخذان فى قذف أوراق الــشجر وأوراق الورد فى الينبوع حيث تعوم مع التيار من الخلــف عند الناحية اليسرى يصعد أولفهايم ومايا فى ثيــاب الصيد، يتبعهما الخادم حاملاً سلاســل الكــلاب، فيذهب بها إلى اليمين حيث يختفى)

الأستاذ روبك : (يراهما) آه! ها هى ذى مايا الصغيرة تخرج مــع صائد الدببة.

أيـــــــرين : امرأتك؟ نعم.

الأستاذ روبك : أو امرأة الآخر.

مـــــــايـــا : **(تنظر حولها فى أثناء عبورها المرتفع فترى الاثنين جالسين إلى الينبوع فتصيح)** ليلة سعيدة يا أستاذ! احلم بى؛ فإنى ذاهبة الآن إلى مغامراتى!

الأستاذ روبك : **(يصيح)** وما الغرض من هذه المغامرة يا ترى؟

مـــــــايـــا : **(تقترب)** إنى ذاهبة لأحيا حياتى كما يحيا الآخرون.

الأستاذ روبك : **(بسخرية)** آها! إذن ستفعلين أنت أيضًا ذلك يا صغيرتى مايا؟

مـــــــايـــا : نعم، وقد نظمت شعرًا فى ذلك يُغنَّى هكذا **(تغنى فى نصر)**.

أنا حرة.، أنا حرة، أنا حرة..

حياتى لن تطيق السجن بعد اليوم فى غمره

أنا كالطير رفَّافًا، سأحيا مثله حرة

ذلك لأنى أعتقد أنى استيقظت الآن... أخيرًا.

الأستاذ روبك : يبدو ذلك.

مـــــــايـــا : **(تأخذ نفسًا عميقًا)** أوه، كم يحس الإنسان بالفرح السماوى عندما يستيقظ!

الأستاذ روبك : ليلة سعيدة أيتها العروس مايـــا... وحظًّـــا ســـعيدًا لـــ...

أولـــــــفهايم : **(يصيح فى صوت الآمر)** شوشـــو! انتهـــوا بحـــق الشيطان من تمنياتكم المعسولة هذه، ألا ترون أننا ذاهبان للصيد...

الأستاذ روبك : وماذا عساك تحضرين لى عند عودتك من الـــصيد يا مايا؟

مـــــــايـــا : سيكون لك أحد الطيور الجارحة لتصنع له تمثالاً، سأرسل لك واحدًا بسرعة.

الأستاذ روبك : **(يضحك فى سخرية ومرارة)** نعم، نعم، إنك تفعلين كل شيء بسرعة... دون أن تعرفى ماذا تفعلين... هذا دائمًا كان دأبك.

مـــــــايـــا : **(تلقِى برأسها إلى الوراء)** أوه، كل ما أطلبه أن تدعنى أعتنى بنفسى فى المستقبل، وأتمنى لـــك إذن! **(تحـــنى رأسها ثم تضحك فى خبث)** ليلة ســـعيدة... ليلـــة صيف هادئة سعيدة فوق المرتفع!

الأستاذ روبك : **(فى مزاح)** شكرًا! وكل الحظ السيِّئ الذى فى العالم لك ولصيدك!

أولـــــــفهايم : **(يزأر بالضحك)** والآن ها هى ذى أمنية تستحق أن تُلبَّى!

مـــــــايـــا : **(تضحك)** شكرًا، شكرًا، شكرًا يا أستاذ!

(يكونان قد تركا الجزء الظاهر من المرتفع إلى الشجيرات اليمنى فيسيران خلالها)

الأستاذ روبك : **(بعد فترة صمت)** ليلة صيف فوق المرتفع! نعم هذه هى الحياة!

أيـــــــرين : **(فجأة وقد بدا فى عينيها تعبير وحشى)** ألا تقضى ليلة صيف فوق المرتفع... معى؟

الأستاذ روبك : **(يفتح ذراعيه)** نعم، نعم... هيا!

أيـــــــرين : سيدى ومولاى المعبود!

الأستاذ روبك : أوه، يا أيرين!

أيـــــــرين : **(بصوت خشن وهى تبتسم وتتحسس صدرها)** لن تكون قصة استطرادية... **(همس بسرعة)** شـــو! لا تنظر حولك يا أرنولد!

الأستاذ روبك : **(فى همس أيضًا)** ماذا هناك؟

أيـــــــرين : وجه يحملق فىَّ.

الأستاذ روبك : **(ينظر حوله دون إرادة)** أين؟ **(فى خوف)** آه!

(يبدو جزء من وجه الراهبة بين الشجيرات اليسرى وهى تثبت أنظارها على أيرين ولا تحوِّلها عنها)

أيـــــرين : (تنهض وتقول فى نعومة) إذن علينا أن نفترق؟ لا، عليك أن تبقى جالسًا، أتسمع؟ يجب ألا تذهب معى. (تنحنى ناحيته وتهمس) حتى نلتقى ثانية، الليلة، فوق المرتفع.

الأستاذ روبك : وستأتين يا أيرين!

أيـــــرين : نعم، سآتى ولا ريب، انتظرنى هنا.

الأستاذ روبك : (يعيد كالحالم) ليلة صيف فوق المرتفع، معك، معك. (تلتقى عيناه بعينيها) أوه، يا أيرين... هذه هى الحياة التى يجب أن نحياها، وهى التى فرَّطنا فيها، نحن الاثنين.

أيـــــرين : إنَّا لا نرى الأشياء التى لا يمكن أن تعوَّض إلا عندما... (تسكت).

الأستاذ روبك : (ينظر إليها فى تساؤل) عندما...؟

مـــــايــا : عندما نُبَعث نحن الموتى.

الأستاذ روبك : (يهزُّ رأسه فى حزن) ما الذى نراه حقيقة إذ ذاك؟

أيـــــرين : نرى أننا لم نعش أبدا.

(تذهب نحو المنحدر وتبـدأ فى النــزول فتُفسِح الراهبة طريقًا لها ثم تتبعهـا، بينمـا يظـل الأستاذ روبك دون حراك إلى جانب الينبوع)

مـــــايـا : (يسمع صوت غنائها المنتصر بين الآكام)

أنا حرة، أنا حرة، أنا حرة

حياتى لن تطيق السجن بعد اليوم فى غمره

أنا كالطير رفَّافًا، سأحيا مثله حرة

«ســتار»

الفصل الثالث

المنظر:

(جانب من جوانب جبل مشرف على البحر، فى الخلف قطع عمودى، إلى اليمين قمم مغطاة بالثلوج يخفى الضباب بعض أجزائها. إلى اليسار كوخ مقام على صخرة تحت الجبل وقد كاد يتهاوى. الصباح المبكر وقد بدأ الفجر يطلع ولكن الشمس لم تظهر بعد.

تنزل مايا من الصخرة اليسرى فى خجل وضيق، ويتبعها أولفهايم بين الغضب والضحك فيقبض على كمها بشدة)

مايا : (تحاول أن تتخلص منه) دعنى! قلت لك دعنى!

أولفهايم : صه صه! هل بدأت تعضين الآن؟ إنك أشد نهشا من الثعالب.

مايا : (تضربه على يده) قلت لك دعنى! وكن هادئا!

أولفهايم : لا، وعلىَّ اللعنة إن فعلت!

مايا : لن أسير معك إذن خطوة أخرى، أتسمع؟... ولا خطوة واحدة!

أولفهايم : هوهو! كيف يمكنك الفرار منى، هنا، فى هذا الجانب الموحش من الجبل؟

مايا : سأقفز فى هذه الوهدة إن احتاج الأمر.

أولفهايم : لتختلط أعضاؤك وتتحطم وتصنعى من نفسك طعاما للكلاب! لقمة سائغة! **(يتركها)** كما تريدين، اقفزى إلى الهاوية إن أردت، وستكون سقطة طائشة، فليس للنزول من هنا إلا طريق ضيق، وحتى هذا الطريق يكاد السير فيه يكون مستحيلا.

مايا : **(تنفض التراب بيدها عن ذيل ثوبها، وتنظر إليه نظرة غاضبة)** حسن، إنك زميل صيد لطيف!

أولفهايم : بل قولى إنى رياضى.

مايا : أوه، أتسمى ذلك رياضة إذن؟ تكلم!

أولفهايم : نعم، إنى أستبيح لنفسى هذه الحرية، فإن هذا هو نوع الرياضة الذى أفضله.

مايا : **(ترمى برأسها إلى الوراء)** حسن، وهذا هو أنت! **(بعد فترة صمت تنظر إليه متفحصة)** لماذا تركت الكلاب سائبة فى المرتفع هناك؟

أولفهايم : (يغمز بعينيه ويبتسم) حتّى تصطاد هى الأخرى كما تريد، ألا ترين ذلك؟

مايا : ليس فيما قلته كلمة صدق واحدة! فلم يكن إطلاقك الكلاب من أجل الكلاب ذاتها.

أولفهايم : (ما يزال مبتسما) حسن، خبرينى إذن لماذا أطلقتها؟

مايا : أطلقتها لأنك تريد التخلص من لارز، فقد طلبت منه أن يذهب خلفها ويحضرها، وفى الوقت نفسه... أوه، ما أبدع تصرفك هذا؟

أولفهايم : فى الوقت نفسه؟

مايا : (تسكته بجفاف) لا يهم!

أولفهايم : (فى صوت الواثق) لن يجد لارز الكلاب، ويمكنك أن تقسمى على ذلك، ولن يعود بها إلا بعد أن ننتهى!

مايا : (تنظر إليه بغضب) نعم، ربما لا يستطيع.

أولفهايم : (يقبض على ذراعيها) لأن لارز يعرف... طرقى فى الرياضة، أتفهمين؟

مــــــــايــا : (تفلت منه وتنظر إليه كأنما تقيسه بنظرها) أتعرف ماذا تشبه يا مستر أولفهايم؟

أولـــــفهايم : من المحتمل أننى أشبه نفسى كما أظن.

مــــــــايــا : نعم، إنك صادق كل الصدق فى ذلك، لأنك الصورة الحية من فونا إله الغابات الرومانى.

أولـــــفهايم : إله الغابات؟

مــــــــايــا : نعم، تماما كإله الغابات.

أولـــــفهايم : إله الغابات!؟ أليس ذلك نوعا من الوحوش؟ أم إنه نوع من شياطين الغابات كما تسمينه؟

مــــــــايــا : ليس إلا المخلوق الذى هو أنت، مخلوق له لحية وساقا عنزة، نعم، ولإله الغابات قرون أيضا.

أولـــــفهايم : هكذا، هكذا!... وهل له قرون أيضا؟

مــــــــايــا : نعم، قرنان كئيبان، كقرنيك تماما.

أولـــــفهايم : وهل استطعت رؤية قرنىَّ الصغيرين الضعيفين؟

مــــــــايــا : نعم، يخيل إلى أنى أراهما بوضوح تام.

أولـــــفهايم : (يخرج سلسلة الكلاب من جيبه) يحسن أن أقيدك إذن.

مــــــــايــا : أجننت جنونا «طبقا؟ تقيدنى؟

أولفهايم : إذا كنت شيطانا فلأكن شيطانا! وهذه هى الطريقة! تستطيعين رؤية القرون، أليس كذلك؟

مايا : (تهدئه) مهلا، مهلا، مهلا! حاول أن تتصرف بلطف يا مستر أولفهايم. (تغير الموضوع) ولكن ماذا كان مآل قلعة الصيد التى تملكها، والتى افتخرت بها كثيرا؟ لقد قلت إنها قريبة من هذا المكان.

أولفهايم : (يشير إلى الكوخ وهو يهز إصبعه) ها هى ذى أمام ناظريك تماما.

مايا : (تنظر إليه) حظيرة الخنازير القديمة هذه؟!

أولفهايم : (يضحك لنفسه) لقد آوت أكثر من ابنة ملك، أؤكد لك.

مايا : إذن فهنا جاء إلى ابنة الملك فى هيئة دب ذلك الرجل المخيف الذى أخبرتنى عنه؟

أولفهايم : نعم، يا زميلة الصيد الجميلة، هذا هو المكان. (يشير إليها كأنه يدعوها) إذا تكرمت بالدخول.

مايا : والويل لى لو وضعت قدمى مرة فيها، الويل لى.

أولفهايم : أوه، من الممكن أن ينعم اثنان فيها بطيب المنام ليلة بطولها من ليالى الصيف، أو صيفا بطوله إن لزم الأمر!

مـــــــايـــا : شكرا! ولكن ذلك يتطلب من الإنسان أن يكـــون ذا ذوق جميل جدا. **(بضيق)** وأنا أصبحت متعبة منك ومن رحلة الصيد، وسأهبط الآن إلى الفندق.، قبل أن يستيقظ نزلاؤه.

أولـــــــفهايم : وهل فكرت فى طريقة الهبوط من هنا؟

مـــــــايـــا : هذا عملك أنت، فلابد، على ما أظـــن، أن يكـــون هناك طريق ما للهبوط.

أولـــــــفهايم : **(يشير إلى الخلف)** أوه، بالطبع! هناك شبه طريـــق، يهبط مع هذا الجرف.

مـــــــايـــا : أترى الآن، بقليل من النية الحسنة...

أولـــــــفهايم : ولكن حاولى إن جرؤت على النزول منه.

مـــــــايـــا : **(فى شك)** أتظنني لا أستطيع؟

أولـــــــفهايم : أبدا لن تستطيعى، إن لم تدعينى أساعدك.

مـــــــايـــا : **(فى قلق)** تعال إذن وساعدنى! وهل هناك غـــرض آخر لوجودك هنا؟

أولـــــــفهايم : أتمانعين فى أن أحملك على ظهرى؟

مـــــــايـــا : ما هذا الكلام الفارغ؟!

أولـــــــفهايم : ... أو أن أحملك بين ذراعىّ؟

مـــــــايـــا : ألا تكف عن هذا الهذيان؟

أولـــــــفهايم : **(فى غيظ مكتوم)** عثرت مــرة بفتــاة صــغيرة... فرفعتها من وسط الأوحال وحملتها بين ذراعــىَّ، وحملتها قريبا من قلبى، وكنــت ســأحملها هكــذا طوال العمر... حتى لا تصطدم قدماها مــصادفة بأحد الأحجار، إذ كان حــذاؤها عنــدما وجــدتها خفيفا رقيقا.

مـــــــايـــا : ومع ذلك رفعتها من الأرض وحملتها قريبا مــن قلبك.

أولـــــــفهايم : التقطتها من البالوعات وحملتها فى رفق إلى أعلى ما أستطيع. **(فى ضحكة كالزئير)** أتعــرفين مــاذا كانت جائزتى؟

مـــــــايـــا : كلا، ماذا كانت جائزتك.

أولـــــــفهايم : **(ينظر إليها مبتسمًا وهو يحنى رأسه)** كانت القــرون جائزتى! القرون التى استطعت رؤيتها واضحة كل الوضوح، أليست هذه قصة فكاهــية يا سيدتى يــا قاتلة الدببة؟

مايا : أوه، نعم، إن فيها من الفكاهة الكفاية! ولكني أعرف قصة أخرى أكثر فكاهة منها.

أولفهايم : وما هى؟

مايا : سأقصها عليك، يحكى أن فتاة غبية كانت تعيش مع والديها، فى بيت أخنت عليه المتربة والفقر، ثم ظهر وسط كل هذا الفقر سيد رفيع قوى، وأخذ الفتاة بين ذراعيه، كما فعلتَ... ثم رحل معها بعيدا، بعيدا جدا.

أولفهايم : أكانت تتحرق شوقا إلى الذهاب معه؟

مايا : نعم، لأنها - كما أخبرتك - كانت غبية.

أولفهايم : لا ريب أنه كان شخصا ذكيا جميلا.

مايا : لم يكن رائعا فى جماله، ولكنه ادعى أنه سيأخذها إلى قمة أعلى جبل بين الجبال، حيث لا يغيب النور وضوء الشمس.

أولفهايم : أكان هذا الرجل إذن من سكان الجبال؟ أليس كذلك؟

مايا : نعم، كان كذلك، من وجهة نظره هو.

أولفهايم : وعندئذ صعد مع الفتاة؟

مـــــــــايـــا : (تميل رأسها إلى الجانب) لعلك تظنـــه صـــعد بهـــا بلطف! أوه، كلا! لقد غرر بها إلى قفص بارد قذر حيث كان يخيل إليها أنه خلو من ضـــوء الـــشمس ومن الهواء، وهناك، لم يكن حـــول الجـــدران إلا أشباح أناس ضخمة، أشـــباح متحجـــرة مموهـــة بالذهب.

أولــــــــفهايم : ليأخذنى الشيطان، ولكنها نالت ما تستحقه تماما.

مـــــــــايـــا : نعم، ولكن ألا تظن أنها مع ذلك قصة مغرقة فـــى الفكاهة؟

أولــــــــفهايم : (ينظر إليها لحظة) اسمعينى الآن يا زميلة الـــصيد الطيبة...

مـــــــــايـــا : حسن، قل ما تريد.

أولــــــــفهايم : ألا يمكننا أن نصل ما بقى من حياتينا الممزقتين؟

مـــــــــايـــا : أيرغب صاحب الـــسيادة فـــى أن يـــصبح رفـــاء ملابس؟

أولــــــــفهايم : نعم، هذا ما أريد، ألا يجب علينا نحن الاثنـــين أن نضم الخرق هنا وهناك إلى بعضها، لنكون منهـــا شيئا يشبه الحياة الإنسانية؟

مـــــــايـــا : وعندما تتمزق تماما هذه الخرق الباليـــة... مـــاذا يحدث؟

أولـــــــفهايم : (يشير فى عنف) إذ ذاك نقف فى حرية وهـــدوء... امرأة ورجلا، كما نحن الآن بالفعل؟

مـــــــايـــا : (تضحك) نعم، أنت بساقيك هاتين اللتين تـــشبهان ساقى عنزة!

أولـــــــفهايم : وأنت بـــ... حسن، لنترك هذا.

مـــــــايـــا : نعم، تعال... ودعنا نمر، فوق الصخور.

أولـــــــفهايم : قفى؟ إلى أين يا زميلتى؟

مـــــــايـــا : سأنزل إلى الفندق بالطبع.

أولـــــــفهايم : وبعد ذلك؟

مـــــــايـــا : وبعد ذلك نفترق فى أدب مع تبادل الشكر على هذه الرفقة الطيبة.

أولـــــــفهايم : أيمكننا أن نفترق نحن الاثنين؟ أتظنيننا نستطيع؟

مـــــــايـــا : نعم، فأنت، كما تعرف، لم تنجح فى ربط أســـبابى بأسبابك.

أولـــــــفهايم : عندى قلعة أقدمها إليك.

مـــــــايـــا : (تشير إلى الكوخ) أهى قلعة مثل هذه القلعة؟

أولفهايم : إنها لم تتهدم بعد.

مايا : وربما ستقدم لى أيضا كل ما فى العالم من عظمة وبهاء؟

أولفهايم : قلعة قلتُ لك.

مايا : شكرا، فقد جربت القلاع تجربة كافية.

أولفهايم : ... تحيط بها أرض واسعة للصيد، تمتد أميالا وأميالا.

مايا : أفى القلعة أيضا أعمال فنية؟

أولفهايم : (ببطء) هم، كلا... ليس فيها حقًّا أعمال فنية، ولكن...

مايا : (فى فرح) آه! هذا أمر طيب على كل حال!

أولفهايم أتذهبين معى إذن... إلى أبعد وأطول ما أريد؟

مايا : هناك فريسة أليفة من الطيور تراقبنى.

أولفهايم : (بوحشية) سنصيب جناحها برصاصنا يا مايا!

مايا : (تنظر إليه لحظة ثم تقول فى عزم) تعال إذن واحملنى إلى أسفل الجبل.

أولفهايم : (يلف وسطها بذراعه) آن أوان ذلك! فالضباب فوقنا!

مـــــــايـــا : أفي طريق النزول خطر كبير؟

أولــــــــفهايم : ضباب الجبل أكثر خطورة.

(تتركه وتذهب إلى الحافة وتنظر إلى أسفل ثم تتراجع بسرعة)

أولــــــــفهايم : **(يذهب إليها ضاحكا)** ماذا؟ هل أصابك الـدوار من النظر إلى أسفل؟

مـــــــايـــا : **(بضعف)** نعم، هذا أيضا، ولكـن اذهـب وانظـر هناك، وستجد هذين الاثنين صاعدين إلينا...

أولــــــــفهايم : **(يذهب وينظر من الحافـة)** لـيس إلا الفريـسة... وسيدته الغريبة.

مـــــــايـــا : ألا يمكن أن نمر بهما... دون أن يريانا؟

أولــــــــفهايم : محال! فالممر ضيق جدا، وليس هناك من طريـق غيره.

مـــــــايـــا : **(تتشجع)** لا بأس لا بأس... لنواجههما إذن!

أولــــــــفهايم : إنك تتكلمين كما لو كنت قاتلة دببة حقيقيـة أيتهـا الزميلة!

(يظهر الأستاذ روبك وأيرين عنـد الحافـة الخلفية، وقد وضع روبك جاكتته على كتفيه، بينما

ألقت أيرين معطفا من الفرو دون عناية على ثوبها ولبست فوق رأسها غطاء من الصوف الناعم)

الأستاذ روبك : **(لا يظهر إلا نصفه)** حسن يا مايا، لقد التقينا إذن نحن الاثنين مرة أخرى؟

مايا : **(تتظاهر بالبرود)** إنى فى خدمتك، ألا تصعد؟

(يصعد الأستاذ روبك ويمد يده لأيرين فتصعد هى الأخرى)

الأستاذ روبك : **(لمايا ببرود)** إذن فقد كنت فوق الجبل طوال الليل... كما كنا؟

مايا : نعم... كنت أصطاد، فقد أعطيتنى إذنًا بذلك، ألا تذكر؟

أولفهايم : **(يشير إلى أسفل)** هل صعدت من هذا الطريق؟

الأستاذ روبك : كما رأيت.

أولفهايم : والسيدة الغريبة أيضا؟

الأستاذ روبك : نعم، بالطبع **(ينظر إلى مايا)** وقد قررنا أنا والسيدة الغريبة ألا تتفرق بنا السبل بعد اليوم.

أولفهايم : ألا تعرف إذن أن الطريق الذى أتيت منه محفوف بالأخطار المميتة؟

الأستاذ روبك : ومع ذلك فكرنا فى أن نتسلقه، فلم يكن يبدو على كثير من الصعوبة فى البداية.

أولفهايم : نعم، لا شيء يبدو صعبا فى البداية، ولكنك وصلت الآن إلى مكان صعب حيث لا تستطيع التقدم أو الرجوع، وإذ ذاك تظل أيها الأستاذ ثابتا فى مكانك! نحن الصيادين نسمى ذلك وثاق الجبل.

الأستاذ روبك : (يبتسم وينظر إليه) هل أفهم هذه الكلمات على أنها تنبؤات أوحى إليك بها يا مستر أولفهايم؟

أولفهايم : معاذ الله أن أمثل دور الموحَى إليه! (فى إلحاح وهو يشير إلى المرتفعات العليا) ولكن، ألا ترى أن العاصفة فوقنا؟ ألا تسمع صرير الريح؟

الأستاذ روبك : (يسمع) تبدو كمقدمات يوم البعث.

أولفهايم : إنها صرير الريح فوق القمم يا رجل! ألا ترى كيف تسير السحب وتتحدر هابطة؟ إنها سرعان ما تحيط بنا وكأنها الأكفان!

أيرين : (فى خوف وارتجاف) أعرف هذه الأكفان!

مايا : (تسحب أولفهايم بعيدا) دعنا نسرع بالنزول.

أولفهايم : **(للأستاذ روبك)** لن أستطيع مساعدة أكثر من واحد، فاحتم بالكوخ وقت العاصفة، وسأرسل إليكما من يعودون بكما.

أيرين : **(فى خوف)** يعودون بنا! لا، لا!

أولفهايم : **(بصوت خشن)** ليأخذوكما بالقوة إن احتاج الأمر، فالمسألة هنا مسألة حياة أو موت، وقد عرفتما الأمر الآن. **(لمايا)** هيا بنا، لا تخافى، ضعى ثقتك فى زميلك، وأسلميه زمام أمرك.

مايا : **(تتعلق به)** أوه، وكيف، لا أفرح وأغنى إذا نزلت وليس فى جسمى جرح واحد!؟

أولفهايم : **(يبدأ فى النزول وهو ينادى الآخرين)** ستبقيان فى الكوخ إذن حتى يأتى الرجال بحبالهم ليعودوا بكما.

(يحمل مايا ويترل من الحافة فى سرعة وحذر)

أيرين : **(تنظر إلى الأستاذ روبك وقد بدا الخوف فى عينيها)** أتسمع ذلك يا أرنولد؟ سيأتى الرجال ليعودوا بى! رجال كثيرون سيأتون...

الأستاذ روبك : لا تفزعى يا أيرين!

أيـــــرين : **(فى فزع متزايد)** وهى، المرأة ذات الثوب الأسود، ستأتى أيضا، إنها لا بد قد افتقدتنى منذ زمن طويل، وإذ ذاك ستقبض علىَّ يا أرنولد! وستضطرنى إلى لبس قميص المجانين. أوه، إنه معها فى صندوقها، وقد رأيته بعينى هاتين.

الأستاذ روبك : لن يجسر أحد على لمسك.

أيـــــرين : **(بضحكة وحشية)** أوه، كلا، فأنا نفسى لدىَّ الوسيلة التى تحمينى من ذلك.

الأستاذ روبك : أى وسيلة تعنين؟

أيـــــرين : **(تخرج الخنجر)** هذا.

الأستاذ روبك : **(يحاول أخذه)** أمعك سكين؟

أيـــــرين : دائمًا، دائمًا... ليلا ونهارا... وفى الفراش أيضا!

الأستاذ روبك : أعطنى هذه السكين يا أيرين!

أيـــــرين : **(تخفيها)** لن تأخذها، فربما وجدت لها نفعا أنا نفسى.

الأستاذ روبك : أى نفع تجدينه لها هنا؟

أيـــــرين : **(تثبت أنظارها عليه)** كنت أعدها لك يا أرنولد.

الأستاذ روبك : أنا!

أيـــــــرين : عندما كنا جالسين على شاطئ بحيرة تـــونتز فـــى الليلة الماضية...

الأستاذ روبك : على شاطئ بحيرة؟

أيـــــــرين : خارج كوخ الفلاح، وكنا نلعب بـــالبجع وأزهـــار الزنبق المائية.

الأستاذ روبك : ماذا إذن ماذا بعد ذلك؟

أيـــــــرين : ... وعندما سمعتك تقول بهذا البرود القاتل إننى لم أكن فى حياتك سوى قصة...

الأستاذ روبك : إنك أنتِ لا أنا التى قلت ذلك يا أيرين!

أيـــــــرين : (مستمرة) إذ ذاك أخرجت خنجرى، وكنت أريد أن أغيبه فى ظهرك.

الأستاذ روبك : (فى إبهام) ولماذا أمسكتِ عن ذلك؟

أيـــــــرين : لأنه خطر لى فى الحال، وقد تملكنى الفزع، أنـــك ميت... منذ عهد بعيد.

الأستاذ روبك : ميت؟

أيـــــــرين : ميت، ميت مثلى تماما، كنا نجلس علـــى شـــاطئ بحيرة تونتز، نحن الجسدين الباردين من الطـــين، وكنا نلعب سويًّا.

الأستاذ روبك : أنا لا أسمى ذلك موتا، ولكنك لا تفهمينني.

أيـــــــرين : أين إذن تلك الرغبة المحرقة التى كنت تحاربهـا وتجاهدها عندما كنت أقف أمامك حـرة كـالمرأة التى بعثت من الموت؟

الأستاذ روبك : لا شك أن حبنا لم يمت يا أيرين.

أيـــــــرين : إن الحب المتـصل بالحيـاة الأرضـية، الحيـاة الأرضية الجميلـة العجيبـة، الحيـاة الأرضـية الغامضة، هذا الحب قد مات فى قلبينا.

الأستاذ روبك : **(بانفعال)** ولكن أتعرفين أن هذا الحب بالذات، مـا زال يحترق ويغلى فى أحشائى كما لم يكن يغلـى من قبل؟

أيـــــــرين : وأنا؟ أنسيت من أكون الآن؟

الأستاذ روبك : كونى من تكونين أو ما تكونين، فلن أهتم بذلك! فلست عندى إلا تلك المرأة التى أراها عندما أحلم بك.

أيـــــــرين : قد وقفت على منصة النماذج، عارية، وأظهـرت نفسى لمئات الرجال، بعدك.

الأستاذ روبك : إنه أنا الذى دفعك إلى ذلك، كنت إذ ذاك أعمى، أنا الذى رفعت تمثال الطين الميت فوق سعادة الحياة، والحب.

أيـــــــرين : **(ترخى نظرها)** لقد فات الأوان، وضاعت الفرصة!

الأستاذ روبك : كل ما حدث فى هذه الفترة لم يخفضك فى نظـرى قيد شعرة.

أيـــــــرين : **(ترفع رأسها)** ولا فى نظرى أنا!

الأستاذ روبك : حسن، ماذا إذن! نحن إذن أحرار، ومازالت أمامنا فسحة من العمر لنحيا حياتنا يا أيرين.

أيـــــــرين : **(تنظر إليه بحزن)** لقد ماتت فىَّ الرغبة فى الحياة يا أرنولد، فها قد بعثت وبحثت عنك حتى وجـدتك، وإذ ذاك رأيت أنك أنت والحياة كليكما ميتان، كما كنت أرقد أنا ميتة.

الأستاذ روبك : ما أكثر شرودك! فها هى الحياة فينا ومن حولنـا تختلج وتضطرب كما لم تكن من قبل!

أيـــــــرين : **(تبتسم وتهز رأسها)** المرأة الشابة فى تمثالك «يوم البعث» تستطيع أن ترى الحياة كلها ترقـد علـى قاعدتها.

الأستاذ روبك : **(يطوقها بذراعيه فى قوة)** إذن دعى اثنين من الموتى، دعينا نحن الاثنين - نحيا حياتنا مرة لنتمتع بكل مـا فيها، قبل أن ننزل إلى قبورنا مرة أخرى!

أيــــــــرين : **(تصرخ)** أرنولد!

الأستاذ روبك : ولكن ليس هنا فى هذا الجو القائم! ليس هنا حيــث يخفق حولنا هذا الكفن المبتل القبيح!

أيــــــــرين : **(فى انفعال شديد)** لا، لا... إلى أعلى حيث النور، وحيث المجد الزاهى كله! إلى أعلى، إلــى قمــة الموعد!

الأستاذ روبك : وهناك نقـيم احــتفالا بزواجــنا يا أيــرين... أوه يا حبيبتى!

أيــــــــرين : **(بفخر)** حيث تشــرق علينا الشمس بلا حجـــاب يا أرنولد.

الأستاذ روبك : ستشرق علينا كل قوى الضياء، وكل قوى الظـــلام أيضا. **(يقبض على يدها)** هل تتبعيننى إذن؟ أوه، يا عروسى الظريفة.

أيــــــــرين : **(وكأنما تبدلت صورها)** أتبعك بحرية وسرور، يــا سيدى ومولاى!

الأستاذ روبك : **(يسحبها معه)** علينا أن نخترق الــضباب أولاً يــا أيرين، ثم...

أيــــــرين : نعم، خلال الضباب كله، ثم نتوجه بعد ذلــك علــى الفور إلى قمة البرج الذى يلمع تحت أشعة الشمس.

(تتجمع سحب الضباب فوق المنظر، يصعد الأستاذ روبك وأيرين وقد تماسكا بأيديهما خــلال الثلوج المتجمعة فى الناحيــة الــيمنى، وفى الحــال تخفيهما السحب المنخفــضة، هبــات العواصــف اللافحة تنوح وتصفر فى الجو. تظهر الراهبة عنــد الصخرة إلى اليسار، تقف وتنظر حواليها فى صمت باحثة)

(يمكن سماع صوت مايا المنتصر وهى تغــنى من الأعماق)

مــــــايــــا : أنا حرة، أنا حرة، أنا حرة

حياتى لن تطيق السجن بعد اليوم فى غمرة

أنا كالطير رفّافًا، سأحيا مثله حرة

(يسمع فجأة من فوق الثلــوج المتجمعــة صوت كالرعد، وتتزلق هذه الثلــوج وتــسقط فى سرعة كبيرة. يمكن رؤية خيال غــامض للأســتاذ روبك وأيرين وهما يسقطان مع الثلوج ويقعان تحتها فتغطيهما).

الـــــراهبة : (تصرخ وهى تمد يديها نحوها وتصيح) أيرين!
(تقف لحظة صامتة ثم ترسم علامـــة الــصليب فى الفضاء وتقول) السلام لكما!
(ما زال صوت مايا الظــافر يــسمع مـــن الأعماق)

«ســـــتار»

چون جابرييل بوركمان

ترجمـــة: محمود سامى أحمـد

مراجعــة: علـــى أدهـــم

شخصيّات المسرحية

* جون جابرييل بوركمان: مدير بنك سابقًا.
* السيدة جنهيلد بوركمان: زوجته.
* إرهارت بوركمان: ابنهما، طالب.
* الآنسة أللا رانثيم: أخت السيدة بوركمان التوأم.
* السيدة فانى ويلتن.
* ويلهلم فولدول: كاتب صغير فى مكتب حكومى.
* فريدا فولدول: ابنته.
* خادمتا السيدة بوركمان.

(تجرى حوادث الرواية فى إحدى أمسيات الشتاء
فى منزل أسرة رانثيم بالقرب من كريستيانيا).

الفصل الأول

المنظر:

(غرفة استقبال مسنـــز بوركمان.

الغرفة مؤثثة بأثاث من طراز قديم، حـــالَ رونقُه.

فى الخلف باب جرار مفتوح يوصـــل إلى شرفة مقفلة ذات نوافذ وباب زجاجى ترى خلاله منظر الحديقة وقت الشفق والثلوج تتساقط.

إلى اليمين باب يوصل إلى الصالة وفى الجزء الأمامى من الجانب الأيمن موقد حديدى كبير من طراز قديم مشعلة فيه النيران.

فى الجانب الأيسر إلى الخلف باب صـــغير ذو مصراع واحد. وفى نفس الناحية إلى الأمـــام نافذة تغطيها ستائر سميكة.

بين الباب والنافذة أريكة من شعر الخيـــل وأمامها منضدة مغطاة بمفرش وعليها مصباح لـــه كمة (أباجورة) وبجوار الموقد كرسى ذو مـــساند عالى الظهر.

تجلس السيدة جنهيلد بوركمان على الأريكة وهى منصرفة إلى أشغال الإبرة، وهى سيدة عجوز ذات مظهر متميز بارد وأخلاق صارمة ووجه جامد، شعرها يغلب عليه البياض، ويداها الرقيقتان ناصعتان، وهى تلبس ثوبًا سميكا من الحرير الغامق الذى كان يوما جميلاً ولكنه الآن قديم رث نوعًا ما، وتضع على كتفيها شالا من الصوف.

تجلس بعض الوقت معتدلة متصلبةً منصرفة إلى أشغال الإبرة – ثم يسمع صوت أجراس زحافة مارة.

السيدة بوركمان : (تتسمع وقد لمعت عيناها سرورًا ثم تقول فى حماسة) إرهارت! أخيرًا!

(تنهض وتزيح الستارة قليلاً لتنظر إلى الخارج، ثم تجلس ثانية على الأريكة متخاذلة، وتستمر فى عملها، وبعد قليل تدخل الخادمة من الصالة حاملة بطاقة زيارة على صينية صغيرة)

السيدة بوركمان : (بسرعة) هل جاء السيد إرهارت أخيرًا؟

الخادم : كلا يا سيدتى ولكن هناك سيدة.

السيدة بوركمان : (تضع أشغال الإبرة جانبًا) أوه، السيدة ويلتــون. أظن...

الخــــــــادم : (تقترب) كلا، إنها سيدة غريبة...

السيدة بوركمان : (تأخذ البطاقة) فلنر... (تقرأها ثم تنهض مسرعة وتنظر إلى الفتاة، متفحصة) أواثقةٌ أنت أن هـذه لي؟

الخــــــــادم : نعم، فهمت أنها لك يا سيدتى.

السيدة بوركمان : أقالت إنها تريد مقابلة السيدة بوركمان؟

الخــــــــادم : نعم، هذا ما قالته.

السيدة بوركمان : (تقول فجأة فى عزم) حسن، قولى لها إذن إنـى هنا.

(تفتح الخادم الباب للسـيدة الغريبـة ثم تنصرف فتدخل الآنسة أللا رانثيم الـتى تـشبه أختها، إلا أن وجهها يعبر عن الألم أكثر مما يعـبر عن الجمود ومازالت فيه وآثار جمال رائع قـديم، كما يدل على قوة الشخصية، شـعُرها الغزيـر الأبيض ممشط إلى الخلف فى تموجـات طبيعيـة، تلبس ملابس من القطيفة السوداء تتكـون مـن

ثوب وقبعة ومعطف به خطوط من الفرو. تقف الأختان صامتتين مدة وكل منهما تنظر إلى الأخرى بإمعًان، وقد وضح أن كل واحدة تنتظر الأخرى لتبدأ الكلام)

أللا رانثيم : (ما زالت واقفة قرب الباب) رؤيتك إياى تدهشك يا جنهيلد!؟

السيدة بوركمان : (تقف منتصبة بلا حراك بين الأريكة والمنضدة وقد وضعت أطراف أصابعها على المفرش) ألم ترتكبى خطأً؟ إن المحضر يسكن الجناح الجانبى كما تعرفين.

أللا رانثيم : ما جئت اليوم لأرى السيد.

السيدة بوركمان : إذن فأنا التى تريدينها؟

أللا رانثيم : نعم، فلى معك حديث قصير.

السيدة بوركمان : (تتقدم إلى منتصف الحجرة) حسن، اجلسى إذن.

أللا رانثيم : شكرا لك، ولكنى أستطيع الوقوف فى الوقت الحاضر.

السيدة بوركمان : كما تشائين ولكن على الأقل فكى أزرار معطفك.

أللا رانثيم : (تفك أزرار المعطف) نعم، فالحرارة هنا شديدة.

السيدة بوركمان : إنى أشعر بالبرد على الدوام.

أللا رانتيم : **(تنظر إليها وقد وضعت يديها على ظهر الكرسى ذى المساند)** لقد مضت ثمانى سنوات منذ آخر لقاء لنا يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : **(ببرود)** منذ تحادثنا معًا على كل حال.

أللا رانتيم : نعم، منذ تحادثنا معًا، فأظنك كنت ترينني من حين إلى حين، عندما كنت أحضر فى زيارتى السنوية للسيد.

السيدة بوركمان : رأيتك مرة أو مرتين.

أللا رانتيم : وقد لحظتك أنا أيضًا مرة أو مرتين، هناك عند النافذة.

السيدة بوركمان : إذن لا بد أنك رأيتنى خلال الستائر، فنظرك حاد. **(بصوتٍ خشنٍ جارح)** ولكن آخر مرة تحادثنا فيها، كانت هنا فى هذه الحجرة.

أللا رانتيم : **(محاولة إيقافها)** نعم، نعم، أعرف ذلك يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : فى الأسبوع السابق، السابق لإطلاق سراحه.

أللا رانتيم : **(تتراجع)** أوه، لا تتحدثى عن ذلك.

السيدة بوركمان : (**بثباتٍ ولكن بصوت خافت**) كـان ذلـك فـي الأسبوع الذى سبق، سبقٍ نيل حريته.

أللا رانتيـــم : (**مؤنبة**) أوه، نعم، نعم، نعم! أبدًا لن أنسى ذلـك الوقت! ولكن مـا أفظـع التفكيـر فيـه! ولـو لاسترجاعه لحظة واحدة... أوه!

السيدة بوركمان : (**واجمة**) ومع ذلك فأنا لا أستطيع التفكير فى أمر سواه! (**فى عنف وهى تعتصر يديها**) كـلا، لـن أستطيع فهم ذلك! أبدا لن أسـتطيع! لـيس فـى استطاعتى أن أفهم كيف أن شيئًا مثل هذا، شـيئا بهذه الفظاعة يحل بأسرة واحدة! ثم... تكون هذه الأسرة هى أسرتنا! أسرتنا العريقـة! تـصورى كيف نُختار نحن من بين الجميع!

أللا رانتيـــم : أوه، يا جنهيلد.. هناك أسر كثيرة، كثيـرة جـدًا غير أسرتنا أصابها نفس السهم.

السيدة بوركمان : أوه، نعم، ولكن هذه الأسر الأخـرى لا تهمنـى كثيرًا فلم يكن الأمر لديهم متعلقًا إلا بمبلغ قليل، أو بعض الأوراق، أما بالنسبة لنا! بالنسبة لـى! ثم بالنسبة لإرهارت! طفلى الصغير... كما كان

إذ ذاك! **(فى انفعال يتزايد)** فهو العار الذى لطخنا نحن البريئين! والهوان! الكريه الفظيع! ثم الدمار الشامل أيضًا!

أللا رانثيـــــــم : **(بحذر)** خبرينى يا جنهيلد، كيف احتمل هو الأمر؟

السيدة بوركمان : أتعنين إرهارت؟

أللا رانثيـــــــم : لا، بل أعنيه هو نفسه. كيف احتمله؟

السيدة بوركمان : **(باحتقار)** أتحسبيننى أسأل يومًا عن ذلك؟

أللا رانثيـــــــم : تسألين؟ لستُ ولا شك، فى حاجة إلى السؤال.

السيدة بوركمان : **(تنظر إليها فى دهشة)** لا أظنك تحسين أن لى به أى علاقة، أو أننى قابلته قط أو حتى لمحته؟!

أللا رانثيـــــــم : لا يمكن أن يصل الأمر إلى هذا الحد!

السيدة بوركمان : الرجل الذى كان فى السجن، والذى قضى فى السجن خمس سنوات. **(تغطى وجهها بيديها)** أوه، يا لهذا الخزى المذل! **(فى عنف يتزايد)** وبعد ذلك التفكير فى كل ما يحمله اسم جون جابرييل بوركمان من معان! كلا، كلا، كلا، أبدًا لن أستطيع رؤيته ثانية! أبدًا!

أللا رانتيـــــم : (تنظر إليها لحظة) ما أقسى قلبك يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : عليه، نعم.

أللا رانتيـــــم : وهو مع ذلك زوجك.

السيدة بوركمان : ألم يقل فى المحكمة إنى أنا التى بدأت خرابـــه؟ وإننى كنت أبذِّر المال بلا مبالاة؟

أللا رانتيـــــم : (مستدرجة) ولكن، أليس فى ذلـــك شـــىء مـــن الصحة؟

السيدة بوركمان : ولكنه هو نفسه الذى دفعنى إلى ذلك! هو الذى أصر على أن نعيش عيشة الإسراف الخرقاء هذه.

أللا رانتيـــــم : نعم هذا ما أعلمه، ولكن هذا بالضبط ما كان يجب عليك أن تعارضيه فيه، وقد وضح أنك لم تفعلى..

السيدة بوركمان : وأنَّى لى أن أعرف أن ما أعطانيه مـــن نقـــود لأبذِّرها ليست ملكًا له؟ ثم إنه هو أيـــضًا كـــان مسرفا، مسرفا أضعاف أسرافى.

أللا رانتيـــــم : (بهدوء) على العموم، أظن أنه كان مضطرًّا إلى ذلك بحكم مركزه... إلى حدٍّ ما على كل حال.

السيدة بوركمان : (باحتقار) نعم، كانت دائما نفس الجملة... يجـــب أن «نظهر بمظهر عظيم»، وقد «ظهر بمظهـــر

عظيم» لغرض ما ! كان من عادته أن يركب عربة تجرها أربعة جياد كأنما هو ملك، وكان يجد من الناس من ينحنون له وينكسون رءوسهم كما يفعلون مع الملك **(تضحك)** وكانوا دائمًا ينادونه باسمه الأول، فى كل أنحاء المنطقة. كأنما أصبح الملك نفسه «جون جابرييل»، «جون جابرييل»، كل إنسان يعرف كم كان «جون جابرييل» عظيما!

أللا رانثيم : **(بحرارة وتأكيد)** وقد كان رجلاً عظيمًا إذ ذاك.

السيدة بوركمان : نعم، كانت كل المظاهر تؤيد ذلك، ولكنه ما حدثنى قط عن مركزه الحقيقى، ولا بكلمة واحدة... وما أشار قط إلى موارده التى حصل منها على ثروته.

أللا رانثيم : طبعًا، طبعًا، حتى الناس الآخرون ما كانوا يحلمون بمعرفة هذه الموارد.

السيدة بوركمان : لست أهتم بالآخرين من الناس، ولكن كان من واجبه أن يصدقنى القول، وهذا ما لم يفعله قط! بل ظل يكذب على، يكذب، كذبًا كريهًا.

أللا رانتيم : **(تقاطعها)** لا تقولى ذلك يا جنهيلد، ربما كان يخفى هذه الأشياء، ولكنى واثقة من أنه ما كان يكذب.

السيدة بوركمان : لا بأس، لا بأس، سمِّى ذلك ما شئت من الأسماء، فلن يتغير من الأمر شىء، ثم تحطم كل شىء... تحطم عن آخره.

أللا رانتيم : **(لنفسها)** نعم، كل شىء تحطم، بالنسبة له، وللآخرين.

السيدة بوركمان : **(تعتدل فى جلستها، وتقول فى وعيد)** ولكن أخبرك الآن يا أللا أننى لم أيأس بعد، وسأصلح ما فسد من أمرى، ولتضعى ذلك فى ذهنك!

أللا رانتيم : **(فى لهفة)** تصلحين من أمرك! ماذا تعنين بذلك؟

السيدة بوركمان : أستعيد اسمى وشرفى وثروتى! أصلح حياتى المحطمة. هذا ما أعنيه! ودعينى أخبرك أن هناك من حفظته لذلك، شخصا سيزيل كل لطخة تركها الآخر.

أللا رانتيم : جنهيلد، جنهيلد!

السيدة بوركمان : **(فى انفعال متزايد)** قلت لك إن هناك من سـينتقم لى! شخص سيصلح ما لحقنى من زلات أبيه!

أللا رانتيـم : تعنين إرهارت.

السيدة بوركمان : نعم، إرهارت، ابنى الوحيد! سيصلح الأسـرة والمنزل والاسم، وكل مـا يمكـن إصـلاحه... وربما أشياء أخرى أيضًا.

أللا رانتيـم : وكيف تحسبينه يفعل ذلك؟

السيدة بوركمان : يجب أن يفعل ذلك كأحسن ما يكـون، لا أدرى كيف، ولكنى أعرف أنه يجب عليه أن يفعل ذلك وسيفعله. **(تنظر إليها متفحصة)** قولى الحق يـا أللا، أليس ذلك فى الحقيقة هو ما خطـر ببالـك أنت أيضًا منذ كان طفلا؟

أللا رانتيـم : لا أستطيع قول ذلك بالضبط.

السيدة بوركمان : كلا؟ إذن لماذا عنيت به عندما هبـت العاصـفة المخربة على... على هذا المنزل؟

أللا رانتيـم : لأنك ما كنت تستطيعين أنت نفسك يا جنهيلد فى ذلك الوقت العناية به.

السيدة بوركمان : لا، لا، ما كنت أستطيع، أما أبوه... فقد كان لديه عذر حقيقى كاف، إذ كان هناك تحت الحفظ.

ألـلا رانتيـــــم : (فى سخط) أوه، كيف تستطيعين قول مثل ذلك الكلام! أنت!؟

السيدة بوركمان : (فى حقد ظاهر) وكيف قررت أنت أن تعملى على الاحتفاظ بابن من يدعى... جون جابرييل كأنما هو ابنك أنت!؟ تأخذين الطفل بعيدا عنى، وترحلين معه إلى منزلك، وتحتفظين به عاما بعد عام حتى كاد الطفل يصبح شابًّا (**تنظر إليها فى ريبة**) ماذا كان الدافع الحقيقى لك يا أللا؟ لماذا احتفظت به عندك؟

ألـلا رانتيـــــم : لقد أحببته كل الحب...

السيدة بوركمان : أكثر مما أحبه أنا؟ أنا أمه؟

ألـلا رانتيـــــم : (فى مواربة) لست أعرف عن ذلك شيئًا، ثم إن إرهارت كان إذ ذاك كما تعلمين طفلا رقيقا.

السيدة بوركمان : إرهارت؟ رقيق!؟

ألـلا رانتيـــــم : نعم، هذا ما ظننته... فى ذلك الوقت على أى حال، وأنت تعلمين أن جو الشاطئ الغربى أكثر اعتدالا من هنا.

السيدة بوركمان : (تبتسم فى مرارة) هم... حقـا؟ (محاولـة إنهـاء الموضوع) نعم، لقد فعلت الكثير حقا لإرهـارت (تغير نغمة صوتها) حسن، كان فـى إمكانـك ولا ريب تقديم كل هذه الخدمات. (تبتـسم) كنـت مجدودة كل الجد يا أللا، إذ عملت على الاحتفاظ بجميع أموالك.

أللا رانثيـم : (فى ألم) أؤكد لك أنى لم أقم بأى عمل فـى ذلـك السبيل، بل إنى لم تكن لدى أية فكـرة عـن أن التأمينات الخاصة بى لم تمس... إلا بعد مـرور وقت طويل، طويل.

السيدة بوركمان : على العموم أنا لا أفهم شيئًا فى مثل هذه الأمور! ولم أقل إلا أنك مجدودة. (تنظر إليها متـسائلة) ولكن عندما قررت بمحض إرادتك أن تقـومى بتعليم إرهارت بالنيابة عنى، ماذا كـان الـدافع الأساسى لك؟

أللا رانثيـم : (تحملق فيها) الدافع لى؟

السيدة بوركمان : نعم، لا بد وأن لك دافعًا أيا كـان. مـاذا كنـت تريدين فعله معه؟ أعنى ماذا كنـت تريـدين أن تفعلى به؟

أللا رانتيـــــــم : (ببطء) أردت أن أمهد الطريق لإرهارت ليحيـــا حياة سعيدة.

السيدة بوركمان : (باحتقار) يوه، إن مَنْ كانوا فى مثل موقفنا لديهم ما يفكرون فيه غير السعادة.

أللا رانتيـــــــم : ماذا إذن؟

السيدة بوركمان : (فى ثباتٍ وجد) يجب على إرهـــارت قبـــل أى شىء آخر أن يهيئ لنفسه مركزًا كبيرًا، يكفـــى لمحو كل أثر من ذلك العار الذى لطخ به أبـــوه اسمى واسم ابنى.

أللا رانتيـــــــم : (متسائلة) خبرينى يا جنهيلد، أهذا بالذات هو ما يريده إرهارت من حياته؟

السيدة بوركمان : (تتراجع قليلاً) نعم، هذا ما أرجوه!

أللا رانتيـــــــم : أليس ذلك أقرب إلى أن يكون ما تطلبينـــه أنـــت نفسك منه؟

السيدة بوركمان : (بجفاف) إن مطالبنا أنا وإرهارت دائما واحدة.

أللا رانتيـــــــم : (فى حزن وبطء) أنت إذن واثقة مـــن ابنـــك يـــا جنهيلد تمام الثقة؟

السيدة بوركمان : (فى نصر خفى) نعم، تمام الثقة، وشكرا لله، تأكدى من ذلك!

اللا رانتيم : أظن أنك – ولا شك فى ذلك – سعيدة، على الرغم من كل شيء آخر.

السيدة بوركمان : نعم إنى لسعيدة... لهذا السبب فقط، ولكن بعد ذلك وفى كل لحظة تتدفع إلىَّ الأفكار الأخرى وكأنها العاصفة.

اللا رانتيم : (تتغير نبرات صوتها) خبرينى، وليكن ذلك فى الحال، فهذا فى الحقيقة ما جئت لاجله.

السيدة بوركمان : ماذا؟

اللا رانتيم : إنه أمر رأيت من الواجب أن أتحدث إليك فيه. خبرينى، ألا يعيش إرهارت هنا مع... معكما.

السيدة بوركمان : (بخشونة) لن يستطيع إرهارت العيش هنا معى، فهو مضطر لسكنى المدينة.

اللا رانتيم : وهذا ما أخبرنى به فى خطاباته.

السيدة بوركمان : إنه مضطر لذلك بسبب دراسته، ولكنه يأتى إلىَّ كل ليلة ليبقى معى برهة قصيرة.

ألا رانثيم : حسن، هل لى أن أراه إذن؟ هل أستطيع أن أحادثه على الفور؟

السيدة بوركمان : إنه لم يأتِ بعد، ولكنى أنتظر وصوله بين لحظة وأخرى.

ألا رانثيم : كيف يا جنهيلد؟ لا شك أنه وصل، ففى إمكانى سماع صوت خطواته فى الطابق العلوى.

السيدة بوركمان : **(تنظر إلى أعلى نظرة سريعة)** هناك فى القاعة الطويلة؟

ألا رانثيم : نعم، فقد سمعته يسير ذهابا وجيئة فى القاعة منذ حضرت.

السيدة بوركمان : **(تحول نظرها عنها)** إنه ليس إرهارت يا ألا.

ألا رانثيم : **(فى دهشة)** ليس إرهارت؟ **(فى تكهن)** من يكون إذن؟

السيدة بوركمان : إنه هو.

ألا رانثيم : **(بهدوء وهى تغالب ألمها)** بوركمان؟ جون جابرييل بوركمان؟

السيدة بوركمان : إنه يسير هكذا ذهابًا وجيئة، من أقصى القاعة إلى أقصاها، من الصباح حتى المساء، يومًا بعد يوم.

ألــلا رانثيـــم : سمعت شيئًا كهذا.

السيدة بوركمان : أظن أن الناس يجدون الكثير الذى يروونه عنا، ولا ريب فى ذلك.

ألــلا رانثيـــم : حدثنى إرهارت فى خطاباته عن ذلك، قال إن والده يقضى أغلب أوقاته فى الطابق العلوى، وحيدًا... وأنك تبقين وحيدة هنا.

السيدة بوركمان : نعم، هذا ما سرنا عليه يا أللا منذ أفرجوا عنه وأرسلوه إلىَّ فى المنزل، كل هذه السنوات الثمانى الطوال.

ألــلا رانثيـــم : ما كنت أعتقد قط أن من الممكن حدوث ذلك، فهو أمر يبدو مستحيلاً!

السيدة بوركمان : **(تحنى رأسها موافقة)** إنه كذلك، ولا يمكن أن يكون غير ذلك.

ألــلا رانثيـــم : **(تنظر إليها)** لا بد أنها حياة فظيعة يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : بل أسوأ من فظيعة، إنها حياة لا تطاق.

ألــلا رانثيـــم : نعم، لا بد أنها كذلك.

السيدة بوركمان : أن تسمعى دائمًا خطواته فى الطابق العلوى، من الصباح المبكر حتى ساعة متأخرة من الليل، في

هذا المنزل الذى تسمع فيه الأصوات بغاية الوضوح!

أللا رانثيم : نعم، ما أغرب وضوح الصوت هنا.

السيدة بوركمان : أحس غالبا وكأن ذئبًا مريضًا يقطع قفصه مجيئًا وذهابا فى الصالة، فوق رأسى تماما **(تتسمع ثم همس)** أنصتى! ألا تسمعين؟ إلى الخلف وإلى الأمام، جيئة وذهابا، يسير الذئب.

أللا رانثيم : **(فى محاولة)** ألا يمكن حدوث أى تغيير يا جنهيلد؟

السيدة بوركمان : **(باشارة رادعة)** إنه لم يحاول أن يخطو خطوة واحدةً صغيرة ليغير من الموقف.

أللا رانثيم : ألم تقومى أنت إذن بالخطوة الأولى؟

السيدة بوركمان : **(فى حنق)** أنا!؟ بعد كل ما ارتكبه فى حقى من أخطاء!؟ كلا، وشكرًا لك! أفضل أن يظل الذئب فى تجواله هناك.

أللا رانثيم : إن حرارة هذه الحجرة أكثر مما احتمله، فلتسمحى لى بخلع معطفى وقبعتى.

السيدة بوركمان : نعم، لقد طلبت منك ذلك.

(تخلع أللا رانثيم قبعتها ومعطفها وتضعها على مقعد بجوار الباب الموصل إلى الصالة)

ألـلا رانثيـــــم : ألم يحدث أن قابلته قط خارج المنزل؟

السيدة بوركمان : (تضحك بمرارة) تعنين فى المجتمعات؟

ألـلا رانثيـــــم : أعنى عندما يخرج ليتمشى فى الغابات أو...

السيدة بوركمان : إنه لا يخرج أبدا.

ألـلا رانثيـــــم : حتى ولا وقت الغروب؟

السيدة بوركمان : أبدًا.

ألـلا رانثيـــــم : (متأثرة) ألم يستطع إقناع نفسه بالخروج؟

السيدة بوركمان : أظن ذلك، فمعطفه الكبير وقبعته معلقان فى الخزانة، الخزانة التى فى الصالة، كما تعلمين.

ألـلا رانثيـــــم : (لنفسها) الخزانة التى اعتدنا الاختفاء فيها ونحن صغار.

السيدة بوركمان : (تحنى رأسها موافقة) وبين الحين والحين... فى ساعة متأخرة من الليل، كنت أسمعه وهو ينزل من الطابق العلوى كأنما يريد الخروج، ولكنه كان دائمًا يتوقف فى منتصف الطريق وهو يهبط الدرج، ثم يعود ثانية... قاصدًا القاعة مباشرة.

ألـلا رانثيـــــم : (بهدوء) ألا يزوره أحد من أصدقائه الأقدمين؟

السيدة بوركمان : ليس له أصدقاء قدماء.

أللا رانتيم : كان له الكثيرون... وقتًا ما.

السيدة بوركمان : هم! لقد تذرع بخير الطرق للتخلص منهم، فقد كان صديقًا عزيزًا لأصدقائه، كان كذلك جون جابرييل.

أللا رانتيم : أوه، نعم، هذا حق يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : **(بعنف)** لن يغير ذلك من الأمر شيئًا، وإنها في عرفي لحقارة ودناءة ووضاعة وصغارٌ أن يحسبوه هو سبب آلامهم، لأنه أضاع عليهم القليل من المال، فهم لم يفقدوا إلا المال، ولا شيء غيره.

أللا رانتيم : **(لا تجيبها)** إذن فهو يعيش في الطابق العلوي منفردًا، وحيدًا وحدة تامة.

السيدة بوركمان : نعم، هو كذلك في الواقع، وقد أخبروني أن عجوزًا من مستخدميه أو الكتبة أو شيء من هذا القبيل يأتي لزيارته بين الحين والحين.

أللا رانتيم : آه. حقا؟ لا شك أن اسمه فولدول، فأنا أعلم أنهما كانا صديقين من عهد الشباب.

السيدة بوركمان : نعم، أعتقد أنهما كانا كذلك، ولكنـــى لا أعــرف عنه شيئاً، فلم يكن من زوارنا... يوم كـــان لنـــا زوار.

أللا رانتيـــــــم : إذن فهو يزور بوركمان الآن؟

السيدة بوركمان : نعم، إنه يتنازل ويزوره، ولكنه لا يزوره بالطبع إلا تحت ستار الظلام.

أللا رانتيـــــــم : هذا الرجل فولدول، إنه أحد الذين فقدوا أمـــوالهم عندما أفلس البنك.

السيدة بوركمان : (بلا عناية) نعم، أظنني سمعت أنه فقـــد بعـــض المال، ولكن لا شك أنه كان مبلغًا ضئيلاً جدًا.

أللا رانتيـــــــم : (بتأكيد خفيف) إنه كان كل ما يملك.

السيدة بوركمان : (تبتسم) أوه، إذن فما كان يملكــه كـــان مبلغـــا ضئيلاً... لا يمكن التحدث عنه.

أللا رانتيـــــــم : ولم يتحدث عنه، أعني فولدول، أثناء التحقيق.

السيدة بوركمان : على كل حال، أؤكد لك أن إرهارت قد عوّضـــه التعويض الكافى عن ذلك المبلغ الضئيل الـــذى فقده.

أللا رانثيـــــم : (بدهشة) إرهارت!؟ كيف أمكـن إرهــارت أن يفعل ذلك؟

السيدة بوركمان : إنه يميل نوعًا إلى ابنة فولدول الصغرى، فعلمها أشياء كثيرة وساعدها على أن تطرق الطريــق الموصل إلى العمل، وستستطيع يومًا أنْ تكفــى نفسها بنفسها، وأظن أن هذا أكثر مما كان يمكن أن يفعله أبوها لها.

أللا رانثيـــــم : نعم، فإنى أظن أن أباها لا تساعده حالته الماليــة على فعل الكثير.

السيدة بوركمان : ثم ساعدها إرهارت على تعلم الموسـيقى، وقـد تقدمت كثيرا حتى إنه أصبح فى استطاعتها الآن أن تصعد إلى... إليه فى الطابق العلوى لتعزف له بعض الأدوار.

أللا رانثيـــــم : ما زال إذن شغوفًا بالموسيقى؟

السيدة بوركمان : أوه، نعم، أظنه شغوفا بها، وعنده بالطبع البيــانو الذى أرسلته إلينا... عندما كانت عودته منتظرة.

أللا رانثيـــــم : وهى تعزف له عليه؟

السيدة بوركمان : نعم بين الحين والحين... فى بعض الأمسيات، وهذا أيضًا من تدبير إرهارت.

أللا رانتيم : وهل تضطر الفتاة المسكينة إلى قطع كل هذا الطريق من المدينة إلى هنا ثم العودة ثانية؟

السيدة بوركمان : لا، إنها ليست مضطرة إلى ذلك، فقد رتب إرهارت الأمر، وأسكنها عند سيدة تعيش بالقرب منا... سيدة تدعى السيدة ويلتن.

أللا رانتيم : **(باهتمام)** السيدة ويلتن؟

السيدة بوركمان : امرأة واسعة الغنى، لا تعرفينها.

أللا رانتيم : لقد سمعت باسمها، السيدة فانى ويلتن، أليس كذلك؟

السيدة بوركمان : نعم، هى تمامًا.

أللا رانتيم : قد ذكرها إرهارت مرات عديدة، أتسكن هنا الآن؟

السيدة بوركمان : نعم قد أجرت فيلا هنا، وتركت المدينة من زمن.

أللا رانتيم : **(بشىء من التردد الخفيف)** يقال إنها طلقت من زوجها.

السيدة بوركمان : لقد مات زوجها منذ سنوات عديدة.

ألّلا رانثيـــــــم : نعم، ولكنهما كانا مطلقين، فقــد حــصل علـــى الطلاق.

السيدة بوركمان : لقد هجرها، نعم هجرها، وإنى لواثقةٌ أن الخطـــأ ليس خطأها.

ألّلا رانثيـــــــم : تعرفينها معرفة وثيقة يا جنهيلد؟

السيدة بوركمان : أوه، نعم، معرفة وثيقة جدًا، فإنها تــسكن علـــى مقربة منا، وتزورنا بين الحين والحين.

ألّلا رانثيـــــــم : وهل تحبينها؟

السيدة بوركمان : إن ذكاءها غير عادى، وحكمها واضحٌ صوابه.

ألّلا رانثيـــــــم : تعنين حكمها على الناس؟

السيدة بوركمان : نعم، وبخاصة على الناس، لقد درست إرهـــارت دراسة محققة، حللت أخلاقـــه تحلـــيلاً دقيقًـــا... وفهمت روحه فهمًا تامًا، وكانت النتيجـــة أنهـــا تعبده، ولم يكن فى وسعها أن تفعل غير ذلك.

ألّلا رانثيـــــــم : **(بقليل من الدهاء)** لعلها إذن عرفـــت إرهـــارت أكثر مما عرفتك.

السيدة بوركمان : نعم فقد كان إرهارت يزورها كثيرًا فى المدينـــة قبل أن تنتقل للسكنى هنا.

ألللا رانثيم : **(بدون تفكير)** وعلى الرغم من ذلك تركت المدينة؟

السيدة بوركمان : **(تتراجع فى دهشة، وتنظر إليها مدققة)** وعلى الرغم من ذلك، ماذا تعنين؟

أللا رانثيم : **(فى مواربة)** أوه، لا شىء على التحديد.

السيدة بوركمان : لقد قلتها بطريقة غريبة. إنك تعنين شيئًا بذلك يا أللا؟!

أللا رانثيم : **(تواجهها بنظراتها)** نعم، هذا حقيقى يا جنهيلد، فإن هناك ما أعنيه بذلك.

السيدة بوركمان : حسن، قوليه إذن.

أللا رانثيم : دعينى أخبرك أولاً أن لى أنا أيضًا بعض الحق على إرهارت، ألا تظنين ذلك؟

السيدة بوركمان : **(تنظر حواليها فى الحجرة)** لا شك، بعد كل ذلك المال الذى أنفقته عليه.

أللا رانثيم : أوه، ليس لهذا السبب يا جنهيلد ولكن لأنى أحبه.

السيدة بوركمان : **(تبتسم فى احتقار)** ابنى؟ أهذا محتمل؟ أنت؟ رغم كل شىء؟

أللا رانثيم : نعم، ممكن... رغم كل شىء، وهو حقيقى أيضًا، إنى أحب إرهارت، كأقوى ما أشعر به من حب نحو أى إنسان... الآن... فى سنى حياتى هذه.

السيدة بوركمان : لا بأس، لا بأس، لنفرض إنك تحبينه... ماذا بعد؟

أللا رانثيم : إذ ذاك أضطرب إذ أرى شيئًا يهدده.

السيدة بوركمان : يهدد إرهارت؟ كيف؟ ماذا يمكن أن يهدده؟ أو من ذا الذى يهدده؟

أللا رانثيم : أنت أولاً... بطريقتك.

السيدة بوركمان : **(بعنف)** أنا!؟

أللا رانثيم : وثانيا أخشى أن تكون هذه السيدة ولتن أيضًا.

السيدة بوركمان : **(تنظر إليها لحظة وقد عقدت الدهشة لسانها)** وتظنين مثل هذه الظنون بإرهارت؟ ابنى الوحيد! هو الذى عليه واجبٌ مقدسٌ عظيم يجب أن يتمه!

أللا رانثيم : **(بخفة)** أوه، واجبه المقدس!

السيدة بوركمان : **(بغيظ)** كيف تجرئين على قول ذلك بلهجة الازدراء هكذا؟

ألّلا رانتيـــــم : أتظنين أن شابًّا فى عمر إرهارت مملوءًا صحةً ومرحًا... أتظنينه سيضحى بنفسه من أجل، من أجل «واجب مقدس»؟

السيدة بوركمان : **(فى حزم وتأكيد)** سيفعل إرهارت.. إنى على ثقة من ذلك.

ألّلا رانتيـــــم : **(تهز رأسها)** إنك لا تثقين بهذا ولا تؤمنين به يـا جنهيلد.

السيدة بوركمان : أنا لا أومن به!

ألّلا رانتيـــــم : ليس إلا حلمًا خلقته لنفسك، لأنك لو لم تتـشبثى بمثل هذا الحلم لتملكك اليأس التام.

السيدة بوركمان : نعم، لا شك أن اليأس يتملكنى. **(بعنف)** وأظن أن هذا ما تودين رؤيته يا ألّلا.

ألّلا رانتيـــــم : **(ترفع رأسها)** نعم، أفضل أن أرى ذلك مـن أن أراك تصلحين من شأنك على حساب إرهارت.

السيدة بوركمان : **(متوعدة)** أتريدين الوقيعة بيننا؟ بين أم وابنهـا؟ أنت؟

ألّلا رانتيـــــم : إنما أريد أن أحرره من قوتك... من إرادتـك... من سلطتك الغاشمة.

السيدة بوركمان : (فى انتصار) لقد فات الأوان! لقد أمسكته فى شباكك كل هذه الأعوام... حتى بلغ الخامسة عشرة، ولكنى الآن أسترجعته. أترين!؟

أللا رانثيم : إذن سأسترده منك ثانية. (بصوت خشنٍ شبه هامس) لقد كانت بيننا من قبل يا جنهيلد حرب حياة أو موت، من أجل روح رجل.

السيدة بوركمان : (تنظر إليها منتصرة) نعم وقد انتصرت عليك.

أللا رانثيم : (تبتسم فى احتقار) أما زلت تظنين أن النصر يساوى ما أجتنيه.

السيدة بوركمان : (فى وجوم) كلا، والله يعلم أنك على صواب فى ذلك.

أللا رانثيم : لا حاجة بك إلى التطلع هذه المرة أيضًا إلى نصر يساوى ما يمكن اجتناؤه منه.

السيدة بوركمان : ولكنى هذه المرة أحارب فى سبيل تأكيد سلطة الأم على ابنها.

أللا رانثيم : كلا، إنما تريدين التسلط عليه.

السيدة بوركمان : وأنت؟

أللا رانثيم : (فى حرارة) أريد مودته... روحه... كل قلبه.

السيدة بوركمان : (ثائرة) هذا ما لن تناليه طول حياتك.

ألـلا رانثيــــم : (محدقة فيها) وهل دبرت الأمر لذلك؟

السيدة بوركمان : (مبتسمة) نعم، سمحت لنفسى بذلك. ألم تلاحظى شيئًا فى رسائله؟

ألـلا رانثيــــم : (تخفض رأسها عدة مرات ببطء) نعم لقد لاحت لى صورتك... صورتك الكاملة... فى كل رسائله الأخيرة.

السيدة بوركمان : (فى إثارة) لقد انتهزت كل الفرص الممكنة فى هذه السنوات الثمانى، ولم أغفل عنه لحظة. أفهمت؟

ألـلا رانثيــــم : (تضبط زمام نفسها) ماذا قلت لإرهارت عنى؟ أيمكنك إخبارى بكل ما قلته.

السيدة بوركمان : أوه، نعم... يمكننى أن أخبرك بكل ما قلته.

ألـلا رانثيــــم : إذن، أرجوك أن تتكلمى.

السيدة بوركمان : ما قلتُ له إلا الصدق.

ألـلا رانثيــــم : إنى منصتة.

السيدة بوركمان : كل يوم من أيام حياته كنتُ مثابرةً على جعله لا ينسى أبدًا أنك أنت التى ندين لها بالمستوى الذى نعيش عليه... بل بالحياة على الإطلاق.

ألــــلا رانثيــــم : أهذا كل شيء؟

السيدة بوركمان : أوه، هذا هو نوع الكلام الذى يؤلم، وإنى لأحس بألمه فى قلبى.

ألــــلا رانثيــــم : ولكن هذا فعلاً ما يعلمه إرهارت.

السيدة بوركمان : عندما عاد إلىَّ كان يحسب أن الدافع لك على ذلك كله ليس إلا طيبة القلب. **(تنظر إليها فى خبث)** ولكنه ما عاد يعتقد بذلك الآن يا ألّلا.

ألــــلا رانثيــــم : ماذا يعتقد الآن إذن؟

السيدة بوركمان : إنه يعرف الآن الحقيقة، فقد سألته عما يظنه السبب فى عدم زيارة خالته ألّلا لنا هنا.

ألــــلا رانثيــــم : **(مقاطعة)** إنه يعرف تماما الأسباب التى تدعونى لذلك!

السيدة بوركمان : وهو يعرف هذه الأسباب الآن أفضل من ذى قبل، لقد جعلته يعتقد أن ذلك لتخففى الخجل عنى و... وعن ذلك الذى فى الطابق العلوى.

ألــــلا رانثيــــم : وهذا هو الحق.

السيدة بوركمان : لم يعد إرهارت يصدق ذلك الآن.

ألــــلا رانثيــــم : ماذا أدخلت فى رأسه؟

السيدة بوركمان : إنه يعلم الآن الحقيقة، وهو أنك ما امتنعت عن زيارتنا إلا لخجلك منا... واحتقارك لنا. وهل تستطيعين التظاهر بعكس ذلك؟ ألم ترتبي الأمر مرة على أن تبعديه عني إلى الأبد؟ تذكري يا ألّلا فما أحسبك تنسين.

ألّلا رانثيم : **(بحركة إنكار)** كان ذلك وقت اشتداد الفضيحة، عندما كانت القضية أمام المحكمة، ولكن ما عادت لي مثل هذه التدبيرات الآن.

السيدة بوركمان : ولن يضيرنا لو أن عندك هذه التدبيرات، وإلا فماذا يكون من أمر الواجب الملقى على عاتقه؟ كلا، وشكرا لك، فإنني أنا التي يحتاج إليها إرهارت... لا أنت. ولذلك يجب أن يكون في نظرك كأنما هو ميت، وأن تكوني في نظره كذلك.

ألّلا رانثيم : **(ببرود وعزم)** سنرى، فإني الآن سأبقى هنا.

السيدة بوركمان : **(تحملق فيها)** هنا؟ في هذا المنزل؟

ألّلا رانثيم : نعم، هنا.

السيدة بوركمان : هنا، معنا؟ تبقين طول الليل؟

ألّلا رانثيـــــــم : بل سأبقى ما بقى لى من أيام لو احتاج الأمر.

السيدة بوركمان : (تتمالك نفسها) لا بأس يا ألّلا، فالبيت بيتك.

ألّلا رانثيـــــــم : أوه، كلام فارغ.

السيدة بوركمان : كل شىء ملكك، إنك تملكين الكرسى الذى أجلس عليه، والفراش الذى أنام وأتقلب عليـــه، حتـــى الطعام الذى نأكله نشتريه بمالك.

ألّلا رانثيـــــــم : أنت تعلمين أن الأمور ما كان يمكن أن ترتـــب على وجه آخر، فبوركمان لا يستطيع أن يمتلـــك شيئًا باسمه؛ وإلا جاء أحد الدائنين وأخذه منه.

السيدة بوركمان : نعم، أعرف ذلك، يجب علينا أن نعيش عالة على رحمتك وإحسانك.

ألّلا رانثيـــــــم : (ببرود) لن أستطيع منعك من النظر إلى الأمـــر على هذه الصورة يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : كلا لن تستطيعى، متى تريدين رحيلنا؟

ألّلا رانثيـــــــم : (تنظر إليها) ترحلين؟

السيدة بوركمان : (بانفعال شديد) نعم، فلست أظنـــك تحـــسبيننى أستطيع العيش معك تحت سقف واحد! ولتعلمـــى إننى أفضل العيش فى أحد الملاجئ أو التـــشرد فى الطرقات.

أللا رانثيم : حسن، دعينى آخذ إرهارت معى إذن.

السيدة بوركمان : إرهارت؟ ابنى الوحيد؟ طفلى؟

أللا رانثيم : نعم، إذ ذاك سأعود فورا إلى منزلى.

السيدة بوركمان : (بعد أن تفكر قليلا تقول بعزم) سيختار إرهارت بنفسه بيننا.

أللا رانثيم : (تنظر إليها فى شك وتردد) هو يختار؟ أتجسرين على تلك المخاطرة يا جنهيلد؟

السيدة بوركمان : (بضحكة قاسية) هل أجسر؟ أن أدع ابنى يختار بين أمه وبينك؟ نعم، إنى أجسر بالطبع!

أللا رانثيم : (تتسمع) هل هناك أحد قادم؟ أظننى سمعت.

السيدة بوركمان : هو إرهارت إذن

(طرقةٌ حادةٌ على الباب الموصل إلى الصالة يفتح بعدها مباشرة، وتدخل السيدة ويلتن فى ملابس السهرة وقد وضعت فوقها معطفها، تتبعها الخادم وقد بان عليها الجزع، لأنها لم تجد الوقت الكافى لتعلن قدومها، يظل الباب نصف مفتوح، والسيدة ويلتن امرأة فى الثلاثين من عمرها نامية الجسم أخاذة الجمال، ذات شفاه عريضة حمراء ضاحكة وعيون لامعة وشعر غزير أسود).

السيدة ويلتن : مساء الخير يا عزيزتى السيدة بوركمان!

السيدة بوركمان : (أقرب إلى البرود) مساء الخير يا سيدة ويلتن.
(مخاطبة الخادمة وهى تشير إلى الشرفة) خذى ذلك المصباح الموجود هناك وأشعليه.

السيدة ويلتن : (ترى اللأ رانثيم) أوه، أرجو المعذرة... فإن عندك زائرة.

السيدة بوركمان : ليس إلا شقيقتى، التى حضرت توًّا من...
(يفتح إرهارت بوركمان الباب نصف المفتوح على مصراعيه ويدخل مندفعًا، وهو شاب لامع العينين ضاحكهما، قد بدا شاربه فى النمو ويلبس ملابس أنيقة)

إرهارت : (يقف على عتبة الباب وقد فاض به السرور)
ماذا أرى!؟ خالتى أللا هنا؟ (يندفع إليها ويقبض على يديها) خالتى، خالتى! أممكن هذا؟ أأنت هنا؟

أللا رانثيم : (تلف يديها حول عنقه) إرهارت، يا بنى العزيز، العزيز! ماذا؟، لقد نموت كثيرًا! أوه، ما أسعدنى إذ أراك ثانية!

السيدة بوركمان : **(بحدة)** ما معنى هذا يا إرهارت؟ أكنت مختبئـــا في الصالة؟

السيدة ويـــلتن : **(بسرعة)** إرهارت... السيد بوركمان جاء معي.

السيدة بوركمان : **(تنظر إليه في شدة)** حقا يا إرهارت! لم تحـــضر إلى أمك أولاً.

إرهــــــــــارت : لقد مررت على السيدة ويلتن للحظة قـــصيرة... لا، ستدعى فريدا الصغيرة.

السيدة بوركمان : أهذه الآنسة فولدول معك أيضًا؟

السيدة ويـــلتن : نعم، وقد تركناها في الصالة.

إرهــــــــــارت : **(مخاطبًا شخصا في الخارج)** يمكنك الصعود إلـــى الطابق العلوي يا فريدا.

(لحظة صمت، اللأ رانثيم تلاحظ إرهارت في حيرته ونفاد صبره وقد بان على وجهه البرود والعصبية، تد خل الخادم حاملة المصباح المشتعل فتضعه في الشرفة ثم تخرج مغلقة الباب وراءها)

السيدة بوركمان : **(بأدب زائف)** حسن يا أستاذة ويلـــتن، إذا كنـــت ستمنحيننا السرور بالسهر معنا الليلة فعلاً...

السيدة ويـــلتن : شكرًا جزيلاً يا سيدتى العزيزة، ولكنى فى الحق لن أستطيع، فلدينا دعوة أخرى، نحن ذاهبان إلى آل هنكل.

السيدة بوركمان : **(تحملق فيها)** نحن؟ ماذا تعنين بكلمة نحن هذه؟

السيدة ويـــلتن : **(ضاحكة)** أوه، كان يجب أن أقول أنـــا، ولكنـــى كُلفت من سيدات المنزل أن أحضر معى الـــسيد بوركمان... إذا اتفق ورأيته.

السيدة بوركمان : وقد اتفق أن رأيته فعلاً، كما هو واضح...

السيدة ويـــلتن : نعم، لحسن الحظ، فقد كان من التوفيق أن يمـــر بمنزلى... لاستدعاء فريدا.

السيدة بوركمان : **(بجفاف)** ولكنى لم أكن أعلم يا إرهارت أنك على معرفة بهذه الأسرة... أسرة هانكل!

إرهـــــــــارت : **(بضيق صدر)** لا، لست أعرفهم تماما.
(ثم يضيف فى نفاد صبر) إنك تعلمين يا أمى خيرًا من أى إنسان آخر من أعرف من الناس ومن لا أعرف...

السيدة ويـــلتن : أوه، لا أهمية لذلك، فإنك ما إن تـــدخل منـــزلهم حتى تحس بالراحة والرضا، إنهم أناسٌ مرحون يكرمون الضيف، ثم إن المنزل ممتلىء بالفتيات.

السيدة بوركمان : (فى تأكيد) إذا كان لى أن أحكم بمعرفتى لابنى يا سيدة ويلتن فإنى أرى أنهم مجموعة لا تصلح له.

السيدة ويلتن : يا للعجب يا سيدتى العزيزة، إنه شاب صغير كما تعلمين!

السيدة بوركمان : نعم، لحسن الحظ إنه صغير، فإن المطلوب أن يكون صغيرًا.

إرهارت : **(يكشف عن نفاد صبره)** كفى، كفى، كفى يا أمى، فمن الواضح أننى لن أذهب هذا المساء إلى منزل آل هنكل، لأنى سأبقى بالطبع معك ومع خالتى أللا.

السيدة بوركمان : كنت أعلم أنك ستفعل ذلك يا عزيزى إرهارت.

أللا رانثيم : كلا يا إرهارت، لن أدعك تبقَىْ فى البيت من أجلى.

إرهارت : كلا، بالطبع، لن أفكر فى الذهاب يا خالتى العزيزة. **(ينظر إلى السيدة ويلتن فى شك)** ولكن كيف نتصرف فى الأمر؟ هل أستطيع التخلص من هذه الدعوة؟ فإنك وافقت على الدعوة نيابة عنى، أليس كذلك؟

السيدة ويلتن : **(بمرح)** ما هذا الكلام الفارغ!؟ لا تستطيع التخلص من الدعوة!؟ عندما أدخل القاعة المرحة وحيدة مهجورة... تصور ذلك! عندئذٍ سأرفض الدعوة نيابة عنك.

إرهارت : **(مترددًا)** حسن، إذا كنت حقيقة تعتقدين أنى أستطيع التخلص...

السيدة ويلتن : **(تبعد الموضوع بخفة)** لقد تعودت دائما على أن أقبل وأرفض فى نفس الوقت... لحسابى الخاص، وأنت بالطبع لا يمكنك الخروج وترك خالتك التى حضرت توًّا.. يا للعار يا سيد إرهارت... أتكون هذه معَاملة الابن البار؟

السيدة بوركمان : **(فى غضب)** الابن؟

السيدة ويلتن : فلنقل الابن المتبنى إذن يا سيدة بوركمان.

السيدة بوركمان : نعم، كان يجب أن تقولى ذلك.

السيدة ويلتن : أوه، يخيل إلىَّ أننا غالبا ما تكون أكثر تقديرًا لجميل مربيتنا منا لأمنا الحقيقية.

السيدة بوركمان : أرأيك هذا نتيجة تجربة؟

السيدة ويلتن : أخشى أن أقول إنى لا أعرف عن أمى إلا القليل، ولكن ربما لو كان لى مربية طيبة لما أصبحت على هذه الـ... الرداءة كما يقول الناس عنى... حسن، إذن ستبقى فى البيت فى هدوء شأن الأولاد المهذبين لتشرب الشاى مع ماما والخالة **(للسيدتين)** وداعًا، استودعك الله يا سيدة بوركمان! استودعك الله يا آنسة رانثيم.

(تحنى السيدتان رأسيهما فى صمت بينما تتجه السيدة ويلتن إلى الباب)

إرهارت : **(يتبعها)** ألا يجب على أن أصحبك جزءًا من الطريق؟

السيدة ويلتن : **(عند الباب تدفعه إلى الداخل)** لن تسير معى خطوة واحدة، فإنى دائمًا معتادة السير وحدى. **(تقف على عتبة الباب وتنظر إليه وهى تحنى رأسها)** ولكن احترس يا سيد بوركمان... إنى أحذرك!

إرهارت : مم تحذريننى؟

السيدة ويلتن : (فى مرح). بالطبع، عندما أسير فى الطريق – وحيدة مهجورة كما سبق أن قلت – فإنى سأحاول أن أسحرك.

إرهارت : (ضاحكًا) أوه، حقا، هل تعاودين هذه المحاولة مرة أخرى؟

السيدة ويلتن : (بين الجد والهزل) نعم، لا أطلب منك إلا أن تكون حلوا! كلما أمعنت فى السير سأقول لنفسى – مركزة كل إرادتى – سأقول: «السيد إرهارت بوركمان، خذ قبعتك فى الحال!».

السيدة بوركمان : أو تعتقدين أنه سيأخذها؟

السيدة ويلتن : (ضاحكة) يا للعجب، طبعًا، سيخطف قبعته على الفور، وعندئذٍ سأقول: «كن مطيعا والبس معطفك الآن يا إرهارت بوركمان! والبس خفيك! تأكد أنك لم تنسَ الخفين! ثم اتبعنى! أفعل ما آمرك به، ما آمرك به، ما آمرك به!».

إرهارت : (بمرح مصطنع) أوه، يمكنك الاعتماد على ذلك.

السيدة ويلتن : (ترفع سبابتها) ليلة سعيدة!

(تضحك وتحنى رأسها للسيدتين محيية ثم تغلق الباب خلفها)

السيدة بوركمان : أهي قادرة حقًا على مثل هذه الأعمال؟

إرهـــــارت : أوه، بالطبع لا، كيف يخطر ذلك علـــى ذهنــك؟ إنما تقول ذلك علـــى ســبيل الفكاهـــة. (منـــهيا الموضوع). ولكن دعونا من موضـــوع الـــسيدة ويلـــتن. (يجبر خالته ألـلا رانثيم على الجلوس على الكرسى ذى المساند القريب من الموقد، ثم يقـــف وينظر إليها) من كان يظن أن تقطعى كل هـــذه المسافة يا خالتى ألـلا! وفى الشتاء أيضًا!

ألـلا رانثيـــــم : وجدت أننى مضطرة إلى ذلك يا إرهارت.

إرهـــــارت : حقا؟ ولماذا؟

ألـلا رانثيـــــم : كنت مضطرة إلى الحضور إلى المدينة على كل حال لأ عرض نفسى على الأطباء.

إرهـــــارت : أوه، إنى سعيد لذلك!

ألـلا رانثيـــــم : (مبتسمة) أأنت سعيد لذلك؟

إرهـــــارت : أعنى إننى سعيد لأنك قررت ذلك أخيرًا.

السيدة بوركمان : (ببرودٍ وهى جالسةٌ على الاريكة) أأنت مريـــضة يا ألـلا؟

ألــلا رانتيــــم : (تنظر إليها بشدة) أنت تعلمين تمام العلم أنني مريضة.

السيدة بوركمان : كنت أعلم أنك ضعيفة، وأنك ظللت كذلك سنوات.

إرهـــارت : قلت لك قبل أن أغادرك إنه يجب عليك استشارة طبيب.

ألــلا رانتيــــم : ليس بين الأطباء المجاورين لى من أثق فيه، بالإضافة إلى أنى لم أكن أحس بالمرض إذ ذاك بهذه الشدة.

إرهـــارت : أحالتك ازدادت سوءًا يا خالتى؟

ألــلا رانتيــــم : نعم يا بنىَّ العزيز، لقد ازدادت حالتى سوءًا.

إرهـــارت : ولكن ليس فى الأمر خطورة؟

ألــلا رانتيــــم : هذا يتوقف على الطريقة التى تنظر بها إلى المرض.

إرهـــارت : (فى تأكيد) حسن، إذن، سأخبرك بما يجب عمله يا خالتى أللا، لا تفكرى أبدا فى العودة إلى منزلك فى الوقت الحاضر.

ألــلا رانتيــــم : لا، لم أفكر فى ذلك.

إرهـــــارت : يجب أن تبقَىْ بالمدينة، لأنـك هنـا تـستطيعين اختيار أحسن الأطباء.

ألللا رانثيـــم : هذا ما فكرت فيه عندما تركت البيت.

إرهـــــارت : إذن يجب أن تتأكدى من الحصول علـى بيـت لطيف تعيشين فيه، بيت يضم حجـرات هادئـة مريحة...

ألللا رانثيـــم : لقد ذهبت هذا الصباح إلى بيتـى القـديم الـذى تعودت الحياة فيه...

إرهـــــارت : أوه، هذا حسن، فقد كنتِ مرتاحة فيه.

ألللا رانثيـــم : نعم، ولكنى لن أبقى هناك على كل حال.

إرهـــــارت : حقاً؟ ولم لا؟

ألللا رانثيـــم : لقد غيرت رأيى بعد الوصول هنا.

إرهـــــارت : (فى دهشة) حقا؟ أغيرت رأيك؟

السيدة بوركمان : **(وهى تعمل فى أشغال الابرة دون أن ترفع عينيها)** خالتك ستبقى هنا، فى منزلها الـذى تملكـه يـا إرهارت.

إرهـــــارت : **(ينظر إليهما على التعاقب)** هنا معنـا؟! معنـا؟؟ أهذا صحيح يا خالتى؟

ألـلا رانثيـــــم : نعم، هذا ما قررت عمله.

السيدة بوركمان : (كما كانت قبل) أنت تعلم أن خالتك تملك كل شيء هنا.

ألـلا رانثيـــــم : لقد قررت أن أبقى هنا يا إرهارت. الآن... في الوقت الحاضر، سأعد لى شقة صغيرة في الجناح الذى يقيم فيه السيد.

إرهـــــارت : آه، هذه فكرة طيبة، ففى الجناح حجرات كثيرة. (وفى مرح مفاجئ) ولكن، بالمناسبة يا خالتى، ألست متعبة جدا بعد هذه الرحلة؟

ألـلا رانثيـــــم : أوه، نعم، جد متعبة.

إرهـــــارت : حسن، إذن، أظن أنه يجب أن تأوى إلى فراشك مبكرة.

ألـلا رانثيـــــم : (تنظر إليه مبتسمة) وهذا ما نويته.

إرهـــــارت : (بحماسة) وبعد ذلك نستطيع غدا... أو في أى يوم آخر بالطبع... أن نتحدث حديثًا طويلاً في مختلف الموضوعات، نتحدث فى كل شيء على العموم أنت وأمى وأنا، أليست هذه خطة طيبة يا خالتى ألـلا...

السيدة بوركمان : **(فى غضب مفاجئ ناهضة من الأريكة)** إرهارت، إنى أرى أنك تريد أن تتركنى وتخرج...

إرهـــــارت : **(يفاجأ)** ماذا تعنين بذلك؟

السيدة بوركمان : إنك ذاهب إلى... إلى آل هنكل.

إرهـــــارت : **(من غير قصد)** أوه، هــذا! **(يـــستجمع نفـــسه)** ولكنك لا تريديننى أن أجلس هنا لأبقـــى خـــالتى مستيقظة إلى منتصف الليل؟ تذكرى أنها مريضة يا أمى.

السيدة بوركمان : إنك ذاهب إلى آل هنكل يا إرهارت.

إرهـــــارت : **(فى نفاد صبر)** فى الحقيقة يا أمى، أنا لا أستطيع التحلل من هذا الموعد، ما رأيك يا خالتى؟

أللا رانثيـــم : أحب أن تتصرف بحرية كاملة يا إرهارت.

السيدة بوركمان : **(تذهب إليها متوعدة)** إنك تريدين إبعاده عنى!

أللا رانثيـــم : **(تنهض)** نعم، وياليتى أستطيع يا جنهيلد!

(تسمع موسيقى من الطابع العلوى)

إرهـــــارت : **(يتلوى كأنما يؤلمه شـــىء)** أوه، لا طاقـــة لـــى باحتمال هذا! **(ينظر حوله)** أين وضعت قبعتى؟ أتعلمين ماذا تعزف فى الدور العلوى؟

ألـلا رانثيــــم : كلا، ماذا تعزف؟

إرهـــارت : إنه اللحن الجنازى... رقصة الموت! ألا تعلمين رقصة الموت يا خالتى؟

ألـلا رانثيــــم : **(تبتسم فى حزن)** ليس بعد يا إرهارت.

إرهـــارت : **(للسيدة بوركمان)** أمـى، أرجـوك وأتوسـل إليك... دعينى أذهب!

السيدة بوركمان : **(تنظر إليه بشدة)** بعيدا عن أمك؟ أهذا ما تريـد أن تفعله؟

إرهـــارت : سأعود ثانية بالطبع... ربما غدا.

السيدة بوركمان : **(فى حركة عاطفية)** إنك تريـد الابتعـاد عنـى! لتذهب إلى هؤلاء الغرباء! مع.. مع.. كلا، إنى لا أستطيع حتى التفكير فى ذلك!

إرهـــارت : هناك أضواء متألقة، ووجوه سعيدة شابة، وهناك موسيقى يا أمى!.

السيدة بوركمان : **(تشير إلى أعلى)** وهنا أيضًا موسيقى يا إرهارت.

إرهـــارت : نعم، ولكن هذه الموسيقى هـى التـى تـدفعنى للخروج من المنزل.

ألـلا رانثيــــم : أتكره لأبيك أن ينسى همومه لحظة!

إرهـــــــارت : كلا، لست أكره له ذلك، إنى سعيد جدا... سـعيد جدا لانه ينسى همومه... بشرط ألا اضطر أنـا للسماع.

السيدة بوركمان : **(تنظر إليه فى جد)** كن قويًا يا إرهارت! كن قويا يا بنى، لا تنس أن عليك واجبا مقدسًا.

إرهـــــــارت : أوه، يا أمى... جنبينى هذه العبارات! فلم أولـد لأكون صاحب رسالة مقدسة... أتمنى لك ليلـة سعيدة يا خالتى العزيزة! ليلة سعيدة يا أمى!

(يخرج مسرعًا إلى الصالة)

السيدة بوركمان : **(بعد فترة صمت قصيرة)** لم تحتاجى إلى وقـت طويل لاستعادته إليك يا أللا على كل حال.

أللا رانثيـــــم : أتمنى أن أتسطيع تصديق ذلك.

السيدة بوركمان : ولكنك سترين أنه لن يُسمح لكِ بالاحتفـاظ بـه طويلاً.

أللا رانثيـــــم : لن يُسمح لى؟ تعنين أنك لن تسمحى لى؟

السيدة بوركمان : أنا أو... هى، المرأة الأخرى.

أللا رانثيـــــم : ما دام الأمر كذلك فإنى أفضلها عليك.

السيدة بوركمان : **(تحنى رأسها موافقة فى بطء)** هذا شـىء أفهمـه،

فإنى أقول نفس الشىء، أتمنى أن تأخذه هى منى على أن تأخذيه أنت.

أللا رانثيـــــــم : مهما حدث له فى النهاية.

السيدة بوركمان : لا أهمية كبيرة لذلك، هذا ما أقوله.

أللا رانثيـــــــم : (**تحمل معطفها وقبعتها على ذراعها**) للمرة الأولى فى حياتنا نحن التوأمين نتفق على رأى واحـــد، أتمنى لك ليلة سعيدة يا جنهيلد.

(تخرج من الباب المؤدى إلى الصالة – يعلو صوت الموسيقى فى الطابق العلوى)

السيدة بوركمان : (**تقف بلا حراك لحظة، ثم تجفل فجأة فى اشمئزاز ثم همس كأنها على غير رغبتها**) ها هـــو ذا عـــواء الذئب يعود ثانية، الذئب المريض (**تقـــف بـــلا حراك، ثم تلقى بنفسها على الأرض وهى تتلوى من الألم هامسة**) إرهـــارت! إرهـــارت... كـــن مخلصًا لى! أوه، عد إلى المنزل لتقف إلى جانب أمك! فلن أستطيع احتمال هذه الحياة أكثـــر مـــن ذلك!

«**ســــــتار**»

الفصل الثانى

المنظر:

(الصالة الكبرى فى الدور العلوى من مترل أللا رانثيم، الجدران مغطاة بستائر وسجاجيد مرسوم عليها مناظر القنص، والرعاة والراعيات، ولكن ألوانها حائلة.

إلى اليسار باب ذو مصراعين وفى المقدمة اليسرى بيانو، فى الركن الأيسر إلى الخلف باب مغطى بستارة دون إطار. فى وسط الباب الأيمن مكتب ضخم من البلوط المحفور، فى الحجرة كثير من الكتب والأوراق.

فى المقدمة اليمنى أريكة ومنضدة أمامها عدد من الكراسى، الأثاث من الطراز الإمبراطورى القديم. على المكتب والمنضدة مصابيح مشتعلة.

جون جابرييل بوركمان يقف إلى جانب البيانو واضعًا يديه خلف ظهره، مستمعًا إلى الجزء الأخير من رقصة الموت التى تعزفها فريدا فولدول.

وبوركمان رجل متوسط القامة متين التركيب قوى الجسم قارب الستين من عمره، مظهره متميز وتقاطيعه حادة وعيناه ثاقبتان وشعر رأسه ولحيته المجعد الرمادى يغلب عليه البياض، وهو يلبس حُلَّة سوداء من طراز قديم نوعًا وربطة عنق بيضاء.

أما فريدا فولدول فهى فتاة جميلة شاحبة الوجه، فى الخامسة عشرة من عمرها. على وجهها تعبير يجمع بين الصرامة والتعب، ملابسها رخيصة خفيفة الألوان)

(لحظة صمت بعد انتهاء الموسيقى)

بوركمان : أتستطيعين أن تخمنى متى استمعت إلى مثل هذه الألحان لأول مرة؟

فريدا : (تنظر إليه) كلا يا سيد بوركمان.

بوركمان : كان ذلك فى جوف المناجم.

فريدا : (غير فاهمة) حقًا؟ فى جوف المناجم؟

بوركمان : أبى كان عاملاً فى المناجم كما تعلمين، أو لعلك لا تعلمين؟

فـــــــريدا : كلا يا سيد بوركمان.

بـــوركمــــان : أنا ابن أحد عمال المناجم، وقد كان من عادة أبى أن يأخذنى معه أحيانا إلى جــوف المــنجم. إن المعادن تغنى هناك.

فـــــــريدا : حقا؟ أتغنى؟

بـــوركمــــان : (**يحنى رأسه موافقا**) عندما تتخلص من قيدها، إن ضربات المطارق التــى تخلــصها ليــست إلا أجراس نصف الليل التى تدق احتفالا بحريتهــا، ولهذا تغنى... على طريقتها... سرورا.

فـــــــريدا : ولماذا تفعل ذلك يا سيد بوركمان؟

بـــوركمــــان : لأنها تريد أن تصعد إلى الضوء وتخدم الإنسان. (**يقطع الصالة ذهابا وجيئة ويداه دائمــا خلــف ظهره**).

فـــــــريدا : (**تجلس صامتة فترة قصيرة ثم تنظر فى ســاعتها وتقف**) أرجو المعذرة يا سيد بوركمان، أخــشى أن أكون مضطرًا إلى الانصراف.

بـــوركمــــان : (**يقف أمامها**) أذاهبة أنت فى الحال؟

فريدا : **(تضع قطع الموسيقى فى حقيبتها)** حقيقة يجب أن أذهب. **(فى تأثر واضح)** عندى موعد هذه الليلة.

بوركمان : لحفل؟

فريدا : نعم.

بوركمان : وهل ستعزفين أمام الناس؟

فريدا : **(تعض شفتيها)** كلا، ولكنى على الأقل سأعزف لهم أثناء الرقص.

بوركمان : للرقص فقط؟

فريدا : نعم، فالعشاء يعقبه حفل راقص.

بوركمان : **(يقف وينظر إليها)** أتحبين عزف الألحان الراقصة؟ أعنى فى الحفلات؟

فريدا : **(تلبس معطفها وقبعتها)** نعم، عندما يتفق معى، فإنى أكسب بعض المال من هذا الطريق.

بوركمان : **(فى اهتمام)** أهذه هى الفكرة الرئيسية التى تشغل ذهنك وأنت تعزفين للراقصين؟

فريدا : لا، فعادة ما أفكر فى أنه من أصعب الأمور ألاّ أشترك أنا نفسى فى الرقص.

بـــوركمـــــــان : **(يحنى رأسه موافقًا)** هذا بالضبط ما كنـــت أريـــد معرفته. **(يتحرك فى الغرفة فى قلق)** نعـــم، نعـــم، نعم، إن أصعب شىء على النفس ألاّ تـــستطيعى الاشتراك فى الرقص. **(يقف)** ولكن هناك أمـــرًا يا فريدا يساعدك على تحمل ذلك...

فـــــــــــريدا : **(تنظر إليه فى تـــساؤل)** ومـــا هـــذا يـــا مـــستر بوركمان؟

بـــوركمـــــــان : معرفتك أن إحساسك بالموسيقى عشرة أضـــعاف إحساس جميع أولئك الراقصين.

فـــــــــــريدا : **(تبتسم فى خجل)** أوه، ولكن ذلك كله أمر غيـــر مؤكد.

بـــوركمـــــــان : **(يشير إليها بسبابته محذرًا)** إياك أن ينتابك جنون الشك فى نفسك!

فـــــــــــريدا : ولكن ما دام الأمر غير معروف لأحد...

بـــوركمـــــــان : ما دمت أنت نفسك تعرفينه فهذا يكفـــى. وأيـــن ستذهبين للعزف الليلة؟

فـــــــــــريدا : عند آل هنكل.

بـــوركمـــــــان : **(بنظرة سريعة حادة إليها)** أقلت آل هنكل؟

فـــــريدا : نعم.

بــوركمـــان : (بابتسامة ساخرة) أيقيم هذا الرجل حفلات؟ أيجد من الناس من يزوره؟

فـــــريدا : نعم، لقد قالت مسز ويلتن إن كثيرًا مــن النـــاس يزورونهم.

بــوركمـــان : (بشدة) وأى صنف من الناس هؤلاء؟ أيمكنك أن تخبرينى؟

فـــــريدا : (بقليل من العصبية) كلا، فإنى فـــى الحقيقـــة لا أعرف، بل نعم، فقد عرفت بالمناسبة أن الـــسيد بوركمان الصغير سيكون هناك الليلة.

بــوركمـــان : (يتراجع مأخوذا) إرهارت؟ ابنى؟

فـــــريدا : نعم، إنه ذاهب عندهم.

بــوركمـــان : وكيف عرفت؟

فـــــريدا : لقد قال هو نفسه ذلك... منذ ساعة مضت.

بــوركمـــان : هل حضر هنا اليوم؟

فـــــريدا : نعم، فقد أمضى طيلة بعد الظهر فى منزل السيدة ويلتن.

بوركمان : **(متسائلاً)** أتعلمين إن كان قد حضر إلى هذا المنزل أيضًا؟ أعنى هل زار أحدا فى الطابق الأول؟

فريدا : نعم لقد جاء لزيارة السيدة بوركمان.

بوركمان : **(بمرارة)** آها... كان يجب أن أعلم ذلك.

فريدا : وأظن أن سيدة قريبة أيضًا كانت تزورها.

بوركمان : حقًا؟ أكانت هناك زائرة؟ أوه، نعم، فإنى أظن أن الناس يأتون بين الحين والحين لزيارة السيدة بوركمان.

فريدا : أأطلب من السيد بوركمان الصغير إذا ما قابلته الليلة أن يزورك أنت أيضا؟

بوركمان : **(بخشونة)** لن تفعلى شيئًا كهذا... فلست أريد ذلك مهما كانت الأسباب، من يريد زيارتى فليأت بمحض إرادته، ولكنى لن أطلب من أحد زيارتى.

فريدا : أوه، حسن جدًا، لن أقول شيئًا إذن، أتمنى لك ليلة سعيدة يا سيد بوركمان.

بوركمان : **(يسير جيئة وذهابًا وهو يهمهم)** مساء الخير.

فــــــــــريدا : ألديك مانع إن كنت أنزل من السلم الحلزونـــى؟ فهو أقصر طريق.

بــوركمـــــــان : أوه، لا مانع مطلقًا، استعملى أى سلم تريــدين، فلا شأن لى، أتمنى لك ليلة سعيدة!

فـــــــــريدا : مساء الخير يا سيد بوركمان.

(تخرج من الباب الصغير المغطى فى الركن الأيسر. يتوه فى أفكاره فيذهب إلى البيانو ويهُّـــم بغلقه ثم يغير رأيه وينظر حوله فى الحجرة الكبيرة الخالية، ثم يبدأ فى ذرعها من البيانو إلى الـــركن الأيمن ذهابًا وجيئة فى عصبية وإصرار، وأخــــيرا يذهب إلى المكتب ويتـــسمع تجـــاه البـــاب ذى المصراعين فيسحب بسرعة مرآة يد ينظر فيهـــا وينظم ربطة عنقه .

طرقة على الباب يسمعها بوركمان وينظر بسرعة تجاه الباب ولكنه يظل صامتًا، بعد فتـــرة قصيرة سمع طرقة أقوى).

بــوركمـــــــان : (يقف بجوار المكتب وقد استند عليه بيده اليسرى بينما وضع يده اليمنى فى صدر سترته) ادخل!

(يدخل ولهلم فولدول الحجرة بهدوء، وهو رجل منهمك منحنى الجسم عيناه زرقاوان لطيفتان وشعره طويل خفيف رمادى يتدلى على ياقة سترته، يحمل تحت ذراعه محفظة أوراق وقبعة لينة من اللباد ويلبس نظارات كبيرة إطارها من العظم يرفعها إلى جبهته).

بوركمان : (يغير من موقفه وينظر إلى فولدول وعلى وجهه تعبير يجمع بين خيبة الأمل والسرور) أوه، أليس من أحد غيرك؟

فولدول : مساء الخير يا جون جابرييل، نعم، أنت ترى أنه أنا.

بوركمان : (بنظرة صارمة) لا مناص أن أقول إنك فى الحقيقة زائر متأخر.

فولدول : نعم ولكنك تعلم أن الطريق طويل بعض الشىء، خاصة إذا كد الإنسان ماشيا على قدميه ليقطعه.

بوركمان : ولكن لماذا تمشى دائما يا ولهلم والترام يمر أمام بيتك؟

فـــــولـــدول : من الخير للإنسان أن يمشى، خاصة وأنه يـوفر بنسين فى كل مرة. بالمناسبة ألم تحضر فريـــدا للعزف لك فى الأيام الأخيرة؟

بـوركمـــــــان : لقد خرجت منذ دقيقة واحدة، ألـــم تقابلهــا فـــى الخارج؟

فـــــولـــدول : كلا، فلم يقع نظرى عليها منذ وقت طويل، منـــذ ذهبت للسكنى عند من تدعى السيدة ويلتن.

بـوركمـــــــان : **(يجلس على الأريكة وهو يشير إلى كرسى)** أجلس ياولهلم.

فـــــولـــدول : **(يجلس على حافة كرســـى)** شكـــرًا جزيلاً. **(ينظر إليه وقد بدت الكآبة على وجهه)** إنـــك لا تـــدرى مبلغ الوحدة التى أحس بها منذ غادرتنى فريدا.

بـوركمـــــــان : أوه، خفف عن نفـــسك... فقـــد غـــادرك قبلهـــا كثيرات.

فـــــولـــدول : نعم، يعلم الله أنه قد غادرنى الكثيرات، خمس من بناتى، ولكن فريدا هـــى الوحيـــدة التـــى كانـــت تفهمنى. **(يهزُّ رأسه بحزن)** لـــم يكـــن الأخريـــات يفهمننى إطلاقًا.

بوركمان : (بكآبة وقد حدد نظره أمامه وأخذ يدق بأصابعه على المنضدة) نعم، هذا هو لبُّ الموضوع، إنها اللعنة التى قُدِّر لنا نحن العباقرة المختارين من الناس أن نتحملها، فإن القطيع العادى، المتوسطين من الرجال والنساء... لا يفهموننا يا ولهلم.

فولدول : (فى خضوع) لو أن الأمر اقتصر على عدم الفهم... فإن الإنسان بقليل من الصبر يستطيع أن ينتظر بعض الوقت. (وقد اختنق صوته بالدموع) ولكن هناك ما هو أمرُّ.

بوركمان : (بحدة) ليس هناك ما هو أمرُّ.

فولدول : بل هناك يا جون جابرييل، لقد تشاجرت فى المنزل الليلة... قبل أن أخرج مباشرة.

بوركمان : حقا؟ ولماذا؟

فولدول : (ثائرًا) إنهم فى بيتى... يحتقروننى.

بوركمان : (بحنق) يحتقرونك!؟

فولدول : (يمسح دموعه) لقد كنت أعرف ذلك منذ زمن طويل، ولكن الليلة وضح الأمر وضوحًا تامًا.

بورکمان : **(بعد فترة صمت قصيرة)** أخشى أن أقول إن زواجك كان قرارًا أحمق.

فولدول : لم يكن لى فى الواقع أى اختيار فى الموضوع، خاصة وأن الإنسان يحتاج إلى من يصحبه فى أيامه الأخيرة، ولما كنت فى ذلك الوقت محطمًا.. مفلسًا إفلاسًا تامًا...

بورکمان : **(يقف ثائرًا فى غضب)** أتعنينى بذلك؟ أهو توبيخ لى؟

فولدول : كلا، كلا، بحق الإله يا جون جابرييل!

بورکمان : نعم، إنك تفكر فى كارثة البنك، وإنى لعلى يقين فى ذلك!

فولدول : **(مهدئًا)** ولكنى لا ألومك لما حدث! حرام!

بورکمان : **(مهمهمًا وهو يجلس)** حسن، هذا كلام طيب على أى حال.

فولدول : ومع ذلك، لا تظن أنى أشكو من زوجتى، حقيقة هى غير مهذبة، مسكينة، ولكنها على كل حال زوجة طيبة، إنهم أولادى.

بورکمان : هذا ما ظننته.

فولدول : لأن الأولاد... وقد زادت كثافتهم، ينتظرون نوعًا من الراحة فى حياتهم أكثر مما أتيحه لهم.

بوركمان : **(ينظر إليه فى عطف)** ولهذا يحتقرك أولادك يا ولهلم؟

فولدول : **(يهز كتفيه)** أنت تعلم أنى لم أنجح فى حياتى نجاحًا يذكر... ولا يمكن نكران ذلك.

بوركمان : **(يقترب ويضع يده على ذراعه)** ألا يعلمون إذن أنك كتبت فى شبابك مأساة مسرحية؟

فولدول : بلى، بالطبع يعلمون ذلك، ولكن يبدو أن ذلك لا يترك أثرًا فى نفوسهم.

بوركمان : إنهم إذن لا يفهمون فى الأدب، فإن مسرحيتك جيدة، وإنى مقتنع بذلك تمامًا.

فولدول : **(فى سرور)** نعم، ألا تظن أن فيها بعض المناظر الجيدة يا جون جابرييل؟ يا إلهى، لو استطعت فقط تقديمها على المسرح! **(يفتح حافظة أوراقه ويبدأ فى لهفة فى البحث فى محتوياتها)** انظر، دعنى أريك بعض ما قمت به من تغيير فى موقف أو موقفين.

بوركمان : أهى معك؟

فولدول : نعم، فكرت فى إحضارها، فقد مضى وقت طويل منذ قرأتها لك، فظننت أنه قد يسرك أن أقرأ لك منها فصلاً أو فصلين.

بوركمان : **(يقف ويشير بيده نفيًا)** لا، لا، فليكن ذلك فى وقت آخر.

فولدول : فليكن، كما تشاء. **(يذرع بوركمان الغرفة، بينما يضع فولدول الأوراق فى الحافظة).**

بوركمان : **(يقف أمامه)** لقد كنت على حق تمامًا فيما قلته الآن بخصوص عدم توفيقك فى عملك، ولكنى أعدك يا ولهلم أنه عندما تدق ساعة خلاصى وعودتى إلى سابق عهدى.

فولدول : **(يحاول القيام)** أوه، شكرًا، شكرًا!

بوركمان : (يحرك يده) لا، اجلس أرجوك. **(فى انفعال يتزايد)** عندما تدق ساعة عودتى إلى سابق عهدى... عندما يتأكدون أنهم لن يستطيعوا المضى بدونى... عندما يحضرون إلى هنا فى هذه القاعة، ويزحفون إلى موطئ قدمى متوسلين

أن أعود إلى قيادة زمام البنك! البنك الجديد الذى أسسوه ولم يستطيعوا إدارته... **(يقف بجوار المكتب كما كان يقف قبل دخول فولدول ضاربًا بكفه على صدره)** سأكون واقفًا هنا لاستقبالهم! وسيعرف الجميع فى كل مكان فى القطر أى شروط وضعها جون جابرييل بوركمان قبل أن... **(يسكت فجأة ويحملق فى فولدول)** إن نظراتك تنطق بالشك! لعلك لا تصدق أنهم سيحضرون! لعلك لا تصدق أنهم يجب أن يحضروا يومًا ما، يجب، يجب. ألا تصدق ذلك؟

فولدول : يعلم الله أنى أصدق يا جون جابرييل.

بوركمان : **(يجلس ثانية على الأريكة)** إنى أصدق ذلك تمام التصديق، وإنى لمقتنع تمامًا... وعارف بأنهم سيحضرون، لو لم أكن متأكدًا من ذلك لأطلقت على رأسى الرصاص منذ زمن طويل.

فولدول : **(قلقا)** أوه، كلا، بحق الإله!

بوركمان : **(بفخر)** ولكنهم سيحضرون! سيحضرون ولا شك فى ذلك! وسترى! إنى أنتظرهم فى أى يوم، فى أى لحظة، ولهذا ترى أننى على تمام الأهبة فى أى وقت لاستقبالهم.

فولدول : **(يتنهد)** لو أنهم يحضرون سريعًا؟

بوركمان : **(قلقًا)** نعم، فالوقت يطير، والسنون تهرب منّا، والحياة... آه، لا، لا أجسر على التفكير فى ذلك! **(ينظر إليه)** أتعرف كيف أشعر فى بعض الأوقات؟

فولدول : كيف؟

بوركمان : أحس كأنى نابليون وقد بُتِر أحد أعضائه فى أولى معاركه.

فولدول : **(يضع يده على حافظته)** عندى هذا الإحساس أنا أيضا.

بوركمان : أوه، نعم، ولكن ذلك على نطاق أصغر بالطبع.

فولدول : **(بهدوء)** إن عالمى الشعرى الصغير ثمين جدا بالنسبة لى يا جون جابرييل.

بـــوركمـــــــان : **(بحدة)** نعم، ولكن فكر فىّ، أنا الذى كـــان فـــى استطاعتى أن أجمع ملايين! أنا الذى كنت أتحكم فى كل هذه المناجم! وهـــذه العـــروق المعدنيـــة الجديدة التى لا عـــدد لهـــا! ومـــساقط الميـــاه! والمحاجر! وخطوط التجارة، والبـــواخر التـــى تجوب الدنيا الفسيحة كلها! لقد كنت أنظـــم هـــذا كله... أنا وحدى!

فـــــــولـــدول : نعم، أعرف، أعرف، لم يكن هناك ما تحجم عنه فى هذا العالم.

بـــوركمـــــــان : **(يعصر يديه إحداهما بالأخرى)** والآن، أضـــطر إلى الجلوس هنا كالنسر الجـــريح أنظـــر إلـــى الآخرين وهم يسبقوننى ويأخذون منى كل شىء قطعة قطعة.

فـــــــولـــدول : هذا حظى أنا أيضا.

بـــوركمـــــــان : **(غير ملتفت إليه)** فكر فقط فى ذلك فى أنى كنت أقرب ما أكون إلى الهدف! لو كنت قد أعطيـــت أسبوعًا واحدًا فقط أنظم فيه أمرى! لكنت غطيت جميع الودائع وأعدت جميـــع التأمينـــات التـــى

تصرفت فيها بجرأة إلى مكانهـــا، كـــم شـــركة عظيمة كان بينها وبين النجاح شعرة، لو حـــدث ذلك لما ضاع لأحد نصف بنس.

فــــولــدول : نعم، نعم، كنت قد وضعت قــدمك علـــى حافـــة النجاح.

بــوركمــــــان : **(فى ثورة مكتومة)** وعندئذ تغلبت على الخيانـــة! فى نفس هذه اللحظة الحرجة! **(ينظر إليه)** أتعرف ما هى أكثر جرائم الإنسان سفالة؟

فــــولــدول : كلا، خبِّرنى.

بــوركمــــــان : إنها ليست جريمة القتـــل، وليـــست الـــسرقة أو السطو على المنازل، أو حتى القسم الكاذب، لأن هذه الجرائم كلهـــا يرتكبهـــا النـــاس مـــع مـــن يكرهونهم، أو من لا يبالونهم أو يهتمون بهم.

فــــولــدول : وما أفظع الجرائم إذن يا جون جابرييل؟

بــوركمــــــان : **(فى تأكيد)** أسفل الجرائم هى تلك التـــى يخـــون فيها الصديق ثقة صديقه.

فــــولــدول : **(فى بعض الشك)** نعم، ولكنك تعرف...

بـوركمـــــــان : **(فى غضب وثورة)** ماذا أنت قائل؟ إنى أرى ذلك واضحًا فى وجهك، ولكن دون جدوى، كل من كانت لهم تأمينات فى البنك كانوا سيستردونها... إلى آخر بنس. كلا، سأخبرك بأبشع الجرائم، إنها تلك التى يستغل فيها الرجل خطابات صديقه، فينشر على الملأ ما كان سرًّا خاصًّا به وحده، سرًّا كهمسة فى حجرة خالية مظلمة مغلقة الأبواب. إن من يفعل ذلك لهو فاسد وضار إلى آخر درجة، وقد وصل بأخلاقه إلى غاية ما يمكن أن يصل إليه من الخبث، ومثل هذا الصديق كان صديقى... وهو الذى حطمنى.

فـــــولـــدول : فى استطاعتى أن أخص من تَعنى...

بـوركمـــــــان : لم أتردد لحظة فى أن أطلعه على كل ما خفى ودق من أمرى، وعندئذ، عندما حلت اللحظة المناسبة سدد إلىَّ الأسلحة التى وضعتها أنا نفسى فى يديه.

فـــــولـــدول : لم أستطع أبدًا فهم السبب الذى... بالطبع تهامس الناس بمختلف الإشاعات فى ذلك الوقت.

بـــوركمــــــــان : وما كانت هذه الهمسات؟ خبِّرنى، فأنت تعلم أننى لا أدرى شيئا، لأنى اضطررت إلى المضى فورًا إلى... إلى عزلتى... بم كان يهمس النـــاس يـــا ولهلم؟

فـــــــولـــدول : كانوا يقولون إنك كنت تطمـــع فـــى أن تكـــون وزيرًا.

بـــوركمــــــــان : لقد عرض على منصب الوزارة ولكنى رفضته.

فـــــــولـــدول : لم تكن إذن تقف فى طريقه فى هذا الأمر؟

بـــوركمــــــــان : أوه، كلا، لم يكن ذلك سبب خيانته لى.

فـــــــولـــدول : أنا إذن لا أفهم حقيقة الأمر.

بـــوركمــــــــان : سأخبرك به على أى حال ياولهلم.

فـــــــولـــدول : قلى لى.

بـــوركمــــــــان : كان... فى الحقيقة كان فى الأمر امرأة...

فـــــــولـــدول : فى الأمر امرأة؟ ولكن يا جون جابرييل...

بـــوركمــــــــان : **(يقاطعه)** كفى كفى... دعنا نـــسكت عـــن هـــذه الحكايات القديمة السخيفة، وعلى كل لـــم يـــصل أحدنا إلى مركز الوزارة، لا هو ولا أنا.

فـــــــولـــدول : ولكن نجمه ارتفع فى أنحاء الدنيا.

بوركمان : وسقطت أنا فى الهاوية.

فولدول : أوه، يا لها من مأساة مروعة.

بوركمان : **(يهز رأسه فى موافقة)** مروعة كمأساتك، هذا ما أظنه إذا ما فكرت فيها.

فولدول : **(ببساطة)** نعم، من ناحية أنها مروعة.

بوركمان : **(يضحك فى هدوء)** ولكن إذا نظرت إليهما من زاوية أخرى وجدتها فى الحقيقة كأنما هى ملهاة.

فولدول : ملهاة؟ قصة حياتك؟

بوركمان : نعم، يبدو أنها تتجه إلى ذلك، فما سأخبرك به...

فولدول : ماذا؟

بوركمان : سبق أن قلت إنك لم تقابل فريدا فى أثناء قدومك.

فولدول : نعم.

بوركمان : فى هذه اللحظة ونحن جالسان هنا، تعزف هى ألحان الفالز لضيوف ذلك الرجل الذى خاننى وحطمنى.

فولدول : ليس عندى أدنى فكرة عن ذلك.

بوركمان : نعم لقد أخذت نوتاتها الموسيقية وذهبت من عندى رأسًا إلى... إلى المنزل الكبير.

فولدول : (معتذرًا) لكن، أنت تعلم، الطفلة المسكينة.

بوركمان : وهل تستطيع أن تخمن لمن ستعزف... مع غيره من الحضرين؟

فولدول : كلا.

بوركمان : لابنى.

فولدول : ماذا؟

بوركمان : ما تظن فى ذلك يا ولهلم؟ ابنى هناك فى حلبة الرقص هذا المساء... ألست على حق إذ أسمى الأمر ملهاة؟

فولدول : ولكن تأكد فى هذه الحالة أنه لا يعرف شيئًا عن الموضوع.

بوركمان : ما الذى لا يعرفه؟

فولدول : تأكد أنه لا يعرف كيف أنه... هذا الرجل...

بوركمان : لا تحجم عن ذكر اسمه، فإنى أستطيع أن أتحمل سماعه الآن.

فولدول : أنا واثق من أن ابنك لا يعلم الظروف يا جون جابرييل.

بوركمان : (فى وجوم، يجلس ويدق على المنضدة) بل هو يعلم، إنى على ثقة من ذلك كثقتى بجلوسى هنا.

فولدول : كيف يمكن إذن أن يكون ضيفاً فى هذا البيت؟

بوركمان : (يهز رأسه) لعل ابنى لا يرى الأمور كما أراها، بل إنى أقسم أنه فى صف أعدائى! لا شك أنه يظن - كما يظن الناس جميعًا - أن هنكل حين خاننى لم يفعل إلا واجبه الكريه.

فولدول : ولكن يا صديقى العزيز، من تظنه جعله يرى الأمور هكذا؟

بوركمان : من؟ نسيت من الذى رباه؟ ألم تربه خالته منذ كان فى سن السادسة أو السابعة، ثم تولت أمه تربيته فى هذه السنين الأخيرة؟

فولدول : فى اعتقادى أنك تظلمهم بهذا الكلام...

بوركمان : (يستشيط غضبا) أنا لم أظلم فى حياتى قط! كلتاهما سممت أفكاره من ناحيتى، وإنى لأؤكد ذلك!..

فولدول : طيب، طيب، طيب، إنى أظنهما فعلتا.

بـوركمـــــــان : (فى حنق) يا لهؤلاء النساء! إنهن يحطمن حياتنـــا ويقوضنها! إنهن يقمن بدور الشيطان فى تحطيم مستقبلنا... وتقدمنا فى سبيل النجاح.

فــــــولــدول : ليس كلهن!

بـوركمـــــــان : حقا؟ أتستطيع أن تذكر لى امرأة واحدة تــصلح لشيء ما؟

فــــــولــدول : كلا، وهذه هى المشكلة، فإن القلــيلات اللائـــى أعرفهن لا يصلحن لشىء.

بـوركمـــــــان : (بلهجة احتقار) حسن، إذن، ما فائدة ذلك؟ ما نفع هؤلاء النساء الموجودات... ما دمت لن تعرفهن أبدا؟

فــــــولــدول : (بحرارة) بل هناك فائدة فـــى ذلـــك يـــا جـــون جابرييل، وإنى لأؤكد هذا، فإنها فكرة مباركـــة خيِّرة أن نعلم أن هناك فى هذا العالم فى مكان ما بعيد كل البعد... توجد على كـــل حـــال امـــرأة حقيقية.

بـوركمـــــــان : (يتململ فى مجلسه على الأريكة) أوه، جنبنى هذا الهراء الشعرى.

فـــــولـــدول : **(ينظر إليه وقد جُرحت كرامته جرحـــا عميقًّــا)** أتسمى إيمانى المقدس هراء شعريا؟.

بـــوركمـــــــان : **(بخشونة)** نعم، أسميه كذلك! فإن هذا هو الـــذى منعك دائما من النجاح فى الحياة. لو أنك طردت هذه الأفكار من رأسك، لكان هنـــاك أمـــل فـــى استطاعتى مساعدتك فى الحياة، مساعدتك علـــى النهوض من كبوتك.

فـــــولـــدول : **(يغلى من الداخل)** أوه، لن تستطيع ذلك.

بـــوركمـــــــان : بل أستطيع، عندما أستعيد مكانتى ثانية.

فـــــولـــدول : لن يحدث هذا قريبا.

بـــوركمـــــــان : **(فى عنف)** لعلك تحسب أن هذا اليوم لن يـــأتى؟ أجبنى!

فـــــولـــدول : لست أدرى كيف أجيب.

بـــوركمـــــــان : **(يقف ويقول فى برود وترفع، وهو يشير بيده إلى الباب)** إذن، لا فائدة لى منك بعد الآن.

فـــــولـــدول : **(يحملق فيه وهو جالس)** لا فائدة.

بـــوركمـــــــان : ما دمت لا تظن أن الريح ستتحول معى.

فولدول : كيف أعتقد ذلك إذا قسته بعقلى؟ يجب أولاً أن تسترد اعتبارك قانونيًّا.

بوركمان : أستمر! استمر!

فولدول : حقيقة إنى لم استمر فى تعليمى، ولكن ما قرأته من القانون يكفى لأن أعرف أن...

بوركمان : **(بسرعة)** تعنى أن ذلك مستحيل؟

فولدول : ليس هناك سوابق لذلك.

بوركمان : الرجال الممتازون لا تنطبق عليهم السوابق.

فولدول : القانون لا يعرف الامتيازات.

بوركمان : **(فى خشونة وتأكيد)** إنك لست شاعرًا يا ولهلم.

فولدول : **(يضع يديه على صدره دون وعى)** أتقول هذا وأنت جاد؟

بوركمان : **(يترك الموضوع بدون إجابة)** إننا نضيع وقتنا معًا، من الخير أن تمتنع عن زيارتى.

فولدول : أنت إذن تريدنى أن أتركك حقيقة؟

بوركمان : **(دون أن ينظر إليه)** لم يعد لى فائدة فيك.

فولدول : **(بنعومة وهو يحمل حقيبته)** لا، لا، لا، لا أجسر على قول ذلك.

بوركمان : لقد كنت تكذب عليَّ طول هذا الوقت.

فولدول : (يهز رأسه) لم أكذب عليك قط يا جون جابرييل.

بوركمان : ألم تكن تجلس هنا لتبث فى نفسى الأمل والثقة؟ ألم يكن ذلك كله كذبًا؟

فولدول : لم يكن كذبًا ما دمت تثق فى موهبتى، ما دمت تثق فىَّ فأنا أثق فيك.

بوركمان : كنا إذن يخدع كل منا الآخر، بل كل منا يخدع نفسه، نحن الاثنين.

فولدول : أو ليس هذا جوهر الصداقة يا جون جابرييل؟

بوركمان : (يبتسم فى مرارة) نعم، صدقت فى هذا، فالصداقة تعنى... الخداع، لقد تعلمت هذا الدرس من قبل.

فولدول : (ينظر إليه) لست على شىء من الموهبة الشعرية... وقد قلت لى رأيك هذا بخشونة.

بوركمان : (فى لهجة أدق) أنت تعرف أنى لا أستطيع الادعاء بأنى أفهم فى مثل هذه الموضوعات.

فولدول : لعلك تعرف أكثر مما تظن.

بوركمان : أنا؟

فولدول : (بنعومة) نعم أنت، وإنى لأخبرك أنى أنا نفسى

كثيرا ما ساورتنى مثل هـذه الـشكوك، الـشكوك الفظيعة فى أنى ربما أضعت حياتى فى سبيل وهم.

بـوركمـان : إذا فقدت الثقة فى نفسك فأنت حقا فى طريق الهاوية.

فـولـدول : وهذا هو السبب الذى جعلنى أحضر إليك للاعتماد على ثقتك فىَّ (يمسك قبعته) ولكنك الآن أصبحت غريبًا عنى.

بـوركمـان : وأنت كذلك بالنسبة لى.

فـولـدول : مساء الخير يا جون جابرييل.

بـوركمـان : مساء الخير يا ولهلم.

(يخرج فولدول من الناحية اليسرى.

يظل بوركمان واقفًا لحظة وهو يحملق فى الباب المغلق، ويهمُّ بالتحرك كأنما ينادى فولدول ثم يغير رأيه، ويبدأ فى ذرع الحجرة ويداه خلف ظهره، ثم يقف بجوار المنضدة القريبة من الأريكة ويطفئ المصباح فتصبح الحجرة نصف مظلمة، وبعد لحظة قصيرة يسمع طرقًا على الباب المغطى بالستارة)

بـوركمـــــان : (يفاجأ وهو عند المنضدة فيدور لمواجهة البـــاب ويقول بصوت عال) من الطارق؟

(لا تسمع إجابة ثم تسمع طرقة ثانية).

بـوركمـــــان : (دون حراك) من أنت؟ ادخل!

(تظهر فى الباب ألـلا رانثيم وهـــى تحمـــل شمعة مشعَلة، ومازالت فى ملابسها السوداء إلا أن معطفها ملقى على كتفيها)

بـوركمـــــان : (يحملق فيها) من أنت؟ ماذا تريدين منى؟

ألـلا رانثيـــم : (تغلق الباب وتتقدم داخل الحجرة) إنه أنـــا يـــا بوركمان.

بـوركمـــــان : (تضع الباب وتتقدم داخل الحجرة)

(يقف مذهولا وهو يحملق فيها بثبات ويقـــول فى شبه همس) أأنت.. أأنت ألـلا؟ أأنت ألـلا رانثيم؟

ألـلا رانثيـــم : نعم، أنا عزيزتك ألـلا كما اعتدت أن تنادينى فى الأيام الماضية منذ سنوات عديدة... عديدة.

بـوركمـــــان : (بنفس اللهجة) نعم، إنك ألـلا، أســـتطيع أن أراك الآن.

ألـلا رانثيـــم : أتستطيع التعرف علىَّ؟

بـــوركمــــــان : نعم، الآن بدأت أن...

ألـلا رانثيــــم : لقد أثرت الأيام فيَّ، وأصبحت فى خريف العمر يا بوركمان، ألا ترى ذلك؟

بـــوركمــــــان : (بصوت مغتصب) يبدو أنك تغيرت كثيرا... عند النظرة الأولى.

ألـلا رانثيــــم : لم تعد خصلات الشعر السوداء تغطى عنقـــى... الخصلات التى كنت تحب وقتًا ما أن تلفها حول أصابعك...

بـــوركمــــــان : حقا! لقد وضح الأمر الآن يا ألـلا، لقـــد غيـــرتِ تسريحة شعرك.

ألـلا رانثيــــم : (ببسمة حزينة) بالـــضبط، إن طريقـــة تـــسريح الشعر هى التى ســـببت هـــذا الاخـــتلاف فـــى المظهر.

بـــوركمــــــان : (مغيرًا الموضوع) لم يكن عندى أدنى فكرة عـــن أنك فى هذا الجزء من العالم.

ألـلا رانثيــــم : لقد وصلت توًّا.

بـــوركمــــــان : ما الذى دعاك إلى هذه الرحلة الطويلة الآن، فى الشتاء؟

أللا رانثيـــم : هذا ما ستسمعه الآن.

بـوركمـــان : أجئت لمقابلتى؟

أللا رانثيـــم : أنت وغيرك، ولكى أخبرك عن الغـرض مـن حضورى يجب أن أعود إلى الماضى البعيد.

بـوركمـــان : يبدو عليكِ التعب.

أللا رانثيـــم : نعم، أنا متعبة.

بـوركمـــان : ألا تجلسين؟ هنا على الأريكة!

أللا رانثيـــم : نعم، شكرًا لك، فإنى فى حاجة إلى الراحة...

(تقطع الغرفة إلى الناحية اليمنى وتجلس على الطرف القريب من الأريكة، بينما يقف بوركمان بجوار المنضدة ناظرًا إليها وقد وضع يديه خلف ظهره، فترة صمت قصيرة)

أللا رانثيـــم : يخيل إلىَّ أنه مرت أجيال طويلة لا نهاية لها منذ التقينا آخر مرة وجها لوجه يا بوركمان.

بـوركمـــان : (بوجوم) إنه زمن طويل... طويل، وقد حدثت منذ ذلك الوقت أحداث فظيعة.

أللا رانثيـــم : لقد مرت حياة كاملة... حياة مضيعة.

بـوركمـــان : (ينظر إليها باهتمام) مضيعة!؟

ألـلا رانثيـــــم : نعم، قلت مضيعة... بالنسبة لكلينا.

بــوركمــــــان : (فى نغمة باردة) لا أظن حتـــى الآن أن حيـــاتى مضيعة.

ألـلا رانثيـــــم : وماذا عن حياتى أنا؟

بــوركمــــــان : لا تلومى فى ذلك إلا نفسك يا ألـلا.

ألـلا رانثيـــــم : (تجفل) وتستطيع أن تقول ذلك؟

بــوركمــــــان : كان فى استطاعتك أن تعيشى فى سعادة بدونـى.

ألـلا رانثيـــــم : أتعتقد ذلك؟

بــوركمــــــان : إذا كنت قد قررت ذلك.

ألـلا رانثيـــــم : (بحرارة) أوه، نعم، فإنى أعلم تمامًا أن شخصًا ما غيرك كان على أتم استعداد ليتزوجنى.

بــوركمــــــان : ولكنكِ رفضتِه؟!

ألـلا رانثيـــــم : نعم، فعلت ذلك...

بــوركمــــــان : لقد رفضته مرة بعد مرة، وسنة بعد أخرى...

ألـلا رانثيـــــم : (باحتقار) أظنك تحسبنى رفضت الـــسعادة ســـنة بعد سنة؟

بــوركمــــــان : كان من الممكن أن تكونى سعيدة تمامًا معه، ثـــم كان من الممكن إذ ذاك أن تنقذينى.

ألللا رانثيم : أنت؟

بوركمان : نعم، كان من الممكن أن تنقذيني يا أللا.

ألللا رانثيم : كيف؟

بوركمان : لقد ظن أنى السبب الحقيقى فى عنادك... ورفضك الدائم، فصمم على الانتقام منى، وكان ذلك سهلاً جدا بالنسبة إليه، إذ كان يحتفظ بخطاباتى السرية الصريحة، فاستغلها، وبذلك قضى عليَّ... فى ذلك الوقت إن أردت الدقة، وهكذا ترين أنك السبب فيما حدث يا أللا!

ألللا رانثيم : أوه، حقًّا يا بوركمان، إذا دققنا النظر فى المسألة لوجدنا أنى مدينة لك بتعويض عما حدث...

بوركمان : هذا يتوقف على طريقة نظرك إلى المسألة، فأنا أعلم تمامًا كل ما فعلتِه من أجلنا، فقد اشتريتِ فى المزاد هذا المنزل وكل الممتلكات، ووضعتِ المنزل بكل ما فيه تحت تصرفى... وتصرف شقيقتك، كما أنك عنيت بإرهارت وتحملت نفقته من جميع الوجوه...

ألللا رانثيم : لقد عنيتُ به طوال ما سُمح لى...

بـــوركمـــــــان : تعنين سماح شقيقتك... إننى لم أتدخل أبدًا فـــى هذه الأمور المنزلية، أعود فأقول إننى أعـــرف كل التضحيات التى قدمتها لى ولشقيقتك، ولكنك كنت فى مركز يسمح لك بذلك يا أللا ويجب ألاَّ تنسىْ أننى أنا الذى وضعتك فى هذا المركز.

أللا رانثيــــم : **(فى غضب)** إنك ترتكب خطأ كبيرًا فى ذلك يـــا بوركمان! إن الحب الذى كان يملأ شغاف قلبـــى لإرهارت... ولك أيضًا... هو الذى جعلنى أفعل ما فعلت...!

بـــوركمـــــــان : **(مقاطعًا)** يا عزيزتى أللا دعينـــا مـــن حـــديث العواطف وما أشبه، إن ما أعنيه بالطبع هـــو أن السخاء الذى تصرفت به ليس إلا نتيجـــة للقـــوة التى وضعتُها فى يديك...

أللا رانثيــــم : **(تبتسم)** هم... القوة فى يدىَّ؟

بـــوركمـــــــان : **(بحرارة)** نعم، قلت القوة التى فى يديك! ففى الليلة التى اتخذت فيها قرارى النهائى فى المعركة... عندما لم يكن فى استطاعتى إعفـــاء صـــديق أو قريب، عندما كان علىَّ أن أمد يدى إلى... أعنى

عندما مددت يدى إلى الملايين من أموال التأمين التى كانت أمانة لـــدى... إذ ذاك أبقيـــت علـــى أموالك فلم آخذ مليمًا واحدًا منها، مع أنه كان فى استطاعتى أن آخذها وأستغلها كما فعلت بأموال الآخرين جميعًا!

ألللا رانثيـــــم : (ببرود وهدوء) هذا حق يا بوركمان.

بـــوركمــــــان : نعم، هو كذلك، وذلك هو السبب فى أنهم عنـــدما جاءوا وأخذونى وجدوا أموالك فى خزانة البنـــك كاملة لم تُمس.

ألللا رانثيـــــم : (تنظر إليه) لقد كنت أتساءل دومًا عن الأســـباب الحقيقية التى جعلتك تخفى أموالى، أموالى فقـــط دون غيرها؟

بـــوركمــــــان : أسبابى؟

ألللا رانثيـــــم : نعم أسبابك، خبِّرنى.

بـــوركمــــــان : (بخشونة وازدراء) لعلك ظننت أننى فعلت ذلـــك لأجد ما أستند عليه عندما تسوء الحال؟

ألللا رانثيـــــم : أوه، كلا، فإنى واثقة من أن ذلك لم يخطر ببالك فى ذلك الحين...

بـــوركمـــــــــان : أبدا! فقد كنت واثقا تمام الوثوق من النصر...

ألـلا رانثيـــــم : ما السبب إذن؟

بـــوركمـــــــــان : (يهز كتفه) الحق يقال يا ألـلا، إنـــه لـــيس مـــن السهل أن يتذكر الإنسان دوافعه بعـــد عـــشرين عامًا، كل ما أعرفه أننى عندما بدأت وحدى فى صمت أمسك بخيوط المشروعات العظيمة التـــى كانت تطوف بذهنى كنت أحس بإحساس من يبدأ رحلة فى بالون، وكنت طوال ليالى الأرق أنفـــخ فى بالونى الجبار وأعد نفسى للتحليق بعيدًا إلـــى مناطق خطرة مجهولة.

ألـلا رانثيـــــم : (مبتسمة) أنت، يا من لم يكن لديه أدنى شك فى الانتصار؟

بـــوركمـــــــــان : (فى ضيق) هكذا خُلِقَ الرجال يا ألـــلا، يـــشكون ويؤمنون فى نفس الوقت (ينظر أمامه) وأظن أن هذا هو السبب الـــذى جعلنـــى لا آخـــذك أنـــت وأموالك معى فى البالون.

ألـلا رانثيـــــم : (بلهفة) إنى أسألك لماذا؟ خبِّرنى لماذا!؟

بـوركمـــــــان : (دون أن ينظر إليها) إن الإنــسان لــيحجم عــن المخاطرة بأعز ما عنده فى مثل هذه الرحلة.

أللا رانثيـــــم : لقد خاطرت بأعز ما عندك فى تلــك الرحلـــة، خاطرت بكل مستقبل حياتك.

بـوركمـــــــان : ليست الحياة دائمًا هى أعز ما عند الإنسان...

أللا رانثيـــــم : (مبهورة) أكان هذا شعورك فى ذلك الوقت؟

بـوركمـــــــان : أظننى أذكر شيئًا كهذا.

أللا رانثيـــــم : كنتُ أعز شىء فى الدنيا عندك؟

بـوركمـــــــان : يبدو أننى أتذكر شيئًا من هذا القبيل.

أللا رانثيـــــم : ومع ذلك مضت سنوات وسنوات منذ هجرتنـــى وتزوجت... تزوجت أخرى!

بـوركمـــــــان : أتقولين هجرتك؟ يجب أن تعلمى تمامًا أن هناك دوافع عُليا... ثم كانت هنــاك دوافــع أخــرى اضطرتنى لذلك، فبــدون معاونتــه مــا كنــت لأستطيع عمل شىء.

أللا رانثيـــــم : (تتمالك نفسها) وعلى هذا هجرتنى بــسبب... دوافع عُليا؟

بورکمان : ما كنت لأستطيع الوصول إلى شىء بدون مساعدته، وقد جعلكِ الثمن لمساعدته لى.

أللا رانثيم : وقد دفعت الثمن، دفعته كاملاً... دون مساومة.

بورکمان : لم يكن لى اختيار، إما النجاح وإما الفشل.

أللا رانثيم : **(فى صوت مرتعش وهى تنظر إليه)**
أممكن أن يكون ما قلته لى صحيحًا... من أننى كنتُ أَحَبَّ شىء فى العالم إلى قلبك؟؟

أللا رانثيم : كنت كذلك وبعد ذلك... بزمن طويل، طويل.

أللا رانثيم : ولكنك مع ذلك قايضتَ علىَّ، عقدت صفقة مع رجل آخر بعتَ فيها حبك، بعتَ حبى من أجل... من أجل الرئاسة.

بورکمان : **(بكآبة وهو يحنى رأسه)** كانت تدفعنى رغبة جامحة يا أللا.

أللا رانثيم : **(تنهض من الأريكة وهى ترتجف متأثرة بعواطفها)**
مجرم!

بورکمان : **(يحملق فيها ولكنه يضبط نفسه)** سمعت هذه الكلمة من قبل.

ألّلا رانثيـــــم : أوه، لا تتصور أننـــى أفكـــر فـــى أى جريمـــة ارتكبتَها ضد القوانين الأرضية! أتظن أننى أهتم أقل اهتمـــام... باســـتغلالك هـــذه المـــستندات والضمانات أو أى اسم آخر أطلقته عليها؟! لـــو كان قد قدر لى أن أقف بجانبـــك عنـــدما حلـــت الكارثة؟!

بـــوركمـــــان : (بشوق) ماذا كان يحدث يا ألّلا؟

ألّلا رانثيـــــم : صدقنى، كنت تحملت بسرور كل ما يحلُّ بـــك، العار، والخراب... وكنـــت ســـاعدتك علـــى أن تتحملها كلها... كلها!

بـــوركمـــــان : أكنت تملكين الإرادة... والقوة؟

ألّلا رانثيـــــم : الإرادة والقوة كليهما، لأننى ما كنت أعلم إذ ذاك شيئًا عن جريمتك الكبرى الفظيعة.

بـــوركمـــــان : أية جريمة؟ عمَّ تتحدثين؟

ألّلا رانثيـــــم : أتحدث عن الجريمة التى لا غفران لها.

بـــوركمـــــان : (يحملق فيها) لا بدَّ أنك مجنونة.

ألّلا رانثيـــــم : (تقترب منه) إنك قاتل! لقد ارتكبـــت الخطيئـــة الوحيدة المميتة!

بوركمان : (يتراجع نحو البيانو) إنك تهذين يا ألللا!

أللا رانثيم : لقد قتلت فىَّ حب الحياة. (مازالت بالقرب منه) أتدرى ما معنى ذلك؟ لقد ذكر الكتاب المقدس خطيئة غامضة لا غفران لها، ولم أكن أفهم ما المقصود بذلك، ولكنى فهمت الآن، فإن الخطيئة الكبرى التى لا غفران لها هى أن تقتل حب الحياة فى قلب إنسان.

بوركمان : وتقولين إنى فعلت ذلك؟

أللا رانثيم : لقد فعلت ذلك، ولكنى حتى هذه الليلة لم أكن أفهم بوضوح ماذا حل حقيقة بى، فإنى اعتبرت هجرك لى وتحولك عنى إلى جنهيلد، اعتبرته نوعًا من التقلب العادى من جهتك، ونتيجة لتآمر من لا قلب له من ناحيتها، بل إنى كنت أحسبنى أحتقرك قليلاً على الرغم من كل شىء، ولكن الآن وضح لى كل شىء، إنك هجرت المرأة التى تحبها! هجرتنى أنا، أنا، أنا! لقد قايضت علىَّ من كانت أعز شىء لديك فى العالم فى سبيل الربح، وهذه هى جريمة القتل المزدوجة التى ارتكبتها! قتل روحك وروحى!

بـــوركمــــــــان : **(متمالكا نفسه فى برود)** لقد تعرفت الآن تمامــا على عاطفتك المتحكمة فيــك يــا ألــلا، ومــن الطبيعى، ولا ريب أن تنظرى إلى المسألة هــذه النظرة، بالطبع، أنت امرأة، وعلى هذا فإن قلبك هو الشىء الوحيد فى العالم الــذى تعرفينــه أو تهتمين به.

ألللا رانثيــــــم : نعم، نعم، هو كذلك.

بـــوركمــــــــان : إن قلبك هو الشىء الوحيد الموجود فى نظرك.

ألللا رانثيــــــم : الشىء الوحيد! الشىء الوحيد! أنت صادق فــى هذا...

بـــوركمــــــــان : ولكن تذكرى أننى رجل، لقد كنت كامرأة أعــز شىء فى العالم عندى، ولكن إذا لم يكن هناك بد فإن أى امرأة يمكن أن تحلَّ محل أخرى.

ألللا رانثيــــــم : **(تنظر إليه مبتسمة)** أكانت هذه تجربتــك التــى مررت بها عندما اتخذت جنهيلد زوجة لك؟

بـــوركمــــــــان : كلا، ولكن الأهداف العظيمة التى كنــت أتطلــع إليها فى حياتى، ساعدتنى علــى أن أتحمــل أى شىء حتى هذا، كنت أريد أن أتحكم فــى كــل

منابع القوة فى هذه البلاد، كل الثروة المختبئة فى الأرض والصخور والغابات والبحر... كنت أريد أن أجمعها كلها فى يدى، وإن أجعل نفسى سيدا لهذا كله، وعندئذٍ أستطيع أن أرتقى بمستوى رفاهية الآلاف العديدة.

أللا رانثيم : **(وقد سرحت مع الماضى)** أعرف ذلك، يكفى أن تذكر الليالى الطويلة التى قضيناها فى التحدث عن مشروعاتك...

بوركمان : نعم... فقد كنت أستطيع التحدث معك يا ألّلا.

أللا رانثيم : كنت أمزح معك مرة حول خططك، فسألتك أكنت تريد أن توقظ كل الأرواح النائمة فى الينبوع؟

بوركمان : **(يحنى رأسه موافقة)** أذكر هذه العبارة، **(ببطء)** كل الأرواح النائمة فى الينبوع.

أللا رانثيم : ولكنك لم تحمل الأمر على محمل المزاح، بل قلت «نعم نعم يا ألّلا، هذا بالضبط ما أريده».

بوركمان : وهذا ما كان يحدث، لو أنى فقط وضعت قدمى فى الركاب... وكان هذا يتوقف على هذا الرجل

نفسه، فقد كان فى استطاعته أن يضمن لى رئاسة البنك... إذا كنت من جانبى...

ألـلا رانتيـم : نعم.. هكذا! إذا كنت من جانبك تقدم له فى مقابل ذلك المرأة التى تحبها والتى تحبك حبًّا ليس بعده حب.

بـوركمـان : كنت أعرف حبه المضنى لك، وأعلم أنه تحت أى شرط آخر لن...

ألـلا رانتيـم : وهكذا عقدت الاتفاق!

بـوركمـان : **(بعنف)** نعم، فعلت ذلك يا ألـلا! فإن حب السيطرة غلاَّب فى نفسى، أفهمت؟! ولهذا عقدت الاتفاق، كنت مضطرًّا، وقد ساعدنى حتى منتصف الطريق إلى القمة المنشودة التى كنت أرغب فى الوصول إليها، ثم أخذت أصعد وأصعد، سنة بعد أخرى وأنا أصعد...

ألـلا رانتيـم : وكنت أنا مع ذلك قد اختفيت من حياتك.

بـوركمـان : وبعد ذلك طوح بى فى الهاوية ثانية، وكان ذلك بسببك يا ألـلا.

ألـلا رانتيـم : **(بعد فترة صمت وتفكير)** ألا تلاحظ يا بوركمان أن هناك نوعًا من اللعنة حلَّت بكل علاقتنا؟

بـــوركمــــــــان : (ينظر إليها) لعنـــــــــة؟

ألــلا رانثيــــــم : نعم... ألا ترى ذلك؟

بـــوركمــــــــان : (فى قلق) نعم.. ولكن ما الـــسبب؟ (فى غـــضب) أوه، يا ألــلا، لقد بدأت أتساءل عمن فـــى جانـــب الحق... أنت أم أنا؟

ألــلا رانثيــــــم : إنك أنت الآثم، لقد قتلت كل مسرات الحياة فـــى نفسى.

بـــوركمــــــــان : (بقلق) لا تقولى ذلك يا ألــلا!

ألــلا رانثيــــــم : كل مسرات المرأة على أى حال، فمنـــذ اليـــوم الذى بدأت فيه صورتك تتضاءل فى ذهنى وأنـــا أعيش كأنما قد غشَتنى الظلمـــة، وخـــلال هـــذه الأعوام كلها أصبحت محبة أى مخلوق حـــى... تصعب علىَّ شـــيئًا فـــشيئًا... حتـــى أصـــبحت مستحيلة تمامًـــا. لقـــد انزويـــت عـــن النـــاس والحيوانات والنباتات، انزويت عنها جميعًـــا... جميعًا ماعدا واحدًا.

بـــوركمــــــــان : أى واحد؟

ألــلا رانثيــــــم : إرهارت بالطبع.

بـــوركمــــــــان : إرهارت؟

ألـلا رانثيـــــم : إرهارت... ابنك يا بوركمان.

بـــوركمــــــــان : أكان حقيقة قريبا إلى قلبك؟

ألـلا رانثيـــــم : وهل هناك من سبب آخر يدفعنى إلى ضمه إلىَّ وإبقائه عندى أطول مدة أستطيعها؟ هل من سبب آخر؟

بـــوركمــــــــان : كنت أظن الشفقة هى الدافع، كما كانت دافعك إلى كل ما فعلته.

ألـلا رانثيـــــم : **(فى انفعال نفسى قوى)** شفقة!هاها! لم أعرف الشفقة قط منذ هجرتنى، فقد كنت غير قادرة على الإحساس بها، ولو أن طفلاً فقيرًا جائعًا دخل مطبخى وهو يرتجف باكيا وطلب منى كسرة خبز لتركت أمره للخدم دون أن أشعر بأى رغبة فى ضم الطفل إلىَّ أو إبقائه بجوار مدفئتى لأحس بالسرور عندما أراه يأكل حتى يشبع، ومع ذلك لم يكن هذا حالى عندما كنت صغيرة، وإنى لأذكر ذلك بوضوح! إنه أنت الذى خلق هذه الصحراء الخالية القاحلة فى داخلى... وحولى أيضًا!

بــوركمــــــان : بالطبع فيما عدا ما يختص بإرهارت.

ألللا رانثيـــــم : نعم.. فيما عدا ما يختص بابنك، ولكننى أصبحت قاسية على كل كائن حى آخـــر، لقــد سـلبتنى مسرات الأم وسعادتها فى الحياة كمـــا سـلبتنى كذلك أحزان الأم ودموعها، ولعل ذلك أفدح مـــا فقدته.

بــوركمــــــان : أتقولين ذلك يا ألللا؟

ألللا رانثيـــــم : من يدرى؟ لعل ما كنت فى أشد الحاجة إليه هو أحزان الأم ودموعها. **(ما زال انفعالها النفسى قويا)** ولكنى فى ذلك الوقت لم أستطع أن أخضع قلبى لتحمل خسارتى، وكان ذلك سـبب ضـمى إرهارت إلىَّ، وقد ربحته لنفسى كُلِّيـــة، كـسبت قلبه الطفل الحار الواثق... حتى... أوه!

بــوركمــــــان : حتى ماذا؟

ألللا رانثيـــــم : حتى أخذته منى ثانية... أمه... أعنـــى أمـــه التـــى ولدته.

بــوركمــــــان : كان سيتركك على أى حال، فقد كان مـضطرًّا إلى الحضور إلى المدينة.

ألــلا رانثيــــم : (تعصر يديها) نعم، ولكنني لا أستطيع احتمال الوحدة... الفراغ! لا أستطيع احتمال فقدان محبة ابنك!

بــوركمـــان : (فى عينيه تعبير شرير)
هم.. إنى لأشك فى فقدانك إياه يا أللا، فالقلوب لا يمكن أن تتحول بسهولة إلى شخص معين... فى الحجرة التى بالطابق الأول.

ألــلا رانثيــــم : لقد فقدت إرهارت هنا، وقد استعادته هى مرة ثانية، وإن لم تكن هى فقد كسبته أخرى، وهذا واضح وضوحًا تامًّا فى الخطابات التى يرسلها إلىَّ بين الحين والحين.

بــوركمـــان : إذن فاسترداده هو سبب حضورك؟

ألــلا رانثيــــم : نعم، لو أن ذلك كان ممكنًا!

بــوركمـــان : هذا ممكن لو أنك صممت عليه، لأن لك الحق الأول والأقوى عليه.

ألــلا رانثيــــم : أوه، حقوق، حقوق! وما فائدة الحقوق؟ إن لم يكن لى بمحض إرادته فهو ليس لى على الإطلاق، وإنى لفى أشد الحاجة إليه! يجب أن يكون لى قلب ابنى كاملاً غير مقسم... الآن!

بـوركمـان : يجب أن تتذكرى أن إرهارت قارب العشرين من عمره، وأنك لا تكادين تستطيعين المطالبة بالاحتفاظ بقلبه غير مقسم لمدة طويلة، كما عبرت أنت.

ألللا رانثيم : (بابتسامة كئيبة) لست فى حاجة إلى ذلك لمدة طويلة.

بـوركمـان : حقًّا؟ إنى لأذكر أنك عندما تريدين شيئًا فإنك تريدينه إلى آخر أيام حياتك.

ألللا رانثيم : هذا صحيح، ولكن حاجتى هذه لن تدوم مدة طويلة.

بـوركمـان : (مأخوذًا) ماذا تعنين بذلك؟

ألللا رانثيم : أظنك تعلم أننى منذ سنوات فى حالة صحية سيئة؟

بـوركمـان : حقا؟

ألللا رانثيم : ألا تعلم ذلك؟

بـوركمـان : كلا، لا أستطيع القول بأنى أعلم.

ألللا رانثيم : (تنظر إليه فى دهشة) ألم يخبرك إرهارت بذلك؟

بـوركمـان : أنا فى الحقيقة لا أتذكر الآن.

ألـلا رانثيـــــم : لعله لم يذكرنى لك مطلقا.

بـــوركمـــــــــان : أوه، بل إنى أعتقد أنه تحدث عنك، ولكن الحقيقة هى أننى قلما أراه، بل نادرًا مـــا أراه؛ فهنـــاك شخص فى الطابق الأول يبعـــده عنـــى، يبعـــده عنى... أتفهمين ذلك؟

ألـلا رانثيـــــم : أأنت واثق من ذلك تمامًا يا بوركمان؟

بـــوركمـــــــــان : نعم، تمام الثقة. **(يغيِّر نغمة صوته)** إذن فقد كنـــت مريضة يا أللا؟

ألـلا رانثيـــــم : نعم، كنت مريضة، وقد ازدادت الحالة سوءًا هذا الخريف؛ مما اضطرنى إلـــى الحـــضور إلـــى المدينة طلبا لاستشارات طبية أفضل.

بـــوركمـــــــــان : وهل عرضت نفسك على الأطباء فعلاً؟

ألـلا رانثيـــــم : نعم، هذا الصباح.

بـــوركمـــــــــان : وماذا قالوا؟

ألـلا رانثيـــــم : أكدوا لى ما كنت أشك فيه طويلاً.

بـــوركمـــــــــان : خيرًا.

ألـلا رانثيـــــم : **(فى ثبات وهدوء)** لن أُشفى من مرضى أبدًا يـــا بوركمان.

بــوركمــــــان : أوه، يجب ألا تصدقى ذلك يا ألّلا.

ألّلا رانتيــــم : إنه مرض لا علاج له ولا شــفاء منــه، ولــن يستطيع الأطباء عمل شىء للمصاب بــه، بــل يتركونه ليصل إلى غايته، فهــم لا يــستطيعون وقفه، وغاية ما يستطيعونه أن يخففــوا آلامــه، وهذا على أى حال عمل لا بأس به.

بــوركمــــــان : أوه، ولكنه سيحتاج إلى وقت طويل ليصل إلــى غايته، أنا واثق من ذلك.

ألّلا رانتيــــم : ربما عشت إلى آخر الشتاء، هذا ما قالوه.

بــوركمــــــان : (بدون تفكير) أوه، لا بأس، فالشتاء طويل.

ألّلا رانتيــــم : (بهدوء) طوله كاف بالنسبة لى على أى حال.

بــوركمــــــان : (فى حرارة محاولا تغير الموضوع) ولكن ماذا جلب عليك هذا المرض؟ أنت يا من كنــت تعيــشين دائمًا حياة صحية منظمة، ماذا يمكن أن يجلــب إليك المرض؟

ألّلا رانتيــــم : (تنظر إليه) يظن الأطباء أننى ربما مررت فــى فترة من حياتى تحت ضغط عاطفى شديد.

بـوركمـــــــان : **(فى غضب)** عاطفى!؟ أها، فهمت! تعنين أننـــى السبب؟

ألـلا رانثيـــــم : **(فى انفعال نفسى يتزايد)**

لقد فات الوقت للحديث عن ذلـك الآن! ولكـن يجب أن أسترد محبة طفلى قبل أن أذهب! فـإن مما يثير حزنى الشديد أن أفكر فى أننى سأخرج من هذه التى يسمونها حياة... بعيدًا عن الشمس والنور والهواء... دون أن أترك ورائى إنـسانًا واحدا يذكرنى، يذكرنى فى محبة وحزن، كمـا يذكر الابن أمه التى فقدها.

بـوركمـــــــان : **(بعد فترة صمت قـصيرة)** خذيـه يـا ألـلا إن استطعت كسبه.

ألـلا رانثيـــــم : **(فى انتعاش)** أتوافق على ذلك؟ أتستطيع؟

بـوركمـــــــان : **(فى كآبة)** نعم، وليس فى ذلك أية تـضحية مـن جانبى، فهو لم يكن لى على أى وجه.

ألـلا رانثيـــــم : شكرًا لك، شـكرًا لـك علـى أى حـال علـى تضحيتك! ولكن هناك أمرًا آخر أرجوه منـك... إنه أمر عظيم لى يا بوركمان.

بـــوركمــــــان : حسن، وما هو؟

ألــلا رانثيــــــم : ربما تظن فى الأمر طفولة من ناحيتى، فلن تفهم.

بـــوركمــــــان : هيا، أخبرينى ما الأمر؟

ألــلا رانثيــــــم : عندما أموت، وسيكون ذلك وشيكًا، سأترك مبلغا كبيرًا من المال.

بـــوركمــــــان : نعم، أظن ذلك.

ألــلا رانثيــــــم : وقد عزمت على أن أترك كل ما لى لإرهارت.

بـــوركمــــــان : لا بأس، فليس لك فى الحقيقة من هو أقرب منه.

ألــلا رانثيــــــم : **(بحرارة)** نعم، حقا ليس لى من هو أقرب منه.

بـــوركمــــــان : لا أحد من أسرتك، فأنت الأخيرة.

ألــلا رانثيــــــم : **(تحنى رأسها موافقة فى بطء)** نعـــم، وهـــذا هـــو الأمر، عندما أموت سيموت معى اسم رانثـــيم، وهذه الفكرة تعذبنى كثيرًا، إذ يمحى الإنسان من الوجود، ولا يبقى حتى ولا اسمه...

بـــوركمــــــان : **(فى غضب)** آه، لقد بدأت أفهم ما ترمين إليه!

ألــلا رانثيــــــم : **(فى شغف)** دع إرهارت يحمل اسمى بعدى!

بـــوركمــــــان : **(ينظر إليها فى غلظة)** إنى أفهمك تمامًا، إنك تريدين إنقاذ ابنى من حمل اسم أبيه، وهذا ما تعنيه.

ألـلا رانثيــــم : لا، لا، ليس هذا ما أعنيه! فإنى أنا نفسى كنت أرجو أن أحمل اسمك معك فى فخر وسرور! ولكن الأم التى وصلت إلى حافة الموت، إن لها فى الاسم رباطًا قويًا أقوى مما تتصور أو تعتقد يا بوركمان.

بـوركمــان : **(فى برود وفخر)** حسن، حسن يا ألـلا، إنى رجل فى إمكانى حمل اسمى وحدى.

ألـلا رانثيــــم : **(تقبض على يده وتضغطها)** شكرًا لك، شكرًا لك! الآن تمت بيننا تسوية كاملة! نعم، نعم، فليكن الأمر على هذا الوجه! فقد قدمت كل ما تستطيعه من كفارة، لأنى عندما أترك هذه الدنيا سأترك ورائى إرهارت رانثيم!

(يدفع الباب المغطى بالستارة فيفتح وتُرى السيدة بوركمان واقفة بالباب، وقد غطت رأسها بشال كبير)

السيدة بوركمان : **(فى اضطراب شديد)** أبدًا لن يحمل إرهارت هذا الاسم فى حياته.

ألـلا رانثيــــم : (تتراجع) جنهيلد!

بـــوركمـــــــان : (فى صوت خشن فيه تهديد) أنا لا أسمح لأحد أيًّا كان بالصعود إلى حجرتى!

السيدة بوركمان : (تتقدم خطوة) أنا لا أسألك السماح لى.

بـــوركمـــــــان : (يتجه ناحيتها) ماذا تريدين منى!؟

السيدة بوركمان : سأحارب بكل قوتى دفاعا عنك، سأحميك من قوى الشر.

أللا رانثيـــــم : إن أسوأ «قوى الشر» فى داخل نفسك يا جنهيلد!

السيدة بوركمان : (بخشونة) فليكن. (فى وعيد وقد مدت نحوها ذراعها) ولكنى استمعى إلى قولى هذا، إنه سيحمل اسم أبيه! وسيحمله عاليًا فى شرف مرة أخرى، وسأكون أمه! أنا وحدى! وستكون محبة ابنى لى، لى وليس لأحد آخر.

(تخرج من الباب المغطى بالستارة وتغلقه وراءها)

أللا رانثيـــــم : (مضطربة محطمة) بوركمان، ستتحطم حياة إرهارت فى هذه العاصفة، يجب أن تتفاهم أنت وجنهيلد، يجب أن تنزل إليها فى الحال.

بـــوركمـــــــان : (ينظر إليها) ننزل؟ أتعنين أن أنزل أنا أيضًا؟

ألـلا رانتيـــــــم : أنا وأنت.

بــوركمـــــــــان : (يهز رأسه) صدقينى إن فيها صــلابة، صــلابة كذلك المعدن الذى حلمتُ يومًا بأن أستخرجه من الصخور.

ألـلا رانتيـــــــم : جرب الآن إذن.

(بوركمان لا يجيب، ولكنه يقــف نــاظرًا إليها فى شك)

«ســـــتار»

الفصل الثالث

المنظر:

(غرفة استقبال السيدة بوركمان، ما زال المصباح مضاء على المنضدة القريبة من الأريكة، ولكن الشرفة الخلفية مظلمة تمامًا، تدخل السيدة بوركمان من باب الصالة، ومازال الشال فوق رأسها وهى فى اضطراب شديد، فتذهب إلى النافذة فتزيح الستارة قليلا وتنظر إلى الخارج ثم تذهب لتجلس بجوار الموقد، ثم تنهض فى الحال وتذهب إلى حبل الجرس فتجذبه ثم تقف بجوار الأريكة دقيقة فلما لم يحضر أحد تدق الجرس ثانية بقوة.

تدخل الخادم فى الحال باب الصالة، يبدو عليها أثر النوم والغضب وقد لبست ملابسها بسرعة)

السيدة بوركمان : (بفروغ صبر) ماذا حدث لك يا ميلينا؟ لقد دققت الجرس مرتين.

الخادم : نعم يا سيدتى، لقد سمعتك.

السيدة بوركمان : ومع ذلك لم تحضرى؟

الخـــــــادم : **(فى عبوس)** أظن أنه كان من الواجب علـــىَّ أن ألبس بعض ملابسى أولاً.

السيدة بوركمان : نعم، يجب أن تلبسى ملابسك كلها ثـــم تـــذهبى بسرعة للبحث عن ابنى.

الخـــــــادم : **(تنظر إليها فى دهشة)** أتريدين منى أن أبحث عن السيد إرهارت؟

السيدة بوركمان : نعم، أخبريه أن يحضر إلى المنزل على الفـــور، فإنى أريد أن أتحدث إليه.

الخـــــــادم : **(فى تذمر)** إذن يحسن بى أن أذهب إلـــى جنـــاح السيد لأنادى سائق العربة.

السيدة بوركمان : لماذا؟

الخـــــــادم : لأطلب منه إعداد الزحافة، فالثلج المتساقط الليلة كثير جدا.

السيدة بوركمان : أوه، لا أهمية لذلك، كل ما أطلبـــه أن تـــسرعى بالذهاب فهو قريب منّا.

الخـــــــادم : كيف يا سيدتى، لا يمكن أن يكون قريبا منّا.

السيدة بوركمان : بالطبع هو قريب، ألا تعرفين فيللا مستر هنكل؟

الخـــــــادم : (بخبث) أوه، حقاً؟ هل مــستر إرهــارت هنــاك الليلة؟

السيدة بوركمان : (فى ذهول) كيف؟ أين تفترضين وجوده إذن؟

الخـــــــادم : (بابتسامة صغيرة) حسن، ظننته حيث يوجد عادة.

السيدة بوركمان : أى مكان تعنين؟

الخـــــــادم : منزل تلك التى يدعونها السيدة ويلتن.

السيدة بوركمان : منزل السيدة ويلتن؟ إن ابنـــى لا يـــذهب هنــاك كثيرًا.

الخـــــــادم : (فى صوت أشبه بالتمتمة) لقد سمعتهم يقولون إنه يذهب إلى منزلها كل يوم.

السيدة بوركمان : هذا كله كلام فارغ يا ميلينا، اذهبـــى تــوًّا إلـــى منزل السيدة هنكل وحاولى الإتيان به.

الخـــــــادم : (وهى تلقى برأسها إلى الخلف) أوه، حسن جـدًا، ها أنا ذاهبة

(عندما همّ بالخروج من باب الصالة يفتح الباب وتظهر على عتبته ألــلا رانثـــيم ومـــستر بوركمان).

السيدة بوركمان : (تتراجع خطوة وهى تترنح) ما معنى هذا؟

الخـــــــادم : (فى فزع تطوى يديها بدون شعور) احمنا يا رب!

السيدة بوركمان : (همس للخادم) أخبريه أن يحضر فى الحال.

الخـــــــادم : (فى همس) نعم يا سيدتى.

(تدخل ألّلا رانثيم الحجرة يتبعها السيد بوركمان، بينما تمشى الخادم بجنبها من خلفهما، ثم تخرج وتغلق الباب خلفها. فترة صمت قصيرة).

السيدة بوركمان : (تتمالك نفسها فتلتفت إلى ألّلا) ماذا يريد هنا فى حجرتى؟

ألّلا رانثيم : إنه يريد أن يتفاهم معك يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : لم يحاول ذلك من قبل قط.

ألّلا رانثيم : إنه يحاول الليلة.

السيدة بوركمان : إن آخر مرة واجهنا فيها أحدنا الآخر... كانت فى قاعة المحكمة عندما دعونى لأقدم تقريرًا.

بوركمان : (يقترب) إنه أنا الذى سيقدم تقريرًا عن نفسه فى هذه الليلة.

السيدة بوركمان : (تحملق فيه) أنت؟

بوركمان : ليس عما ارتكبته من خطأ، فالعالم كله يعرف ذلك.

السيدة بوركمان : (تتنهد فى مرارة) نعم، هذا صحيح، العالم كله يعرف ذلك.

بوركمان : ولكن لا أحد يعرف لماذا فعلت ذلك، لماذا اضطررت إلى فعله، فالناس لا يفهمون أننى كنت مضطرًا، لأننى أنا نفسى، لأننى جون جابرييل بوركمان، أنا نفسى وليس أحدًا آخر، وهذا ما سأحاول أن أشرحه لك.

السيدة بوركمان : (تهزُّ رأسها) لا فائدة، فالإغراء والتحريض لا يبرئان أحدًا.

بوركمان : قد يُبرئ الإنسانَ أمام نفسه!

السيدة بوركمان : (فى إشارة اشمئزاز) أوه، دعنا من ذلك! فقد فكرت فى هذا العمل الأسود الذى أقدمتَّ عليه بما فيه الكفاية وأكثر.

بوركمان : وأنا أيضًا. كان لدى الوقت الكافى للتفكير فى ذلك فى زنزانتى - وفى غيرها من الأماكن - خلال هذه السنوات الخمس التى لم يكن يبدو لها نهاية، كما كان لا يزال لدى الوقت الفسيح خلال هذه الأعوام الثمانية التى قضيتها فى الصالة

الكبرى. لقد أعدت مناقشة الموضوع كله، لنفسى، أعدت ذلك مرة بعد مرة، وكنت أقوم بدور موجِّه الاتهام والمحامى والقاضى، وقد كنت أكبر إنصافًا من أى إنسان آخر... وهذا ما أجرؤ على قوله، لقد كنت أقطع القاعة جيئةً وذهابًا وأنا أقلِّب كل ما أقدمت عليه من عمل على جميع وجوهه. بحثت الموضوع من جميع جوانبه دون أى شفقة أو رحمة كأىِّ محام للخصوم، وكان الحكم النهائى الذى كنت أصل إليه دائمًا هو أن الشخص الذى أثمت فى حقه هو... أنا نفسى.

السيدة بوركمان : وماذا عنى؟ وماذا عن ابنك؟

بوركمان : أنتِ وهو ضمن ما أعنيه بقولى أنا نفسى.

السيدة بوركمان : وماذا إذن عن المئات من الآخرين، من الناس الذين قيل إنك حطمتهم؟

بوركمان : **(أكثر عنفًا)** كنت أملك القوة فى يدى! وكنت أحس بدعوة فى داخل نفسى لا يمكن مقاومتها! إن الملايين المحبوسة فى كل مكان من القطر،

عميق فى باطن الأرض. كانت تناديني بأعلى صوتها! تصيح بى أن أحررها! ولكن أحدًا غيرى لم يسمع صوتها، أنا وحدى الذى أعطاها سمعه.

السيدة بوركمان : نعم، ليوصم اسم بوركمان بالعار.

بوركمان : لو كان لدى الآخرين ما لديَّ من القوة، ألا تظنين أنهم كانوا يتصرفون كما فعلت؟

السيدة بوركمان : لا أحد، لا أحد غيرك كان يفعل ما فعلت.

بوركمان : ربما، ولكن ذلك لأنهم لا يملكون ما أملك من ذكاء، ولو أنهم فعلوا ذلك ما كانوا يصلون إلى مقصدى، كان عملهم يختلف تمامًا عن عملى، بالاختصار لقد برَّأت نفسى.

ألا رانتيم : **(بهدوء وإعجاب)** أوه، أتستطيع قول ذلك بهذه الثقة يا بوركمان؟

بوركمان : **(يحنى رأسه موافقًا)** برأت نفسى لهذا السبب، ولكن يبقى بعد ذلك الاتهام الضخم المحطم للنفس.

السيدة بوركمان : وما هو؟

السيدة بوركمان : لقد اختفيت هناك فى الطابق الأعلى، وأضعت على نفسى ثمان سنوات ثمينة من عمرى! كان يجب علىَّ منذ اليوم الأول من الإفراج عنى أن أنطلق فى العالم، أن أخرج إلى عالم الحقيقة الصلب الخالى من الأحلام! كان يجب أن أبدأ من أسفل السلم ثم أدفع نفسى إلى العُلا مرة أخرى، أعلى مما كنت قبلاً، على الرغم مما حدث قبل ذلك.

السيدة بوركمان : أوه، كنت ستسير فى نفس الطريق الذى سرت فيه من قبل، صدقنى فى قولى هذا.

بوركمان : **(يهزُّ رأسه وينظر إليها فى استعلاء)** حقيقة إنه ليس من جديد فيما يحدث، ولكن ما يحدث لا يتكرر أيضًا، إن العين هى التى تبدل شكل العمل، فالعين الجديدة تبدل من شكل العمل القديم **(يُنهى كلامه)** ولكنك لا تفهمين كلامى هذا.

السيدة بوركمان : **(بجفاء)** نعم، لا أفهمه.

بوركمان : آه، وهذه هى اللعنة التى حلَّت بى؛ لم أجد شخصًا واحدًا قط يفهمنى.

ألـــلا رانثيـــــم : **(تنظر إليه)** ولا واحدا يا بوركمان؟

بــوركمـــــــان : ماعدا واحدًا، ربما، وكان ذلك منذ زمن بعيـد، بعيد، فى تلك الأيام التى لم أكن أظن فيها أنـــى فى حاجة إلى من يفهمنى، ولكن منذ ذلك الوقت على أى حال لم أجد من يفهمنى! لم يكن من أحد يفهم رغبـــاتى ويكـــون مستعدًا لإيقاظى، لـــدق جرس الصباح لى، ليصيح بى أن أعاود عملـــى الباسل، وليلح علىَّ بأنى أفعل ما لا يمكن الصفح عنه.

السيدة بوركمان : **(فى ضحكة ساخرة)** أنت إذن مع كل ذلـــك فـــى حاجة إلى دافع خارجى؟

بــوركمـــــــان : **(فى غضب يتزايد)** نعم، عندما أجمعَ العالم كلـــه على أننى وقعت ولن أنهض ثانية، كانت تمر بى لحظات أصدق أنا نفسى ذلك. **(يرفع رأسه)** ولكن كانت ثقتى الكامنـــة فـــى نفـــسى تعلـــو إذ ذاك منتصرة، وكان فى ذلك تبرئة لى.

السيدة بوركمان : **(تنظر إليه فى جفاء)** لماذا لم تحضر إلىَّ ولا مرة واحدة لتسألنى عمَّا تسميه تفاهمًا؟

بـــوركمـــــــــان : وما فائدة حضورى إليك؟

السيدة بوركمان : (فى إشارة اشمئزاز) إنك لم تحب أحدًا غير نفسك، وهذا سر الأمر كله.

بـــوركمـــــــــان : (فى فخر) لقد أحببت القوة.

السيدة بوركمان : نعم؟ القوة؟

بـــوركمـــــــــان : القوة لأخلق حولى سعادة الناس فى أوسع مدى!

السيدة بوركمان : لقد كانت لديك القوة وقتًا ما لتسعدنى، فهل حققت ذلك؟

بـــوركمـــــــــان : (دون أن ينظر إليها) لا بد عـــادة مـــن شـــخص يغرق مع حطام السفينة.

السيدة بوركمان : وابنك أنت؟ هل استخدمت قوتك، وهـــل عـــشت وعملت، لكى تحقق له السعادة؟

بـــوركمـــــــــان : أنا لا أعرفه.

السيدة بوركمان : نعم، هذا صحيح، إنك لا تعرفه مجرد معرفة.

بـــوركمـــــــــان : (بجفاء) إنك، وأنتِ أمه، جعلتِ همَّك ذلك!

السيدة بوركمان : (تنظر إليه فى تكبر) أوه، إنك لا تعرف ما وجهت اهتمامى إليه!

بـــوركمـــــــــان : أنتِ؟

السيدة بوركمان : نعم، أنا، أنا وحدى.

بـــوركمــــــــان : خبِّرينى إذن.

السيدة بوركمان : لقد وجهت اهتمامى إلى ذكراك.

بـــوركمــــــــان : (**بضحكة قصيرة جافة**) ذكراى؟ أوه، حقــا! فـــى الكلمة رنين يوحى بأنى كأنما متُ.

السيدة بوركمان : وإنك لكذلك.

بـــوركمــــــــان : (**فى بطء**) نعم، ربما كان هذا صحيحًا. (**فى غضب**) ولكن لا ، لا ، لم أمت بعد! لقد كنت على حافة الموت، ولكننى الآن صحوت، وعدت إلى نفسى، إن حياة كاملة تنتظرنى، أســتطيع أن أراها فى انتظارى متأنقة حيَّة، وأنـــتِ... أنـــتِ أيضًا سوف ترينها.

السيدة بوركمان : (**ترفع يدها**) لا تفكر فى الحياة ثانية! ارقد هادئا حيث أنت.

ألـــلا رانثيـــــم : (**مصدومة**) جنهيلد! جنهيلد! كيف تجرئين!

السيدة بوركمان : (**لا تسمع إلى قولها**) سأقيم نصبًا على قبرك.

بـــوركمــــــــان : نصب العار، أظن هذا ما تعنينه.

السيدة بوركمان : (**فى ثورة تتزايد**) أوه، كلا، فلن يكون نصبا من معدن أو حجر، ولن يحاول أحد أن يصوغ أسطورة ساخرة حول هذا النصب الذى سأقيمه، سيكون حول قبرك، كما كان دائمًا، سياج من الأشجار والشجيرات الملتفة سريعة النمو التى تتقارب وتتقارب، حتى لا تقع أعين الرجال ولا أفكارهم بعد ذلك على جون جابرييل بوركمان.

بوركمان : (**فى صوت أجش حاد**) وماذا عن عملية الحب التى ستقومين بها؟

السيدة بوركمان : لن أقوى على ذلك بقوتى المفردة، فهذا ما لا يمكن التفكير فيه، ولكنى ربيت شخصًا ليساعدنى، وستكون حياته وقفًا على هذا العمل، ستكون حياة نقية عالية برّاقة، حتى إن سقطتك السوداء هذه ستصبح كأن لم تكن!

بوركمان : (**فى غموض وتهديد**) إن كنت تعنين إرهارت فقولى ذلك على الفور!

السيدة بوركمان : (**تنظر فى عينيه**) نعم، إنه إرهارت، ابنى، ذلك الذى تريد أن تبرأ منه تكفيرًا عن أفعالك.

بـــوركمــــــــان : (وهو ينظر إلى ألللا) للتكفير عن أسود خطاياى.

السيدة بوركمان : (ناقضة الفكرة) إنها ليست إلا خطيئة نحو شخص غريب، تذكر خطيئتك نحوى! **(تنظر إليهما فى انتصار)** ولكنه لن يطيعك! عندما أناديه إذ أحتاج إليه فسيخف عنِّى! إنه سيبقى معى أنا! معى أنا وليس مع أى إنسان آخر.

(تتسمع فجأة ثم تصيح) إنى أسمعه! إنه هنا، إنه هنا! إرهارت!

(يفتح إرهارت بوركمان باب الصالة بسرعة ويدخل إلى الحجرة وقد لبس معطفه وقبعته)

إرهـــــــــارت : **(فى شحوب واضطراب)** أمى! بحق السماء ماذا...

(يفاجأ برؤية بوركمان عند الباب المؤدى إلى الشرفة فيخلع قبعته ثم يسأل بعد فترة صمت)

ماذا تريدين منِّى يا أمى؟ ماذا حدث؟

السيدة بوركمان : **(تمد يديها نحوه)** أريد أن أراك يا إرهارت! أريدك أن تبقى معى دائمًا!

إرهـــــــــارت : (فى لعثمة) تريديننى؟ دائمًا؟ ماذا تعنين بذلك؟

السيدة بوركمان : ستبقى معى، هذا ما أقوله! فإن هناك من يريـــد أن يأخذك منى!

إرهـــــــــارت : (يتراجع خطوة) آه، أنتِ إذن تعرفين؟

السيدة بوركمان : نعم، أتعرف ذلك أنت أيضًا؟

إرهـــــــــارت : (ينظر إليها فى دهشة) أأعرف أنا ذلـــك؟ نعـــم، بالطبع.

السيدة بوركمان : آها، إذن فقد اتفقتم كلكم على ذلك! دون علمـــى؟ إرهارت! إرهارت!

إرهـــــــــارت : (بسرعة) أمى، أخبرينى بما تعرفين!

السيدة بوركمان : أنا أعرف كل شىء، أعرف أن خالتـــك جـــاءت لتأخذك منِّى.

إرهـــــــــارت : خالتى ألّلا!؟

ألـــلا رانثيــــم : أوه، استمع إلىَّ قليلاً يا إرهارت!

السيدة بوركمان : (مستمرة) إنها تريد منِّى أن أتنازل عنـــك لهـــا، فهى تريد أن تقوم مقام أمك يا إرهارت! تريد أن تكون ابنها لا ابنى منذ اليوم، تريد أن تورثك كل ما تملك وأن تتنازل عن اسمك وتحمـــل اســـمها

بدلاً منه!

إرهـــــــارت : أهذا صحيح يا خالتى أللا؟

ألــلا رانثيـــم : نعم، صحيح.

إرهـــــــارت : لم أكن أعلم شيئًا عن ذلـــك. لمـــاذا تريـــدين أن أعيش معك ثانية؟

ألــلا رانثيـــم : لأنى أشعر أنى أفقدك وأنت هنا.

السيدة بوركمان : **(بغبطة)** إنك تفقدينه لأنى أكسبه... نعـــم، وهـــذا بالضبط ما يجب حدوثه.

ألــلا رانثيـــم : **(تنظر إليه فى توسُّل)** لـــن أســـتطيع فقـــدك يـــا إرهارت، لأنى، وهذا ما يجب أن أخبـــرك بـــه، امرأة وحيدة، على وشك الموت.

إرهـــــــارت : على وشك الموت؟

ألــلا رانثيـــم : نعم، على وشك الموت، فهل تأتى لتبقـــى معـــى إلى النهاية؟ تقدم نفسك كُلِّيةً لى؟ تكون لى كأنك ابنى الحقيقى؟

السيدة بوركمان : **(مقاطعة)** وتهجر أمك؟ وربما تهجر رسالتك فى الحياة كذلك؟ هل تفعل ذلك يا إرهارت؟

ألــلا رانثيـــم : إنى مُشرِفة على الموت، فأجبنى يا إرهارت.

إرهـــــــارت : (فى حرارة وعاطفية) لقد كنت طيِّبة نحـوى يـا خالتى ألّلا طيبة بالغة، فقد عشت معك فى سعادة تامة لم يحس بها طفل من قبل.

السيدة بوركمان : إرهارت، إرهارت!؟

ألـــلا رانثيــــم : أوه، ما أسعدنى إذ ما زلت تستطيع قول ذلك!

إرهـــــــارت : ولكنى لا أستطيع أن أضحى بنفسى الآن من أجلك، فليس من الممكن أن أخصص نفسى كُلِّيةً لأخذ مكان الابن منك.

السيدة بوركمان : (فى انتصار) آه، كنت أعلم ذلك! لن تأخذيه! لـن تأخذيه يا ألّلا!

ألـــلا رانثيــــم : (فى حزن) فهمت، لقد استرددته منى.

السيدة بوركمان : نعم، نعم! إنه لى، سيظل لى! قل إن الأمر كذلك يا عزيزى إرهارت، فإن أمامنا نحـن الاثنـين طريقًا طويلة سنقطعها معًا أليس كذلك؟

إرهـــــــارت : (مقاومًا نفسه) أمى، يجـب أن أخبـرك كـذلك بوضوح...

السيدة بوركمان : (فى لهفة) ماذا؟

إرهـــــــارت : أخشى أن يكون ما سنقطعه من الطريــق ســويًّا قصيرًا.

السيدة بوركمان : (كأنها أصيبت بصاعقة) ماذا تعنى بذلك؟

إرهـــــــارت : (محاولا جمع شتات نفسه) يا للسماء، يا أمـــى، لا تنسى أنى شاب! إنى أحس كأنى ســأختنق فـــى النهاية من هواء هذه الغرفة المطبق.

السيدة بوركمان : الهواء المطبق؟ هنا؟ معى؟

إرهـــــــارت : نعم، هنا معك يا أمى.

ألـــلا رانثيــــم : إذن تعال معى يا إرهارت.

إرهـــــــارت : أوه، يا خالتى ألّلا، إن الحال معـــك لا يَفــضُل الحالة هنا مثقال ذرة، إنها متغيرة ولكن ليــست أفضل، ليست بالنسبة لى، فهنـــاك أيــضًا أشـــم رائحة أوراق الورد والخزامى، ولكن الجو خانق هنا وهناك على السواء.

السيدة بوركمان : (مصدومة، ولكنها تتمالك نفسها بعد مجهود) جو خانق فى حجرة أمك؟ أهذا ما تقوله؟!

إرهـــــــارت : (فى ضيق يتزايد) نعم، لم أجد تعبيرًا آخر، فكـــل هذه العناية المريضة والـــ... المحبة التى تبلـــغ

حد العبادة الوثنية، أو ما شئتم أن تطلقوا عليهـــا من أسماء... لم أعد أستطيع تحمُّــل أى شـــىء منها!

السيدة بوركمان : **(فى جلال عظيم)** أنسيت يا إرهارت ما كرَّســت حياتك له؟

إرهـــــــــارت : **(فى ثورة)** أوه، بل قولى ما كرَّستِ أنتِ حيــاتى له، فأنتِ، أنتِ كنتِ إرادتى، إذ لم تسمحى بـــأن تكون لى إرادة خاصة، ولكنى الآن لا أستطيع أن أتحمل هذا الشر أكثر من ذلك، إنى شاب، تـــذكرى هذا يا أمى. **(وهو ينظر إلى بوركمان نظرة احترام وأدب)** ولن أستطيع أن أكرس حيـــاتى للتكفيـــر عن خطيئة شخص آخـــر، مهمـــا كـــان هـــذا الشخص.

السيدة بوركمان : **(يتملكها قلق يتزايد)** مـــن الـــذى غيَّـــرك يـــا إرهارت؟

إرهـــــــــارت : من؟ ألا تستطيعين إدراك أنه أنا نفسى؟

السيدة بوركمان : كلا، كلا، كلا! لقد وقعت تحت تأثير قوة غريبة، لم تعد خاضعًا لأمك، ولا لـــ... لأمك بالتربية أيضًا.

إرهـــــــــارت : **(فى حماسة مشتعلة)** إنى خاضع لنفسى يا أمـــى! تابع لإرادتى!

بـــوركمـــــــان : **(يتقدم من إرهارت)** إذن، لعل الوقت قد حان لى أخيرًا.

إرهـــــــــارت : **(فى صوت جاف وأدب متكلف)** كيــف؟ مـــاذا تعنى يا سيدى؟

السيدة بوركمان : **(باستخفاف)** نعم، لك أن تسأل هذا السؤال.

بـــوركمـــــــان : **(يتقدم دون أن يتأثر بالمقاطعة)** اسمع يا إرهارت، ألا تربط مستقبل حياتك بوالدك؟ فإن من يـــسقط لا يمكن أن تقال عثرته بواســطة أى شـــخص آخر. إن كل ما سمعته هنا فى هـــذه الحجــــرة ذات الجـــو الخانق ليـــس إلا خرافات لا معنـــى لها، فلو أنك أردت أن تحيا حياتك كمـــا يفعـــل جميع القديسين مجتمعين، فلن يكون فى ذلك أى نفع لى.

إرهـــــــــارت : **(فى احترام متزن)** هذا صحيح تمامًا.

بـــوركمـــــــان : نعم، إنه صحيح، كما إنه لا فائدة كذلك من أن أسلم نفسى إلى ندم حقير حتى أذوى، لقـــد حاولـــت أن

أغذو نفسى بالآمال والأحلام طوال هذه السنين، ولكنى لست الرجل الذى يقنع بذلك، أما الآن فقد نويت أن أقطع كل ما بينى وبين الأحلام.

إرهارت : **(بانحناءة صغيرة)** وماذا... وماذا ستفعل يا سيدى؟

بوركمان : سأعمل على خلاص نفسى، هذا ما سأفعله، سأبدأ من أول السلم ثانية، فإن الإنسان يستطيع أن يكفِّر عن ماضيه خلال حاضره ومستقبله فقط، فخلال العمل، العمل الذى لا يمل، خلال ذلك كله كان للحياة معناها فى شبابى... وإن ذلك ليبدو الآن أعظم ألف مرة مما كان فى الماضى. إرهارت، أتشترك معى وتساعدنى فى هذه الحياة الجديدة؟

السيدة بوركمان : **(ترفع يدها محذرة)** لا تقبل يا إرهارت!

ألــلا رانثيــم : **(بحرارة)** نعم، نعم، اقبل ذلك! أوه، ساعده يا إرهارت.

السيدة بوركمان : أتنصحينه بأن يقبل ذلك، أنت المرأة الوحيدة التى على وشك الموت؟

ألــلا رانثيــم : أنا لا أهتم بنفسى.

السيدة بوركمان : نعم، ما دام الذى سيأخذه منك غيرى.

ألــلا رانثيـــم : بالضبط يا جنهيلد.

بــوركمـــان : أتقبل يا إرهارت؟

إرهـــارت : **(يمزقه الألم)** لا أستطيع الآن يا أبى، فهذا مستحيل استحالة تامة.

بــوركمـــان : ماذا تريد أن تفعل إذن؟

إرهـــارت : **(فى حدة مفاجئة)** إنى شاب صغير! أريد أن أعيش مرة بأى شكل كما يعيش غيرى من الناس! أريد أن أحيا حياتى!

ألــلا رانثيـــم : ألا تستطيع أن تتنازل عن شهرين أو ثلاثة تمر سريعًا فى سبيل إشراق حياة مسكينة على وشك الانتهاء؟

إرهـــارت : لا أستطيع يا خالتى، ولو أنى كنت أتمنى لو أنى أستطيع.

ألــلا رانثيـــم : حتى ولو كان من أجل من تحبك أكبر الحب؟

إرهـــارت : إنى أؤكد لك فى خشوع أننى لا أستطيع يا خالتى ألّلا.

السيدة بوركمان : **(تنظر إليه بإمعان)** وحتى أمك لم يعد لها أى تأثير عليك أيضًا؟

إرهـــــــــارت : سأحبك دائما يا أمى، ولكنـــى لـــن أســـتطيع أن أستمر على الحياة منقطعًا لك، فليست هذه هـــى الحياة التى أريدها.

بـــوركمـــــــان : إذن تعال بعد كل ذلك واشترك معى! فإن الحياة يا إرهارت، الحياة تعنى العمل، تعال وسنـــسير سويًا فى الحياة قُدمًا وسنعمل معًا!

إرهـــــــــارت : (بتأثر) نعم، ولكنى لا أريد أن أعمل الآن، لأنى ما زلت صغيرًا! وهذا ما لم أدركه من قبل قط، ولكنى عرفته الآن، وأصبحت هذه المعرفة تطن فى كل عرق من جـــسدى، لـــن أعمـــل! فقـــط سأعيش، سأعيش، سأعيش!

السيدة بوركمان : (فى صيحة كمن يقرأ الغيب) وماهدفك من الحياة يا إرهارت؟

إرهـــــــــارت : (وعيونه تلمع) السعادة يا أمى!

السيدة بوركمان : وأين تظن أنك ستجدها؟

إرهـــــــــارت : لقد وجدتها فعلاً!

السيدة بوركمان : (تصيح) إرهارت!

(يذهب إرهارت بسرعة إلى باب الـــصالة ويفتحه عن آخره).

إرهــــــــارت : (ينادى من بالخارج) فانى، تـستطيعين الـدخول الآن!

(تظهر السيدة ويلتن على عتبة الباب وهى بملابس الخروج الكاملة)

السيدة بوركمان : (ترفع يديها) السيدة ويلتن!؟

السيدة ويـلتن : (فى تردد وهى تنظر إلى إرهارت نظرة متـسائلة) أتريد منى أن...؟

إرهــــــــارت : نعم، تستطيعين الدخول الآن، فقد أخبرتهم بكـل شىء.

(تتقدم السيدة ويلتن إلى داخل الحجـرة ويغلق إرهارت الباب بعد دخولها، تنحنى بهيئـة رسمية لبوركمان الذى ينحنى لها فى صمت... فترة صمت قصيرة)

السيدة ويـلتن : (تحاول أن تتحدث بـصوت رزيـن) إذن فقـد أخبركم أخيرًا، وأظنكم تحسبوننى سببًا فـى أن حلَّت مصيبة عظيمة بهذا البيت؟!

السيدة بوركمان : (ببطء وهى تنظر إليها بشدة) لقد سحقت البقيـة الباقية من رغبتى فى الحياة. (فى ثورة) ولكن كل ذلك، كل ذلك مستحيل تمامًا!

السيدة ويلتن : إنى أفهم تماما أن هذا الأمر يجب أن يبدو مستحيلاً لك يا سيدة بوركمان.

السيدة بوركمان : نعم، إنك بالتأكيد تحسِّين أنه أمر مستحيل، وإلاَّ؟

السيدة ويلتن : بل يجب أن أقول إنه يبدو بعيد الاحتمال، ولكن هذا ما حدث، وليس شيئًا أقل من ذلك.

السيدة بوركمان : **(تلتفت)** أأنتما جادان حقًا فى هذا الأمر يا إرهارت؟

إرهارت : إنه يعنى السعادة لى يا أمى، كل الجمال والسعادة فى الحياة، وهذا كل ما أستطيع أن أقوله لك.

السيدة بوركمان : **(تعصر يدها بالأخرى، وتخاطب السيدة ويلتن)** أوه، كيف استطعت أن تتملقى وتغوى ابنى التعس!؟

السيدة ويلتن : **(ترفع رأسها فى كبرياء)** لم أفعل شيئًا من هذا القبيل.

السيدة بوركمان : لم تفعلى؟ وتقولين ذلك!؟

السيدة ويلتن : نعم، أنا لم أتملقه ولم أغوه، لقد جاء إرهارت إلىَّ بمحض إرادته، وذهبت أنا بمحض إرادتى إلى منتصف الطريق لمقابلته.

السيدة بوركمان : (تقيسها بنظراتها فى احتقار) نعم، بالطبع، هذا ما أستطيع تصديقه بسهولة.

السيدة ويلتن : (تتمالك نفسها) السيدة بوركمان، إن فى الحياة الإنسانية قوى يبدو أنك لا تعرفين عنها إلا القليل.

السيدة بوركمان : هل لى أن أسألك أى قوى تعنين؟

السيدة ويلتن : القوى التى تفرض على شخصين أن تتصل حياتهما سويًا اتصالاً وثيقًا... دون خوف.

السيدة بوركمان : (وهى تبتسم) ظننتك مرتبطة فعلاً ارتباطًا وثيقًا... بآخر.

السيدة ويلتن : (فى اقتضاب) هذا الأخير هجرنى.

السيدة بوركمان : ولكنه ما زال حيًّا، هكذا يقولون.

السيدة ويلتن : إنه ميت فى نظرى.

إرهارت : (فى إصرار) نعم يا أمى، إنه ميت بالنسبة لفانى، هذا إلى أن هذا الآخر لا يغيِّر من الأمر شيئًا بالنسبة لى!

السيدة بوركمان : (تنظر إليه فى عبوس) إذن فأنت تعرف كل هذا... عن الآخر؟

إرهـــــــارت : نعم يا أمى، إنى أعرف معرفة تامة... كل شىء عن هذا الموضوع!

السيدة بوركمان : ومع ذلك تجسر على القول بأن ذلك لا يغير من الأمر شيئًا بالنسبة إليك؟

إرهـــــــارت : **(متحديًا فى حدة طبع)** كل ما أستطيع أن أقولـه إننى يجب أن أحصل على السعادة! إنى صغير! أريد أن أعيش، أعيش، أعيش!

السيدة بوركمان : نعم، إنك صغير يا إرهارت، أصغر من أن تفعل ذلك.

السيدة ويـلتن : **(بثبات وجد)** لا تظنى يا سيدة بوركمان أننى لم أقل له نفس الكلام، لقد عرضت أمامـه حيـاتى كلها، وقد كررت له مرة بعد مرة أننـى أكبُـره بسبع سنوات...

إرهـــــــارت : **(مقاطعًا)** أوه، هراء يا فانى، لقد كنـت أعـرف ذلك منذ اللحظة الأولى.

السيدة ويـلتن : ولكن لا شىء، لا شىء استطاع أن يمنعه.

السيدة بوركمان : حقا؟ لا شىء؟ لماذا إذن لم تصرفيه دون عنـاء أكثر؟ لماذا لم تغلقى بابك دونه؟ كان يجـب أن تفعلى ذلك، وتفعليه فى وقته!

السيدة ويلتن : (تنظر إليها وتقول فى صوت خافت) لم أستطع أن أفعل ذلك يا سيدة بوركمان.

السيدة بوركمان : لماذا لم تستطيعى؟

السيدة ويلتن : لأنه بالنسبة لى أنا أيضًا كان يعنى السعادة.

السيدة بوركمان : (باحتقار) هم، السعادة، السعادة.

السيدة ويلتن : لم أذق طعم السعادة فى حياتى من قبل، فلم يكن ممكنًا أن أطرد السعادة بعيدًا عنى لا لشىء إلا لأنها جاءت متأخرة.

السيدة بوركمان : وإلى متى تحسبين هذه السعادة ستدوم؟

إرهارت : (مقاطعًا) دامت أو لم تدم، ليس لذلك أهمية الآن يا أمى!

السيدة بوركمان : (بغضب) إنك فتى أعمى! ألا ترى إلام يقودك كل هذا؟

إرهارت : لا أريد أن أُنعم النظر فى المستقبل، لا أريد أن أنظر حولى فى أى اتجاه، كل ما صممت عليه أن أحيا حياتى... أخيرًا!

السيدة بوركمان : (بألم) وتدعو تلك حياة يا إرهارت!؟

إرهارت : ألا ترين كم هى جميلة!؟

السيدة بوركمان : **(تعصر يديها إحداهما بالأخرى)** وعليَّ أن أحمل هذا الثقل من العار أيضًا!

بوركمان : **(فى مؤخرة القاعة فى صوت خشن حاد)** هو... لقد تعودتِ على حمل مثل هذه الأشياء يا جنهيلد!

أللا رانثيم : **(فى توسل)** بوركمان!

إرهارت : أبى!

السيدة بوركمان : سأضطر يومًا بعد يوم إلى رؤية ابنى مرتبطًا بـ... بـ...

إرهارت : **(يقاطعها بخشونة)** لن ترَىْ شيئًا من ذلك يا أمى! فليرتح بالك من هذه الناحية، لأنى لن أبقى هنا.

السيدة ويلتن : **(فى سرعة وتصميم)** سنسافر بعيدًا يا سيدة بوركمان.

السيدة بوركمان : **(يشحب وجهها)** أأنت أيضًا مسافر بعيدًا؟ مسافران معًا ولا شك؟

السيدة ويلتن : **(تحنى رأسها موافقة)** نعم، سأسافر إلى الخارج، إلى الجنوب، وسأصحب معى فتاة صغيرة، وسيسافر معنا إرهارت كذلك.

السيدة بوركمان : معك؟ ومع فتاة صغيرة؟

السيدة ويلتن : نعم، إنها فريدا فولدول الصغيرة التى تعيش معى، فإنى أود أن أصحبها معى إلى الخارج لتزيد ثقافتها الموسيقية.

السيدة بوركمان : ولهذا فأنت تصحبينها معك؟

السيدة ويلتن : نعم، فلن أستطيع أن أتركها وحيدة فى الدنيا.

السيدة بوركمان : **(تكتم ابتسامتها)** ماذا تقول فى هذا يا إرهارت؟

إرهارت : **(فى ارتباك وهو يهزُّ كتفيه)** لا بأس يا أمى، ما دامت فانى تريد الأمر هكذا.

السيدة بوركمان : **(فى برود)** ومتى ستبدأ هذه المجموعة المتميزة السفر إن كان لى أن أسأل؟

السيدة ويلتن : سنسافر فى الحال، الليلة، زحافتى المغطاة تنتظرنا فى الطريق خارج بيت آل هنكل.

السيدة بوركمان : **(تقيسها بنظراتها من الرأس إلى القدم)** آهـا! إذن فهذا ما كان يقصد بالحفلة؟

السيدة ويلتن : **(مبتسمة)** نعم، كنت أنا وإرهارت كل المدعوين إلى الحفل، ومعنا. فريدا الصغيرة بالطبع.

السيدة بوركمان : وأين هى الآن؟

السيدة ويلتن : إنها فى الزحافة تنتظرنا.

إرهارت : **(فى حيرة مؤلمة)** لا شك أنك تفهمين يا أمى، لقد كنت أود أن أجنِّبك هذا كله، أنت وغيرك.

السيدة بوركمان : **(تنظر إليه فى ألم شديد)** أكنت تريد أن ترحل بعيدًا عنى دون أن تودعنى؟

إرهارت : نعم، ظننت أن ذلك أفضل، أفضل لنا جميعًا، فقد حزمنا أمتعتنا واتفقنا على كل شىء، ولكن بالطبع عندما أرسلت إلىَّ...

(يمد يديه إليها) وداعًا يا أمى.

السيدة بوركمان : **(بإشارة اشمئزاز)** لا تلمسنى!

إرهارت : **(برقة)** أهذا رأيك الأخير؟

السيدة بوركمان : **(بجفاء)** نعم.

إرهارت : **(يستدير عنها)** وداعًا أنت إذن يا خالتى أللا.

أللا رانثيم : **(تضم يديه)** وداعًا يا إرهارت! وعش حياتك... وكن سعيدًا، سعيدًا كأسعد ما تستطيع.

إرهـــــــارت : شكرًا يا خالتى. **(ينحنى لبوركمان)**
وداعا يا أبى. **(يهمس للسيدة ويلتن)**
هيا بنا نخرج، فكلما أسرعنا كان ذلك أفضل.

السيدة ويــلتن : **(فى همس)** نعم، هيا بنا.

السيدة بوركمان : **(فى بسمة خبيثة)** السيدة ويلــتن، أتظنــين أنــك تصرفت تصرفًا حكيمًا إذ تصحبين معــك هــذه الفتاة؟

السيدة ويــلتن : **(تبتسم أيضًا بسمة فيها السخرية والجد)**
إن الرجال كثيرو القلق يا سيدة بوركمان، وكذلك النساء أيضًا، فعندما ينتهــى إرهــارت منــى، وانتهى منه، إذ ذاك يكون من الخير لنا كلينا أن يجد هذا الصديق المسكين شخصًا آخــر يعتمــد عليه.

السيدة بوركمان : ولكن أنت؟

السيدة ويــلتن : أوه، سأعرف ما أفعل، أؤكد لك، وداعًــا لكــم جميعًا!

(تنحنى وتخرج من باب الصالة، بينما يقف إرهارت فترة، كأنه متردد ثم يستدير ويتبعها)

السيدة بوركمان : (تسقط يديها المطوية) وحيدة بلا ولد.

بوركمان : (كأنما وصل إلى حل بعد تردد طويل) إذن فلأخرج وحيدًا إلى العاصفة! قبعتى! معطفى!

(يذهب مسرعًا إلى الباب)

ألّلا رانتيم : (فى فزع توقفه) جون جابرييل، إلى أين أنت ذاهب؟

بوركمان : إلى الخارج، إلى الحياة العاصفة قلت لكِ، دعينى أذهب يا ألّلا!

ألّلا رانتيم : (تحاول منعه) لا، لا ، لن أدعك تخرج! فأنت مريض، إنى أرى ذلك بوضوح فى وجهك!

بوركمان : دعينى أذهب، قلت لك!

(يخلّص نفسه منها ويخرج إلى الصالة)

ألّلا رانتيم : (عند الباب) ساعدينى فى منعه يا جنهيلد!

السيدة بوركمان : (فى صوت بارد حاد وهى تقف فى وسط الحجرة) لن أحاول منع أى واحد فى العالم، دعيهم يذهبوا

عنِّى... الواحد بعد الآخر؟ كما،كما يحلو لهـــم.

(ثم فجأة تصيح فى صرخة حادة) إرهـــارت، لا تتركنى!

(تندفع نحو الباب وقد مـــدت ذراعيهـــا، فتوقفها ألللا رانثيم)

«الســـــتار»

الفصل الرابع

المنظر:

(فضاء مكشوف خارج المبنى الرئيسى الذى يبدو إلى اليمين، وقد صمم ركن منه ليظهر على المسرح فيه باب يصل إليه الإنسان بعدد من الدرجات الحجرية المنخفضة. يمثل المنظر الخلفى وهادًا منحدرة، فيها أشجار مورقة تبدو قريبة، إلى اليسار خط من الأشجار يمثل حدود الغابة.

العاصفة الثلجية انتهت ولكن الثلوج التى نزلت أخيرًا قد تراكمت بكثرة حول المكان، وقد حملت الأغصان المورقة حملاً ثقيلاً من الثلج. الليل مظلم والسحب ثقيلة، وبين فترة وأخرى يطل القمر بضوئه الشاحب، ليس هناك من ضوء إلا ضوء معتم ينعكس من الثلوج، يقف على الدرجات بوركمان والسيدة بوركمان وأللا رانثيم، بوركمان مستندًا على جدار المنزل فى تعب وقد ألقى على كتفيه لفاعًا من طراز قديم، وأمسك فى إحدى يديه بقبعة رمادية من اللباد اللين، وأمسك فى اليد الأخرى عصا غليظة ذات

عقد، أللا رانثيم تحمل معطفها على ذراعها، أما السيدة بوركمان فقد انحدر شالها الكبير على كتفيها كاشفًا عن شعرها).

أللا رانثيم : (تسد الطريق أمام السيدة بوركمان) لا تذهبي وراءه يا جنهيلد!

السيدة بوركمان : (في خوف وحيرة) دعيني أمر قلت، لك! يجب ألا يرحل بعيدًا عني!

أللا رانثيم : قلت لكِ ألا فائدة مطلقًا! فلن تستطيعي اللحاق به.

السيدة بوركمان : دعيني أذهب يا أللا! سأصيح وراءه في الطريق بأعلى صوتي، ويجب أن يسمع صياح أمه!

أللا رانثيم : إنه لن يسمعك، تأكدي أنه ركب الزحافة الآن.

السيدة بوركمان : لا، لا، لا يمكن أن يكون قد وصل إلى الزحافة بعد!

أللا رانثيم : إن أبوابها قد أغلقت عليه منذ فترة طويلة، صدقيني.

السيدة بوركمان : (في يأس) إن كان في الزحافة فهو إذن معها، معها... هي!

بـــوركمــــــــان : (يضحك فى وجوم)

إذن، فمن المحتمل ألا يسمع صياح أمه.

السيدة بوركمان : كلا، لن يسمعه **(تتسمع)** اسمع! ما هذا؟

ألـــلا رانثيـــــم : **(تتسمع أيضًا)** يبدو أنها أجراس زحافة.

السيدة بوركمان : **(فى صرخة مكتومة)** إنها زحافتها!

ألـــلا رانثيـــــم : لعلها زحافة أخرى.

السيدة بوركمان : كلا، كلا، إنها زحافة السيدة ويلتن المغطاة! فأنا أعرف أجراسها الفضية! استمعى! أنهم الآن يمرون بنا فى أسفل التل!

ألـــلا رانثيـــــم : **(بسرعة)** جنهيلد، إذا أردت أن تصيحى ليسمعك فهذا هو الوقت الملائم! ربما بعد كل ما حدث!

(تسمع رنات الأجراس فى الغابة عن قرب)

أسرعى يا جنهيلد! فإنهم الآن تحتنا تمامًا!

السيدة بوركمان : **(تقف لحظات مترددة، ثم تشتد وتقول فى صوت بارد عنيف)** كلا، لن أصيح وراءه، فليذهب إرهارت بوركمان بعيدا عنى، بعيدا جدا، إلى ذلك الذى يسميه الحياة والسعادة.

(تخفت رنات الأجراس فلا تسمع لبعدها)

ألــلا رانثيـــم : **(بعد فترة صمت)** لم نعد نسمع الآن رنات الأجراس.

السيدة بوركمان : إن صوتها يشبه أجراس الجنازة.

بـوركمــــان : **(بضحكة جافة)** أوهو.. إنها لا تدق الليلة لى!

السيدة بوركمان : كلا، إنما تدق لى، ولذلك الذى ذهب بعيدًا عنى.

ألــلا رانثيـــم : **(تحنى رأسها مرات مفكرة)** من يعلم، لعلها مع كل ذلك رنات الحياة والسعادة له يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : **(فى نشاط مفاجئ، تنظر إليها بشدة)** أتقولين الحياة والسعادة؟

ألــلا رانثيـــم : لوقت قصير على أى حال.

السيدة بوركمان : أتتحملين تركه ليعرف الحياة والسعادة معها؟

ألــلا رانثيـــم : **(فى حرارة وعاطفة)** بالطبع، من كل قلبى وروحى!

السيدة بوركمان : **(ببرود)** إذن، فأنت ولاشك أغنى منى فى قوة الحب.

ألــلا رانثيـــم : **(تنظر بعيدًا)** لعل الافتقار إلى الحب هو الذى يحفظ له قوته.

السيدة بوركمان : (تثبت عليها نظرها) إن كان الأمر كذلك، فسأكون سريعا فى مثل غناك يا ألّلا. (تتحول إلى داخل المترل) هيا يا جون.. يجب أن تدخل أنت أيضًا.

ألّلا رانثيم : (تقف بعض الوقت وهى تنظر إلى بوركمان فى انزعاج ثم تضع يدها بحذر على كتفه).

بوركمان : (كأنما أيقظته) أنا؟

ألّلا رانثيم : نعم، فهواء الشتاء قاس عليك جدا، وإنى لألاحظ ذلك يا جون، فتعال، تعال معى، إلى داخل البيت، حيث الدفء.

بوركمان : (بغضب) أظنك تريدين أن أصعد إلى الصالة الكبرى ثانية.

ألّلا رانثيم : كلا، بل إلى الحجرة التى فى الطابق الأول.

بوركمان : (يشتعل غضبه) لن أضع قدمى تحت سقف هذا البيت ثانية!

ألّلا رانثيم : إلى أين تذهب إذن، وقد تأخر الليل واشتد الظلام يا جون؟

بـــوركمـــــــــان : (يلبس قبعته) أول كل شيء، سأذهب لأرى كل كنوزى المدفونة.

ألـــلا رانثيـــــم : (تنظر إليه بقلق) جون، إنى لا أفهمك.

بـــوركمـــــــــان : (وهو يضحك والسعال يقطع ضحكه) أوه، لست أعنى سرقات أخفيتها، لا تخافى من ذلك يا أللا. (يسكت ثم يشير بيده) أترين هذا الرجل هناك؟ من هو؟

(يتقدم إلى ركن المنزل ويلهلم فولدول فى لفاع قديم مغطى بالثلوج، وقد تدلت حافة قبعته إلى أسفل، وفى يده مظلة كبيرة، وهو فى تقدمه يتعثر فى الثلوج مجهدا ويعرج بقدمه اليسرى عرجا واضحا).

بـــوركمـــــــــان : ويلهلم! ماذا تريد منى ثانية؟

فـــــــولـــدول : (يرفع نظره إليه) يا للسماء، أخرجت إلى درجات المنزل الخارجية يا جون جابرييل؟ (ينحنى) وكذلك السيدة بوركمان كما أرى؟

بـــوركمـــــــــان : (باقتضاب) إنها ليست السيدة بوركمان.

فولدول : أوه، أرجو المعذرة، فأنت ترى أننى أضع نظارتى فى الثلوج، ولكن كيف حدث؟ أنت، من لم تضع قدمًا خارج البيت...؟

بوركمان : **(بغير اهتمام ويمرح)** لقد حان الوقت لأخرج ثانية إلى الهواء الطلق، ألا ترى ذلك؟ ما يقرب من ثلاث سنوات فى الحجز، وخمس سنوات فى السجن، وثمان سنوات فى الصالة الكبرى من الطابق العلوى.

ألّلا رانتيم : **(فى ضيق)** بوركمان، أرجوك.

فولدول : آه، نعم، نعم، نعم!

بوركمان : ولكن أريد أن أعرف ما الذى جاء بك إلى هنا؟

فولدول : **(مازال واقفًا أسفل الدرجات)** كنت أريد أن أصعد إليك يا جون جابرييل، أحسست بوجوب حضورى إليك فى الصالة الكبرى، يا إلهى، هذه الصالة الكبرى.

بوركمان : أأردت أن تصعد إلىَّ بعد أن طردتك؟

فولدول : أوه، لم يكن من المستطاع أن يقف هذا عقبة فى طريقى.

بوركمان : ماذا فعلت برجلك؟ فإني أراك تعرج؟

فولدول : نعم، ماذا تظن؟ لقد وقعت تحت إحدى الزحافات.

ألا رانثيم : وقعت تحت زحافة.

فولدول : نعم، زحافة مغطاة.

بوركمان : أو هو!

فولدول : يجرها حصانان، كانا ينزلان التل في سرعة كبيرة، فلم أستطع الابتعاد عن طريقها بسرعة كافية، وهكذا...

ألا رانثيم : وهكذا وقعت تحتها؟

فولدول : لقد نزلت من التل ومر عليَّ يا سيدتي... أو آنستي، لقد مرت عليَّ تمامًا ودفعتني لأتدحرج وأتدحرج فوق الثلوج.. وهكذا ضاعت مني نظارتي وكسرت مظلتي. **(يدلك ساقه)** كما أصيب رسغي أيضًا إصابة بسيطة.

بوركمان : **(يخفي ضحكه)** أتعرف من كان في هذه الزحافة... يا ولهلم؟

فولدول : كلا، وكيف أستطيع رؤية من بداخلها وهى مغطاة وستائرها مسدلة؟ كما أن السائق لم يقف ولو للحظة واحدة بعد أن تركنى أتدحرج فوق الثلوج. ولكن لا أهمية لذلك مطلقاً لأنى... (فى ثورة) أوه، إنى سعيد جدا، سعيد جدا!

بوركمان : سعيد؟

فولدول : حسن، لست أدرى كيف أسمى حالتى هذه بالضبط، ولكنى أعتقد أن أقرب كلمة معبرة هى كلمة سعيد، لأن أمرًا رائعًا قد حدث! وهذا هو السبب الذى دفعنى... واضطرنى إلى الحضور إليك يا جون جابرييل لتقاسمنى سعادتى.

بوركمان : **(فى صوت خشن)** حسن، قاسمنى إذن!

أللا رانثيم : أوه، ولكن ادخل مع صديقك أولاً إلى المنزل يا بوركمان.

بوركمان : **(بعنف)** قلت لك إنى لن أدخل إلى المنزل.

أللا رانثيم : ولكن، ألم تسمعه يقول إن الزحافة مرت فوقه؟!

بوركمان : أوه، إن كلاً منا قد داسته الحياة بطريقة أو بأخرى، المهم أن ينهض الإنسان مسرعًا مرة أخرى دون أن يرى أحد أنه أصيب.

فـــــولـــدول : هذا قول عميق يا جون جابرييل، ولكنى أستطيع بسهولة أن أقص عليك قصتى هنا فـــى كلمـــات قليلة.

بـــوركمــــــان : (فى صوت أكثر لطفًا) نعم، أرجوك أن تقـــصها على يا ولهلم.

فـــــولـــدول : حسن، الآن ستسمع! تصور أننى عندما عــدت إلى البيت بعد أن تركتك هذا المـــساء، وجـــدت خطابًا فى انتظارى، أيمكنك معرفة الراسل؟

بـــوركمــــــان : لعله من ابنتك الصغيرة فريدا؟

فـــــولـــدول : بالضبط! تصور أنك عرفت ذلك فى الحال! نعم، كانت رسالة طويلة، رسالة طويلة جميلـــة مـــن فريدا، وقد أحضرها أحد الخدم، ولكن هل يمكنك أن تتصور ماذا فيها؟

بـــوركمــــــان : لعلها أرسلت تودعكما أنت وأمها؟

فـــــولـــدول : تمامًا! إنك بارع فى التخمين يا جون جابرييـــل، نعم، لقد أخبرتنى أن السيدة ويلتن تميـــل إليهـــا، وأنها ستــصحبها معهـــا إلـــى الخـــارج لتـــتعلم الموسيقى، وقد استأجرت السيدة ويلـــتن مدرسًـــا

ممتازا ليصحبهما فى الرحلة، وليقوم بتعليم فريدا أيضا، فإنها لسوء الحظ أُهمل تعليمها فى بعض المواد. أرأيت؟

بوركمان : **(يهتز وهو يضحك خفية)** بالطبع، إن الأمر فى غاية الوضوح يا ولهلم.

فولدول : **(مستمرًا فى حماسة)** يكفى أن تتصور أنها لم تعرف بأمر السفر إلا الليلة، وهى فى تلك الحفلة التى تعرفها، هِم! ومع ذلك وجدت الوقت الكافى لتكتب لى، وكانت الرسالة جميلة، فيها حرارة وعاطفة أؤكد لكِ، فليس فيها أى أثر للاستخفاف بأبيها، ثم ما ألطفها فكرة أن ترسل إلينا خطابا تودعنا فيه... قبل رحيلها. **(يضحك)** ولكنى بالطبع لن أتركها ترحل هكذا.

بوركمان : **(ينظر إليه فى تساؤل)** كيف؟

فولدول : لقد أخبرتنى أنهم سيبكرون بالرحيل غدًا صباحًا، فى وقت مبكر جدا.

بوركمان : أوه، حقًّا؟ غدًا؟ أأخبرتك هى بذلك؟

فولدول : (يضحك وهو يدلك يديه) نعم، ولكنى أكثر حيلة مما تظنننى، ألا تعلم ذلك؟ فأنا ذاهب مباشرة إلى منزل السيدة ويلتن.

بوركمان : هذا المساء؟

فولدول : أوه، ولكن الليل لم يتقدم كثيرًا، وحتى لو وجدت المنزل مغلقًا فسأدق الجرس دون تردد، لأننى يجب أن أرى فريدا قبل سفرها، وسأراها، مساء الخير، مساء الخير! (يهم بالذهاب).

بوركمان : قف لحظة يا صديقى المسكين ولهلم، وفر على نفسك مشكلة هذا الطريق المتعب.

فولدول : أوه، لعلك تفكر فى رسغى.

بوركمان : نعم، ثم على أى حال لن تذهب إلى منزل السيدة ويلتن.

فولدول : بل سأذهب حقيقة، سأدق الجرس وسأقرع الباب بيدى حتى يفتحوا لى ويدخلونى، لأننى يجب أن أرى فريدا، وسأراها.

أللا رانتيم : لقد سافرت ابنتك فعلا يا مستر فولدول.

فولدول : (فى ذهول) أسافرت فريدا فعلا؟ أأنت واثقة؟ من أخبرك؟

بوركمان : عرفنا ذلك من مدرسها المقبل.

فولدول : حقًّا؟ ومن هو؟

بوركمان : شخص يدعى مستر إرهارت بوركمان.

فولدول : (يشرق محياه بالفرح) ابنك يا جون جابرييل! أهو مسافر معهما؟

بوركمان : نعم، إنه هو الذى سيساعد السيدة ويلتن فى تعليم فريدا الصغيرة.

فولدول : أوه، تعالى الله! إذن فالطفلة فى أيد أمينة. ولكن، أأنت واثق من أنهما سافرا معها فعلا؟

بوركمان : لقد كانت معهما فى تلك المحفة التى وقعت تحتها فى الطريق.

فولدول : (يصفق) تصور أن ابنتى فريدا الصغيرة كانت فى هذه الزحافة الفخمة!؟

بوركمان : (يحنى رأسه مرات) نعم، نعم، يا ولهلم، كانت ابنتك فى زحافتها وكذلك كان السيد إرهارت، خبرنى، ألاحظت الأجراس الفضية؟

فولدول : نعم، حقًا. أقلت إنها أجراس فضية؟ أكانت من الفضة؟ أكانت أجراس من الفضة الحقيقية الخالصة؟

بوركمان : كن متأكدًا من ذلك، كان كل شيء حقيقيًا... فى الخارج والداخل.

فولدول : **(فى قوة هادئة)** أليس غريبا أن الحظ قد يصافى الإنسان فى بعض الأوقات؟ إن موهبتى، موهبتى الغنائية الضئيلة قد تحولت فى ابنتى إلى موسيقى. إذن، فلم يكن عبثا على أى حال أننى ولدت شاعرا، فها هى ذى تنطلق إلى الدنيا العظيمة الواسعة، الدنيا التى كنت أصبو من كل قلبى إلى رؤيتها، لقد بدأت فريدا الصغيرة رحلتها فى زحافة مغطاة رائعة ذات أجراس فضية معلقة فى أعناق الخيل.

بوركمان : وقد داست على أبيها!

فولدول : **(مسرورا)** أوه، يوه، وماذا يهمنى من ذلك ما دامت ابنتى أحسن؟ لا شك أننى تأخرت على الرغم من كل ذلك، يجب أن أعود إلى البيت لأطمئن أمها فقد تركتها تبكى فى المطبخ.

بوركمان : تبكى؟

فولدول : **(يبتسم)**، أتصدق ذلك؟ لقد كانت تبكى وأنا خارج بكاء مرًّا.

بوركمان : وأنت تضحك ياولهلم؟

فولدول : نعم، إنى أضحك بالطبع، ولكنها، هذه المسكينة لا تعرف ما هو خير من ذلك. هل فهمت؟ حسن، إلى اللقاء من حسن الحظ أن الترام قريب، إلى اللقاء، إلى اللقاء يا جون جابرييل، إلى اللقاء يا سيدتى.

(ينحنى ثم يعود وهو يعرج فى مشقة من الطريق الذى جاء منه)

بوركمان : **(يقف برهة صامتًا وهو يحدق أمامه)** إلى اللقاء ياولهلم! فليست هذه المرة الأولى فى حياتك التى تداس فيها يا صديقى القديم.

أللا رانتيم : **(تنظر إليه فى جزع مكتوم)** إن لونك شاحب يا جون، شاحب جدا.

بوركمان : هذا تأثير الهواء المكتوم فى الطابق العلوى.

أللا رانتيم : لم أرك من قبل فى مثل هذه الحالة.

فولدول : نعم، فأظنك لم ترَ من قبل مسجونًا هاربًا.

ألا رانثيم : أوه، أرجوك أن تدخل معى إلى المنزل يا جون!

فولدول : لا فائدة من محاولة إغرائى على الدخول، لقد أخبرتك.

ألا رانثيم : ولكن إذا رجوتك وتوسلت إليك؟ من أجلك أنت... **(تفتح الخادم الباب وتقف عنده).**

الخادم : أرجو المعذرة، ولكن السيدة بوركمان طلبت منى أن أغلق الباب الخارجى الآن.

بوركمان : **(مخاطبا ألا فى صوت خافت)** أرأيت؟ إنهم يريدون حبسى فى الطابق العلوى ثانية!

ألا رانثيم : **(للخادم)** ليس السيد بوركمان فى حالة حسنة، فهو فى حاجة إلى بعض الهواء النقى قبل الدخول.

الخادم : ولكن السيدة بوركمان أخبرتنى.

ألا رانثيم : سأغلق أنا الباب، فقط دعى لى المفتاح فى القفل.

الخادم : أوه، حسن جدا، سأتركه. **(تدخل ثانية إلى المنزل).**

بوركمان : **(يقف لحظة صامتا وهو يتسمع، ثم ينزل الدرج مسرعا ويخرج إلى الفناء المتسع)** الآن، أصبحت

خارج الجدران يا ألــلا! الآن لــن يــستطيعوا الإمساك بى ثانية أبدا!

ألــلا رانثيـــم : **(التى نزلت إليه)** ولكنك رجل حر هناك أيضًا يا جون، تستطيع أن تخرج وتدخل كما تشاء.

بــوركمــــان : **(فى همس وكأنه فزع)** أبدا لن يظلنى سقف بعــد اليوم! ما أطيب وجودى هنا فى الخــارج فــى الليل، لو أنى صعدت إلــى القاعــة الآن؛ فــإن السقف والجدران ســتنطبق علــىَّ وتــسحقنى، تسحقنى كالذبابة سحقًا تامًا.

ألــلا رانثيـــم : ولكن إلى أين أنت ذاهب إذن؟

بــوركمــــان : لا شىء إلا أنى سأتقدم وأتقدم وأتقدم، وسأحاول إن لم أستطع أن أشق طريقى ثانية إلى الحريــة، والحياة، والمجتمع الإنسانى. أتأتين معى يا ألَلا؟

ألــلا رانثيـــم : أنا؟ الآن؟

بــوركمــــان : نعم، فى الحال!

ألــلا رانثيـــم : ولكن إلى أين؟

بــوركمــــان : إلى أبعد ما أستطيع.

ألــلا رانثيـــم : أوه، ولكن فكر فيما تفعله! كيف تخرج فى ليل الشتاء الرطب البارد هذا؟

بـوركمــان : (فى صوت كثير الخشونة) أوهو، أتقلق سيدتى كثيرا من أجل صحتها؟ نعم، نعم؛ فأنا أعلم كم هى رقيقة.

ألــلا رانثيـــم : بل أنا قلقة من أجل صحتك أنت.

بـوركمــان : هو هو هو! صحة رجل ميت! أنا لا أستطيع أن أمنع نفسى من الضحك عليك يا أللا! (يتحرك إلى الخارج).

ألــلا رانثيـــم : (تتبعه وتمسك به لتمنعه من التقدم) ماذا قلت عن نفسك؟

بـوركمــان : رجل ميت، هذا ما قلته، ألا تذكرين أن جنهيلد طلبت منى أن أرقد هادئا فى مكانى؟

ألــلا رانثيـــم : (فى تصميم تضم المعطف إلى جسدها) سأذهب معك يا جون.

بـوركمــان : نعم، فإننا يخص أحدنا الآخر يا أللا، (يتقدم) هيا إذن!

(يتقدمان تدريجيًا حتى يخترقا الغابة المنخفضة التي إلى اليسار، فتخفيهما شيئًا فشيئًا حتى لا يظهر منهما شيء. يختفي المنزل والفضاء المتسع أمامه، المكان المكون من الوهاد المنحدرة وخطوط الأشجار يتغير ببطء ليصبح أكثر تيهًا ووحشة).

صوت (يسمع من الغابة التي إلى اليمين).

ألـلا رانثيم : إلى أين نذهب يا جون؟ فأنا لا أذكر هذا المكان.

صوت : (أعلى من صوتها).

بوركمان : يكفي أن تقتفي آثار أقدامي على الثلج!

صوت

ألـلا رانثيم : ولكن ما الحاجة إلى أن تتسلق عاليًا هكذا؟

صوت

بوركمان : (قريبًا) يجب أن نصعد هذا الطريق المنحني.

ألـلا رانثيم : (مازالت مختفية) أوه، ولكنني لا أستطيع أن أتقدم أكثر من ذلك.

بوركمان : (على حافة الغابة إلى اليمين) هيا، هيا! فلسنا بعيدين الآن عن المنظر، كان يوجد هنا دائمًا مقعد.

ألـــلا رانثيـــــم : (تظهر بين الأشجار) أتتذكره؟

بــوركمـــــــان : يمكنك الراحة هنا

(يطلعان على قمة من ســـهل مرتفـــع فى الغابة، وقد ارتفع خلفهما جبل فجأة، إلى اليسار فى مكان منخفض جدا متسع حول خليج حولـــه شعاب "فيورد"، فيه صفوف عالية من الأشـــجار يعلو بعضها بعضًا، إلى اليسار فوق السهل المرتفع شجرة ميتة وتحتها مقعد. الثلوج متراكمة فـــوق السهل، يدخل من اليمين بوركمان تتبعـــه ألـــلا رانثيم، وهما يخوضان الثلوج بصعوبة)

بــوركمـــــــان : (يقف على حافة منحـــدر شـــديد الانحـــدار إلى اليسار) تعالى هنا يا أللا، وسترين.

ألـــلا رانثيـــــم : (تصعد إليه) ماذا تريد أن ترينى يا جون؟

بــوركمـــــــان : (يشير إلى الخارج) ألا ترين كيف ترقـــد الـــبلاد أمامنا حرة متفتحة... هناك إلى أقصى الأفق؟

ألـــلا رانثيـــــم : طالما جلسنا على هذا المقعد من قبل، ونظرنـــا إلى مسافة أبعد كثيرا كثيرا.

بــوركمـــــــان : إنها أرض الأحلام التى كنا ننظر إليها إذ ذاك.

ألــلا رانثيـــم : (تحنى رأسها مرارًا فى بطء) نعــم، كانــت أرض الأحلام فى حياتنا، ولكن هذه الأرض الآن قــد دفنت تحت الثلوج وماتت الشجرة العجوز.

بــوركمـــــان : (غير مستمع إليها) أتــستطيعين رؤيــة دخــان المركب البخارية الكبيرة هناك خارج الخليج؟

ألــلا رانثيـــم : كلا.

بــوركمـــــان : أما أنا فأستطيع، إن السفن تذهب وتجىء لتنــسج شبكة من الصداقة بين جميــع أنحــاء العــالم، وتسكب النور والحرارة فى نفوس رجــال فــى آلاف كثيرة من البيوت، وهذا ما كنت أحلم بــأن أعمله.

ألــلا رانثيـــم : (فى نعومة) وقد ظل ذلك حلما.

بــوركمـــــان : نعم، ظل حلما (يتــسمع) ولكــن اســتمعى يــا عزيزتى، هناك عند النهر! إن المصانع تــدور! مصانعى! كل هذه المــصانع التــى كــان مــن المفروض أن أنشئها مــن عــدم! اســمعى! ألا تسمعين دويها؟ لقد بدأت نوبــة الليــل... هــم يعملون إذن ليلا ونهارا. اسمعى! اســمعى، إن

العجلات تدور بسرعة والسيور تومض وهى تدور، وتدور. وتدور، ألا تسمعينها يا أللا؟

ألـلا رانثيـم : لا أسمعها.

بـوركمـان : أنا أستطيع سماعها!

ألـلا رانثيـم : **(بقلق)** أظنك تغالط نفسك يا جون.

بـوركمـان : **(يزداد فى الاستفهام شيئًا فشيئًا)** ولكن كل هذه... إنها ليست إلا الاستحكامات حول المملكة، صدقينى!

ألـلا رانثيـم : أقلت المملكة، أى مملكة؟

بـوركمـان : مملكتى بالطبع! المملكة التى كنت على وشك غزوها عندما، عندما مت.

ألـلا رانثيـم : **(مصدومة، فى صوت خافت)** أوه، جون، جون!

بـوركمـان : أما الآن فإنها ملقاة، دون دفاع، ودون سيد... معرضة لكل اللصوص وقطاع الطرق. ألا ترين يا أللا سلسلة الجبال... هناك بعيدا؟ إنها تسمو إلى العلا وترتفع كالأبراج بعضها خلف بعض! هذه هى مملكتى الواسعة، مملكتى الدائمة السرمدية!

ألـــلا رانتيـــــم : أوه، ولكن عاصفة ثلجية تهب من ناحيـــة هـــذه المملكة يا جون!

بـــوركمـــــــان : هذه العاصفة، هى فى نظرى، أنفاس الحياة، هذه العاصفة تقبل نحوى وكأنها تحيـــة مـــن أرواح رعاياى، إذ يبدو أننى أثرت فيها، هذه الملايـــين السجينة، إنى أستطيع أن أرى عروقها المعدنيـــة وهى تمد لى أذرعتها الدوارة المتشعبة المغرية، لقد رأيتها من قبل تقف أمام عينى وكأنها أشباح حية، فى تلك الليلة التى وقفت فيها فى الخزانـــة وشمعة فى يدى، لقد توسلت إلـــىَّ أن أحـــررك، وقد حاولت أن أهبك الحرية، ولكن قوتى خانتنى وغرق الكنز ثانية فى الأعماق.

(يمد يديه) ولكنى سأهمس لك هنا فى هدأة الليل، إننى أحبك أنت يا من ترقـــدين مـــسحورة فـــى الأعماق بين الظلام، إنى أحبك أيتها الكنوز التى لم تولد بعد، والتى تتوق إلى النور! إنى أحبـــك بكل ما يلمع حولك من قوة وعظمة، إنى أحبك، أحبك، أحبك!

ألــلا راتثيـــم : **(فى اضطراب يتزايد وتحاول كبته)** نعم، إن حبك ما زال هناك يا جون، إن جذوره دائمًـا كانـت هناك، ولكن هنا، فى ضوء النهار، كان هنا قلب إنسانى حى ممتلئ بالحرارة يتأجج ويخفق مـن أجلك، وقد سحقت هذا القلب. أوه، بل أسوأ مـن هذا! أسوأ عشر مرات! لقد بعته فى سبيل، فـى سبيل...

بـوركمـــان : **(يرتجف وكأن رعشة باردة تسرى فى جسده)** فى سبيل المملكة... والقوة، والقــوة... والمجـد... أهذا ما تعنينه؟

ألــلا راتثيـــم : نعم، هذا ما أعنيه، لقد قلت ذلك مرة هذه الليلـة، قلت إنك قتلت حب الحياة فى المرأة التى أحبتك والتى أحببتها بدورك على قدر ما تـستطيع أن تحب. **(ترفع ذراعها)** وإذ ذاك تنبأت لك يا جون جابرييل بوركمان، بأنك لن تلمس الجائزة التـى كنت ستنالها مقابل هذا القتل، ولن تدخل مملكتك المظلمة الباردة منتصرا.

بــوركمـــــــان : (يتجه إلى المقعد مترنحا ثم يرتمى عليه جالسا) كنت أخاف ودائما أن تصح نبوءتك يا أللا.

ألــلا رانثيـــم : (تذهب إليه) يجب ألا تخاف من ذلك يا جــون، فهذا خير ما يمكن أن يحدث لك.

بــوركمـــــــان : (يصرخ وهو يقبض على صدره) آه..! (يضعف) لقد عادت ثانية.

ألــلا رانثيـــم : (تهزه) ما هى يا جون؟

بــوركمـــــــان : (يهوى إلى مسند المقعد الخلفى) إنها يد من الثلج تقبض على قلبى.

ألــلا رانثيـــم : جون أأحسستَ باليد الثلجية ثانية؟

بــوركمـــــــان : (يتمتم) لا ، ليست يدًّا ثلجيـــة، إنمـــا هـــى يـــد معدنية. (يغوص فى المقعد).

ألــلا رانثيـــم : (تنـــزع معطفها وترميه فوقه) استلق هادئا حيث أنت، سأذهب لأعود بنجدة لتساعدك.

(تسير خطوة أو خطوتين إلى اليمين ثم تقف وتعود لتجس نبضه وتلمس وجهه بعناية).

ألــلا رانثيـــم : (فى نعومة وعزم) كلا، هــذا أفــضل يـــا جـــون بوركمان، هذا خير لك.

(تلفه بالثوب بعناية ثم تسقط على الـــثلج أمام المقعد. فترة صمت قصيرة.

تدخل السيدة بوركمان مـــن الغابـــة إلى اليمين وقد غطت جسمها بوشاح، وأمامها تسير الخادم حاملة المصباح)

الخــــــــادم : (تلقى الضوء على الثلج) نعم يا ســيدتى، هــذه آثارهم هنا.

السيدة بوركمان : (تنظر حولها) نعم، هاهما! إنهما يجلسان هنــاك على المقعد (تنادى) ألّلا!

ألــلا رانثيـــم : (تنهض) أتبحثين عنّا؟

السيدة بوركمان : (بعزم)، نعم، أنت ترين أننى أبحث عنكما.

ألــلا رانثيـــم : (تشير) انظرى، إنه راقد هناك يا جنهيلد.

السيدة بوركمان : نائم؟

ألــلا رانثيـــم : أظنه نومًا طويلاً عميقًا.

السيدة بوركمان : (فى غضب) ألّلا! (تتمالك نفــسها وتــسأل فى صوت منخفض) أهو الذى فعل ذلك... بنفسه؟

ألــلا رانثيـــم : كلا.

السيدة بوركمان : (فى راحة) ليس بيده إذن؟

ألـــلا رانثيـــــم : كلا، إنها يد معدنية ثلجية التى قبضت على قلبه.

السيدة بوركمان : اذهبى فى طلب النجدة، أحضرى الرجـــال مـــن المزرعة.

الخـــــــــادم : نعم، سأفعل يا سيدتى. **(لنفسها)** يرحمنا الله!

(تخرج خلال الغابة من اليمين).

السيدة بوركمان : **(تقف خلف المقعد)** إذن فقد قتله هواء الليل.

ألـــلا رانثيـــــم : يبدو هذا.

السيدة بوركمان : على الرغم مما كان عليه من القوة؟

ألـــلا رانثيـــــم : **(تتقدم إلى مقدمة المقعد)** ألن تنظـــرى إليـــه يـــا جنهيلد؟

السيدة بوركمان : **(فى حركة اشمئزاز)** أبدًا، أبدًا! أبدًا.

(تخفض من صوتها) كان جون جابرييل بوركمان ابن أحد عمال المناجم، فمـــا كـــان يـــستطيع أن يعيش فى الهواء الطلق.

ألـــلا رانثيـــــم : بل إن البرودة هى التى قتلته.

السيدة بوركمان : **(تهز رأسها نفيًا)** أتقولين البرودة؟ البرودة؟ لقـــد قتلته من زمن بعيد.

ألـــلا رانثيـــــم : **(تحنى رأسها موافقة)** نعم، وحولتنا نحن الاثنـــين إلى خيالين.

السيدة بوركمان : إنك على حق فى ذلك.

ألـــلا رانثيـــــم : **(فى بسمة مليئة بالألم)** رجل ميت وخيالان... هذا ما فعلته البرودة بنا.

السيدة بوركمان : نعم برودة القلب، وإنى لأظن أن الواجب علينـــا الآن أن تمد كلٌّ منا يدها للأخرى يا ألّلا.

ألـــلا رانثيـــــم : أظن أننا نستطيع الآن.

السيدة بوركمان : نحن التوأمتان، نجتمع فوق جثة من أحببنا.

ألـــلا رانثيـــــم : نحن الخيالان، فوق جثة الرجل الميت.

(السيدة بوركمان خلف المقعد وألّلا رانثيم أمام المقعد تتصافحان)

«**انتهــت**»

الإشراف اللغـوى: حسام عبد العزيـز

الإشـراف الفــنى: حــسن كامــل

مختارات من إبسن

لإبسن مكان كبير فى تاريخ المسرح، إذ إنه من أساتذة الصنعة المسرحية، ومعلم من معالم تطور المفهوم المسرحى كان المسرح قبله بعيدا عن مشاكل المجتمع الحقيقية خاضعا فى بنائه لمواصفات أرسطو المعلم الأول، وكانت المسرحيات تتراوح بين الإتقان المحكم والفتور البارد مثل مسرحيات سكريب وساردو الكاتبين الفرنسيين اللذين راجت مسرحياتهما وطوفت عبر القارة الأوربية فى ذلك الزمان حتى كتب إبسن مسرحياته فعبر عن مفهوم جديد للمسرح، وربطه بالحياة الدائرة واختار شخصياته من غمار الناس وناقش قيم المجتمع وأهدافه.

وقد تأثر بإبسن عدد كبير من كتاب المسرح الذين وفدوا بعده وخاصة الكاتب المسرحى العظيم وأحد موجهى هذا العصر جورج برنارد شو. كانت حماسة برنارد شو لإبسن لا تقل عن حماسته لجميع الأفكار الجديدة، التى عاش حياته من أجلها ومنه عرف شو أن سر المسرح الجيد هو أن يختار الكاتب المسرحى نماذجه من غمار الناس وأن يكون عينا يقظة تتتبع ملامح عصره، وعقلا نافذا يلقى فيها الرأى والتوجيه.

تصميم الغلاف: نسرين كشك